المختار من ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

يونيو ١٩٤٧

الصديق

إذا صفا لك أخٌ ، فكن به أشدَّ ضنًّا منك بنفائس أموالك ، ثم لا يُزهّدنَّك فيه أن ترى منه خُلقاً أو خُلقين تكرههما . فإن نفسك التي هي أخصُّ النفوس بك ، لا تعطيك المقادة في كل ما تريد ، فكيف بنفس غيرك ! وبحسبك أن يكون لك من أخيك أكثره .

[الجاحظ ، رسالة المعاش والمعاد]

AL-MUKHTAR min READER'S DIGEST — Vol. 8, No 46, June 1947.

الطبعة العربية

المدير العام ورئيس التحرير . فؤاد صروف . مدير التحرير . محمود محمد شاكر مدير الإدارة : ولم ف . جيلسي .
مصر والسودان : النسخة ٣ قروش . الاشتراك السنوي ٣٠ قرشاً — شرق الأردن وفلسطين ٣٥ ملا العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً . الاشتراك السنوي في سوريا وشرق الأردن والعراق وفلسطين ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً ، وفي سائر أقطار العالم ما يعدل ٧٥ قرشاً أو ثلاثة دولارات أو ١٦ شلناً
العنوان : ١٤ شارع القاصد ، القاهرة — تليفون : ٤٢٣٦٤

الطبعات الدولية

مطبعة مصر ش . م . م

السنة الرابعة
المختار
من
ريدرز دايجست
المجلد ٨
العدد ٤٦
كتاب هيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر
يونيو ١٩٤٧

بعد أحد عشر شهراً من البحث..

وجدت هيئة الأمم المتحدة مقرها الدائم في ٢٢½ ساعة

جيمز موناهان

بدأت هيئة الأمم المتحدة بحثها عن مكان لمقرها الدائم فى فبراير ١٩٤٦ ، وطال البحث على غير جدوى حتى استغرق أحد عشر شهراً . ففى المواقع التى كان الأعضاء يؤثرونها اشتدت معارضة أصحاب الأرض، وفى مواقع أخرى كان ثمن الأرض فاحشاً . فلما دنا موعد الفصل فى الموضوع خيل إلى الناس أن المشكلة لن تحل إلا حلا وسطاً لا يبعث على الرضى ، فيكون ضرباً من الهزيمة الأدبية تنزل بالأمم المتحدة .

ثم حدث ما يشبه المعجزة ، ففى ٢٢½ ساعة بين ظهر اليوم العاشر من ديسمبر والساعة العاشرة والدقيقة الثلاثين من صباح اليوم التالى تمّ الاتفاق .

وفى هذا المقال خفايا ذلك الحدث الرائع كما يذكره الرجال الذين اشتركوا فيه .

ظهر يوم الثلاثاء ١٠ ديسمبر ١٩٤٦ ، وقد افتتح جون د . ركفلر مؤتمراً لأسرته فى مكتبه العالى فى مبنى ركفلر بنيويورك : فلن تنقضى أربع وعشرون ساعة حتى تتخذ لجنة مقرّ هيئة الأمم المتحدة قرارها فى موقع هذه العاصمة العالمية . وليس بين المواقع المقترحة موقع حاز رضى عامًّا ، ومن الأسرار المكشوفة أن الأعضاء غير راضين .

وقد وصل اثنان من أبناء ركفلر — نلسن ولورانس ، أما دافيد فقد تأخر فى حى الأعمال ، وأما جون فليس فى نيويورك ، وأما ونثروب ففى جمهورية فنزويلا . وقد كان نلسن ركفلر عضواً فى اللجنة التى

ألفها محانك نيويورك لتتبع شئون الأمم المتحدة . وهو على صلة وثيقة بسير الأمور ، فقد طار منذ يومين من بلاد المكسيك لحضور اجتماع دعيت إليه هذه اللجنة على عجل ، وفيه عرف الحقائق الكالحة .

فمدينة نيويورك التى يؤثرها أعضاء الأمم المتحدة على غيرها ، قد كادت تقضى على أملها فى أن تضم مقر الهيئة العالمية ، بما بدا منها من « ترفع وعدم مبالاة » — على قول أحد أعضاء الوفود ، وقد ربطت مصير القرار بما عرضته على الهيئة من أرض أقيم عليها « المعرض العالمى » فى « فلاشنج مدوز » . وقد أجمع رأى الأمم المتحدة أو كاد على أن هذا الموقع لا يصلح . نعم إن نيويورك عرضته بغير ثمن ، ولكن المهندسين قدروا أن إرساء أسس المبانى فى هذه الأرض التى كانت مستنقعاً يكلف ٣٥ مليون ريال . وليس فى منطقة مدينة نيويورك مكان آخر متاح للأمم المتحدة « بغير ثمن أو بثمن معقول » .

وقد عارض البريطانيون فى اتخاذ مقر الهيئة فى مدينة سان فرنسسكو ، وصرح الروس بأن وفودهم لن تذهب إلى الساحل الأمريكى الغربى مهما يكن من شىء . وأذعن الوفد الأمريكى لرأى الأكثرية ، فأيد اختيار مكان على الساحل الشرقى — ساحل المحيط الأطلسى . وعرضت مدينة فلادلفيا مكاناً فيها ، فصار محتملا أن يتفق الرأى على قبوله ، ولكن موظفى الهيئة برموا بذلك فقال أحدهم : « إذا اخترنا فلادلفيا مقرًّا لنا ، ذهبت وفود الهيئة إلى وشنطن لقضاء أعمالها ، وإلى نيويورك طلباً للهو والتسلية » .

وتقدم السناتور وارن أوستن ، ممثل الولايات المتحدة فى هيئة الأمم المتحدة، باقتراح مؤداه أن يرجأ الفصل فى الأمر حتى تجتمع الجمعية العمومية فى سبتمبر ١٩٤٧ ، وكان يرجو أن تتم معجزة فى خلال ذلك تسفر عن مكان مقبول فى منطقة مدينة نيويورك ، ولكن الاقتراح رفض بعد احتجاج قوى على إرجاء البت فى الموضوع .

وإذن فأغلب الظن أن يقترع أوستن غداً مع أكثرية الأعضاء المترددين ، على قبول ما عرضته فلادلفيا — فهو رأى وسط ولا مفرّ منه .

١٢٫٣٠ بعد الظهر : قرّرت أسرة ركفلر أنه لا بد من أن توجد رقعة من الأرض فى مدينة نيويورك أصلح من « فلاشنج مدوز » مقرًّا للهيئة العالمية ، وأن تعرض عليها قبل الصباح . أما البواعث التى تحملهم على ذلك فقوية : زهوهم بمدينتهم ، وإيمانهم الصادق العميق بالأغراض السامية

التى تتوخاها هيئة الأمم المتحدة ، وعطفهم على رغبة الكثرة من أعضائها ، وعناية الأسرة منذ زمان طويل بفعل الخيرات .

وإذن فلِمَ لاتقدّم الأسرة أرضها المطلة على نهر الهدسن فى نيويورك ؟ فهذه الأرض تضم بيوت أبناء ركفلر الأربعة المتزوجين وأختهم المتزوجة وأبنائهم السبعة عشر . وفى أجزاء شتى من هذه الأرض عاشت أربعة أجيال من أسرة ركفلر . ولو وهبت هذه الرقعة من الأرض لهيئة الأمم المتحدة ، وخططت فى أول الأمر على وجه ينقذ بيت الأسرة العتيق من الهدم ، لكان التوسع فى المستقبل أمراً لا مفرّ منه . فالأب جون ركفلر وابنه الأكبر نلسن ، راضيان بهدم البيت الكبير ، أو بأية تضحية أخرى من أجل الأمم المتحدة ، أفيرضى الأبناء الآخرون بالنزول عن بيوتهم ؟

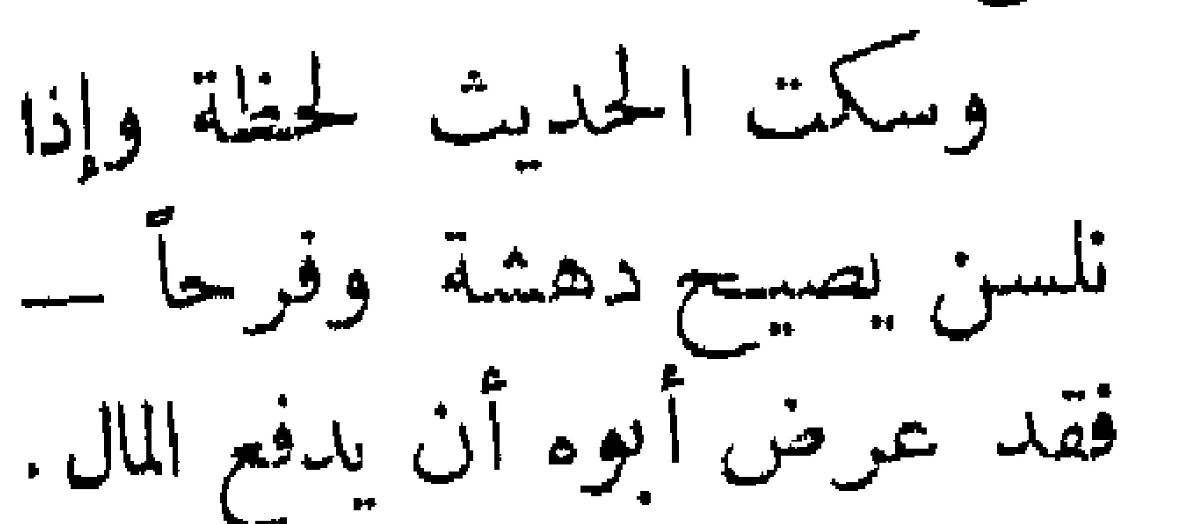
ووافق لورانس وعرض أرضه التى مساحتها ٢٥٠ فداناً ومالاً لشراء ما يلزم من أرض تضاف إليها ، وعرض نلسن أن يستشير شقيقيه الغائبين ، وقال ركفلر الأب إن سمسار الأرض ولم بيتس يستطيع أن يدبر أمر شراء الأراضى المجاورة اللازمة لجعل القطعة التى يعرضونها كافية للغرض المطلوب . وقد فوضوا الأمر إلى نلسن .

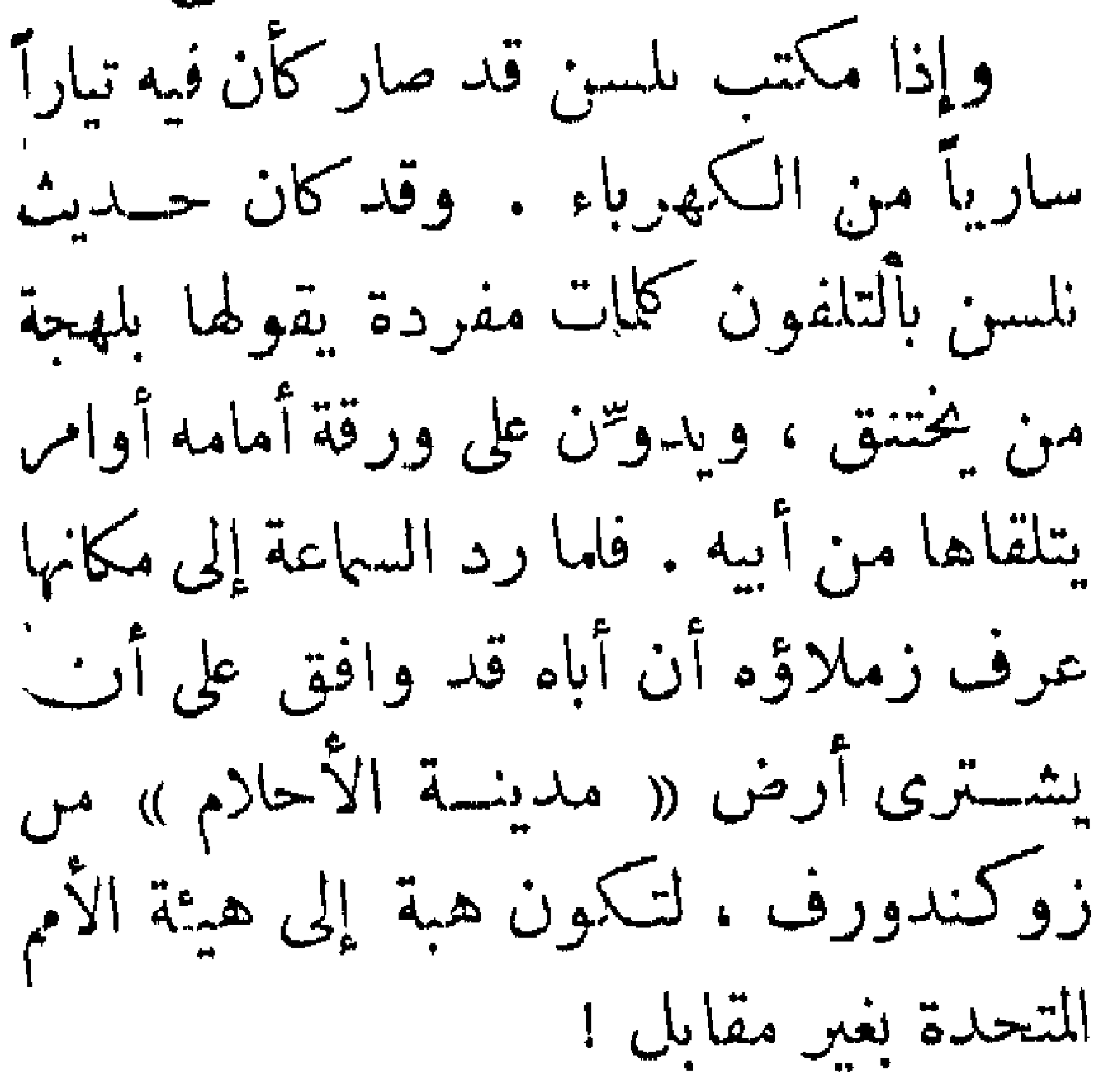
الساعة ١٫٣٠ بعد الظهر : فى مكتب نلسن ركفلر فى نيويورك : يجمع الخرائط والسجلات، ويدبر أمر المخاطبات التلفونية، ويوزع الأعمال الكتابية والقانونية. وسرعان ما يصل دافيد ركفلر فيطلعونه على ما تم ، فيقول إنه يرضى طبعاً أن ينزل عن أرضه، وأن يكتتب بمبلغ من المال اللازم لشراء أراضٍ أخرى لا بد منها . وها هوذا الأخ جون على التلفون من بلد خارج نيويورك . إنه راض ولا ريب ، ويؤسفه أنه لم يشهد هذه الحركة ليشارك فيها . ويسأل أحدهم عن الأخ ونثروب ، وهو عزب، فى جمهورية فنزويلا . إن الاتصال به مستحيل الآن ، فلنفرض أنه لن يخرق إجماع الأسرة .

الساعة ٣٫٤٥ بعد الظهر : لقد أخذت الرسوم تنتشر على الخريطة ، ولكن الحاجة ماسة إلى أرض أكبر من الأرض التى يعرضها ركفلر وأبناؤه . ما الأخبار من مستر بيتس السمسار ؟ احذروا أن تذاع أنباء ما يحدث قبل أن يتم الأمر ، فقد منيت هيئة الأمم المتحدة بخيبة أمل بعد خيبة ، ودار حديث فى التلفون : « مستر بيتس ؟ إليك حقائق الحالة . . أنستطيع أن تدبر الأمر لشراء بقية الرقعة قبل المساء ؟ »

الساعة ٦٫٣٠ مساءً : ينضم إلى الجماعة المتعبة ولاس هاريسون أحد المهندسين

الكبار الذى صمموا « مبـــانى مركز ركفلر » فى قلب مدينة نيويورك ، ثم يليه جون لوكوود المحامى، وفرنسيس جيمسون الصحفى الملحق الآن بمكتب ركفلر ؛ وروبرت موزز مدير قسم الحدائق العامة فى المجلس البلدى الذى تحمس أشد الحماسة للفكرة ساعة أطلعوه على سرها .





الساعة ١٥ر٧ مساء : نلسن ركفلر يحدث أباه بالتلفون ، والذين معه فى الحجرة ينصتون إليه بلهفة . فالأرض التى عرضتها الأسرة تزيد قليلا عن ألف فدان ، ومستر بيتس السمسار يظن أنه دبر شراء رقع من الأرض حولها تجعل المساحة كلها ألفى فدان . ومدير الحدائق العامة يعتقد أن هيئة الأمم المتحدة تقبل العرض. وهذا ركفلر الكبير يسأل سؤالا ، فيرد عليه نلسن ردًّا حاسما : « هـذا خير مكان متاح، ولكنه ليس أفضل مكان للهيئة . إن أفضل مكان للهيئة هو فى رأى رجالها ، مكان فى وسط المدينة على النهر الشرقى بين الشارعين ٤٢ و ٤٨ ، وهذا هو المكان المقترح لتشييد « مدينـة الأحلام » وهى مجموعة من ناطحات السحاب تتكلف ١٥٠ مليون ريال ، وقد ارتسمت صورتها الأولى فى خيال السمسار النيويوركى وليم زوكندورف . وهذا ولاس هاريسون هو المهندس الذى عهد إليه بتصميم هذا المشروع الضخم . نعم ، إن الصحف قدرت ثمن هذه الرقعة من الأرض بنحو ٢٥ مليون ريال .

وأما هاريسون فيعتقد أنه يمكن أن تشترى لهيئة الأمم المتحدة بمبلغ ٥٠٠ر٠٠٠ر٨ ريال .

وسكت الحديث لحظة وإذا نلسن يصيح دهشة وفرحاً — فقد عرض أبوه أن يدفع المال .

وإذا مكتب نلسن قد صار كأن فيه تياراً سارياً من الكهرباء . وقد كان حديث نلسن بالتلفون كلمات مفردة يقولها بلهجة من يختنق ، ويدوّن على ورقة أمامه أوامر يتلقاها من أبيه . فلما رد السماعة إلى مكانها عرف زملاؤه أن أباه قد وافق على أن يشترى أرض « مدينـة الأحلام » من زوكندورف ، لتكون هبة إلى هيئة الأمم المتحدة بغير مقابل !

الساعة ٣٠ر٩ ليلا : لقد ذهبت سكرة الفرح بما تمّ ، وحلّ محلّها تقدير صحيح لضخامة العمل الذى ينبغى أن يتم من جميع نواحيه قبل الصباح . فمدينة نيويورك ينبغى أن تنزل عن أرض الشوارع التى تمر فى هذه الرقعة ، وعن شاطئها على النهر ، وأن تنزع ملكية رقع صغيرة من الأرض حتى تصير

بهذه الرقعة قطعة واحدة . هاتوا مدير الحدائق على التلفون ، فهو يعرف كيف يعالج هذا الأمر . ثم ينبغي أن توافق الحكومة الأمريكية على الهبة ، وأن تعفيها من الضرائب ، وكونها هبة لا يعفيها من الضرائب ، لأن هبات ركفلر جاوزت الحدّ المقرر في القانون المالي ، وركفلر يرى أن مالا دفع عنه ضرائب حين عُدّ إيراداً ، لا يجوز أن يدفع عنه ضرائب مرة أخرى حين ينفق من أجل هبة . .

وهو يذكر ما انتابه حين اضطرّ أن يدفع ضريبة فادحة على هبة قدّمها إلى عصبة الأمم . هاتوا السناتور أوستن فهو يعرف كيف يعالج هذا الأمر في وشنطن (لقد ترك أوستن فندقه ليحضر مأدبة وزير الخارجية لوزراء الخارجية ، ولن يعود قبل ساعة متأخرة من الليل) . ثم هناك مسألة لعلها أهمّ مسألة : أيرضى وليم زوكندورف أن ينزل عن الأرض ؟ وإذا هاريسون يشدد معطفه وينطلق عجلان .

الساعة ١٠٫٣٠ ليلا : لقد وفق هاريسون أخيراً إلى العثور على ضالته زوكندورف في ملهى مونت كارلو الفخم حيث أدب الرجل مأدبة احتفالا بعيد زواجه ، وبعيد ميلاد شريكه ، هنرى سيرز . وقد توالت على هاريسون الدعوة لشهود المأدبة ، فردّها وانتحى بزوكندورف وشريكه سيرز على مائدة صغيرة ، وبسط أمامهما خريطة الأرض وطلب منهما أن يرضيا بالبيع وأن يذكرا الثمن . فيقول زوكندورف إنه يرضى أن يبيع لهيئة الأمم المتحدة وحدها بمبلغ ٨٫٥٠٠٫٠٠٠ ، ولكنه يحتج بأنه ليس سوى شريك ، أليس من المستطاع أن ترجأ الصفقة حتى الصباح ؟ فيصر هاريسون على أن الوقت ضيق . ويوافق سيرز على رأى زوكندورف ولكنه يعمد إلى التلفون فيخاطب الشركاء الآخرين .

مقر هيئة الأمم المتحدة بمدينة نيويورك

ويرسم زوكندورف خطاً حول الرقعة ويكتب على ظهرها أنه رضى بالبيع ، ثم يوقع باسمه .

ويخرج هاريسون عَدْواً ، فلا يكاد يبلغ منتصف الطريق حتى يخطر له أن يبلغ نلسن ركفلر خبر الصفقة بالتلفون . فيدخل بهو فندق سان رجيس ويفعل ، فيحثه ناسن على أن يسرع في العودة . ويلوح لهاريسون أن ما تم خليق بأن يُحتفى به ، فيدخل متجراً ليشترى زجاجة شمبانيا ، ويمدّ يده إلى حافظة نقوده ليوفى

الثمن ، ثم يخرج من المتجر صفر اليدين ، فالرجل الذى عقد لساعته صفقة بمبلغ ٨٫٥٠٠٫٠٠٠ ريال لم يجد فى جيبه سوى ريال أو أقل . ثم يخطر له أنه فى هذا النشاط المحموم لتدبير مقر لهيئة الأمم المتحدة ، قد حرم نفسه دون وعى مبلغاً كبيراً من المال كان خليقاً أن يناله من أجل تصميم « مدينة الأحلام » ، وإذا هو يستغرق فى الضحك .

الساعة ١١٫٣٠ ليلا : لقد أعدّت الوثائق ، ونظر المحامى لوكوود إلى الكتابة على ظهر الخريطة ، فأضحكه أن تكون أساس هذه الصفقة التاريخية . إنها وثيقة خارجة على المألوف فى أمثال هذه الوثائق ، ولكنها قانونية .

وعمد نلسن إلى التلفون فكلم أباه ، وجعلا يراجعان ما تم من عمل ، وينقحان الرسائل والوثائق على التلفون فقرة فقرة. وجاء نبأ بأن مدير الحدائق العامة قد خلا بالمحافظ ، فيقترح ركفلر الأب أن يعقد اجتماع حول مائدة الفطور فى الساعة ٧٫٣٠ من صباح اليوم التالى. وما فرغا من الحديث حتى أشرفت الساعة على الواحدة من صباح يوم الأربعاء . وإعداد جميع الأوراق المنقحة يستغرق وقتاً حتى الساعة الثالثة صباحاً .

الساعة ١٫٣٠ من صباح الأربعاء : عاد السناتور أوستن إلى فندقه من مأدبة وزير الخارجية برنز ، وكان يزرّر أزرار منامته حين دق جرس التلفون : نلسن ركفلر . وقد وقف السناتور يرتعد برداً أمام النافذة المفتوحة وهو يستمع إلى الخبر . لقد هاله الأمر فانعقد لسانه ، وغمر قلبه الشكر . فحث نلسن على أن يأتى إليه بالوثائق اللازمة فى الساعة ٨٫١٥ ، صباحاً فموعد الاجتماع الفاصل فى اللجنة هو الساعة ١٠٫٣٠ والمسافة تستغرق ساعة بالسيارة من قلب نيويورك إلى مقر الأمم المتحدة فى ليك سكسيس .

الساعة ٧٫٣٠ صباحاً : بعد ساعات قلائل من النوم المضطرب تصل الجماعة المتعبة إلى شقة ركفلر لتناول الفطور — نلسن ولوكوود وجيمسون. ولكن التلفون يقطع عليهم الأكل . إنه من هاريسون ، وقد اجتمع بمدير الحدائق العامة الذى يقول إنه واثق بأن مجلس المدينة سيقبل شروط مستر ركفلر . فيجمع نلسن الوثائق ، لأن السناتور أوستن منتظر .

الساعة ٨٫١٥ صباحاً : كان السناتور أوستن قد جمع رجاله فى الجناح الخاص به ساعة وصل نلسن ركفلر ، وكان خط التلفون إلى وشنطن مفتوحاً . فيضع نلسن كل شىء بين يدى السناتور ويبرح الفندق، ولكن لا يزال عليه أن يسلم رسالة الهبة

إلى الدكتور إدوارد زوليتا مندوب جمهورية كولومبيا ورئيس لجنة مقر هيئة الأمم المتحدة . والدكتور زوليتا مريض فى المستشفى . وينظر السناتور أوستن إلى الساعة نظرة الرجل القلق العجل ، فعليه أن يغادر فندقه بعد ٢٠ دقيقة ليذهب إلى ليك سكسيس . وهذا الوزير برنز على التلفون وقد استخفه الفرح بما تمّ على غير انتظار . وكلّ شيء فى وشنطن سائر على ما يرام ، ووزارتا المالية والعدل ومصلحة الضرائب معنية بالموضوع . وقد يقتضى الأمر قانوناً خاصاً يوافق عليه الكونجرس ولكن « لا حرج مطلقاً عليك إذا قلت إن الحكومة الأمريكية تقبل جميع شروط الهبة » .

وماذا تصنع مدينة نيويورك ؟ كان السناتور قد ارتدى معطفه، وإذا برسالة من المحافظ أودواير : « إن الأرض التى لا تشملها الرقعة المباعة ستنزع ملكيتها وتقدم هبة إلى هيئة الأمم المتحدة . وكذلك الشوارع وشاطىء النهر ، وقد دعى مجلس التقدير إلى عقد جلسة خاصة من أجل ذلك » .

وانطلقت سيارة أوستن إلى ليك سكسيس .

الساعة ١٠٫٣٠ صباحا : لقد غادر الدكتور زوليتا فراشه فى المستشفى ليرأس الاجتماع التاريخى ، وقد ازدحم أعضاء اللجنة الذين يمثلون كل أمة من الأمم المتحدة، ومعهم مساعدوهم حول المائدة . فقد تبدد القتام المخيم على اللجنة فى الأيام الاخيرة . وما كان أحد يدرى تفصيل ما تم ، ولكن كل واحد منهم كان يحس أن حدثا خطيراً قد حدث ، وقد شرق الدكتور زوليتا بدمعه حين أراد أن يثنى على هبة ركفلر «العظيمة الكريمة التى تجعل مقر هيئة الأمم المتحدة فى هذا المركز الذى يشرف على التعاون الدولى ... »

لقد تمت المعجزة فى أربع وعشرين ساعة أو أقل . وظفرت الأمم المتحدة بما تريده من « مدينة الأحلام » ، ونسيت ما أبدته نيويورك فى الأمس من « ترفع وعدم مبالاة » ، فقد أحلّت محله ضيافة تشعّ إشعاعاً . وقال السناتور أوستن : « وقد تم كل هذا بفضل ما فى قلب رجل واحد من بصيرة وكرم » .



فى وسعك أن تأخذ بيد الشاب إلى الجامعة ، ولكنك لن تستطيع أن ترغمه على التفكير . [جورج إيد]

علّموا أولادكم الحياة

الأناء الأحمر

كان الجدل لا يزال يشتدُّ ويعنف بين الشقيقين جون وإدورد ، وكان كلٌّ منهما يتهم شقيقهُ بأنهُ هو الذي أخطأ كل الخطأ . وفى ذات يوم طرق سمع أبيهما صخب إحدى هذه المعارك الحامية . فدعاهما إلى مكتبه ، وأجلس كلاًّ منهما على طرف المنضدة مواجهاً لأخيه ، وأخذ إناءً أحمر من الزجاج ، رسمت على أحد جانبيه وردةٌ بيضاء ، ووضع الإناءَ فى وسط المنضدة والتفت إلى جون وقال : « خبرنى ماذا ترى » ؟

فردَّ جون : « أرى إناءً أحمر » .

ثم التفت إلى إدورد وقال : « وأنت الآن خبّرنى ماذا ترى » .

فقال : « أرى إناءً أحمر وعليه وردة بيضاء » .

فقال : «حسن ياأبنائى، وحسبكما هذا» .

وقد فهم الغلامان ما يريد أبوهما ، وتراهما اليوم يتذكران ذلك الإناء الأحمر كلما شجر بينهما خلاف فى الرأى ينذر بأن ينقلب جدلا عنيفاً ، فيدركان مرة أخرى أن المسألة رهن بوجهة النظر . [مسز هورنتج]

الكف المفتوحة

كنت فى العاشرة يوم وجدت أول ما وجدت صديقتى الحميمة الأولى بين فتيات مدرستى ، فتوثقت أواصر صداقتنا حتى صار لها فى نفسى أعظم منزلة . ولما كنت مفطورة على الاستئثار ، فقد ألفيت نفسى شديدة الغيرة من كل شىء تعنى به إذا كان شيئاً ليس لى فيه نصيب . ولم أخف عنها ما أحسُّ ، فأزعجها ذلك وبرمت به .

وأدركت أمى ما أعانى ، وكنا ذات يوم نتفرّج على بعض الفراخ الوليدة ونعجب بها ، فرفعت أحدها بيدى وشددت قبضتى عليه حتى كاد يختنق . وقد جاهد أن يفلت من قبضتى — وما لبث حتى أفلت .

فقالت والدتى وكأنها غير عابئة بما حدث : « إذا شددت قبضتك على فرخ وليد، عظمت رغبته فى أن يفلت منك . ترفقى فى حمله » .

فلما أخذت الفرخ الثانى فى راحتى المبسوطة اطمأنَّ إلىَّ وسكن ، فقالت أمى وهى تمرُّ بكفها على ريشه : « أتعلمين يابنتى أن الناس كالفراخ . فكلما زدنا حرصاً على تقييد من نحبهم ، ازدادوا هم حرصاً على طلب الفكاك والحرية . فإذا ترفقت فى الحرص عليهم لم يشعروا منك بالضيق والسأم .

فأثمر هذا الدرس ثمره . وعلى أنى أحس أحياناً بالغيرة تستبد بى ، فإن صورة الفرخ المطمئن فى كفى المفتوحة ، قد وقتنى أن أظهر ما يعتلج فى نفسى » . [بربارة بوردو]

الولد والفراشة

كنت كغيرى من لداتى الفتيان الشياطين ، أقع فيما لا تحمد عقباه ، ثم أعدو إلى أمى لتنقذنى منه ، بيد أن أمى كانت تؤثر أن ترانى أحل بنفسى ما أقع فيه من مشكلات . وكنت لا أدرك لِمَ تأبى أن تعيننى ، حتى كان يومٌ رأيت فيه شرنقة فراشة تنبض وتتململ ، فصحت فرحاً بما توقعت أن أراه ، وبادرت إلى الشرنقة أشقها بمبراتى ، حتى أيسر على الفراشة أن تخرج منها . وإذا أمى تراقب ما أفعل ، فلما شققت الشرنقة ووجدت الفراشة لا تطير ، ساورتنى خيبة أمل قوية ، فكان ذلك ما ابتعث أمى على الكلام ، فقالت :

« يا بنى إن لجهاد الفراشة غرضاً — هو أن يمكنها من أن تكتسب القوة التى تتيح لها أن تحلق فوق العالم الذى كانت تدب فيه دبيباً ، فلم تأذن أنت لها أن تستكمل قوتها ، وها هى ذى لا تستطيع أن تمشى ولا أن تطير . وهذه هى حال الأولاد أيضاً . فإذا لقى ولدٌ مثلك من يحل له جميع مشكلاته ، سلب الفرصة التى تتيح له النماء . وكل جهاد فى الحياة نخوض غماره يعزز قدرتنا على مواجهة الجهاد الذى يليه » . [أ . ج . بوست]

شىء لا يسترد

ألفت شقيقتى الصغيرة أن تذيع أخباراً ملفقة عن لداتها ، فأفضى ذلك إلى كثير من الشقاق بيننا وبين جيراننا . وما كانت شقيقتى تقصد أن تؤذى أحداً ، وكانت إذا عنفتها أمى على ما فعلت تقول وهى آسفة : « أسألكم العفو ، وأسترد ما جرى به لسانى » .

وما كان لضروب العقاب المألوفة أثر فى نفسها . ثم تذكرت أمى درساً تلقته عن أمها ، فطلبت من شقيقتى أن تأخذ وسادة محشوة بالريش إلى خارج البيت وأن تشق غطاءها ففعلت ، فقالت أمى : « والآن أريدك أن تجمعى الريش الذى انتثر وتفرق » .

فقالت شقيقتى : « هذا شىء مستحيل . فقد طار الريش فى كل مهب » .

فقالت أمى : « طبعاً ، وهذا الريش مثله كمثل الأكاذيب التى تذيعينها ، فتتفرق ولا سبيل إلى استردادها » .

فإذا ما ألحت علىّ اليوم رغبة فى إذاعة الإشاعات والأقوال التى تتناهى إلى ، تذكرت الدرس الذى تلقته شقيقتى من أمى .

[بيتر مورتى]

كيف تحررت من ربقة الخوف ؟

مرجريت لى رنبيك

مختصرة من مجلة "المرأة المستقلة"

كنت يوم أشرفت على التخرّج من المدرسة الثانوية ،فتاة شديدة الحياء ضعيفة الحيلة ، بيد أنى دأبت على التحصيل والإجادة ، فإذا بى ألفى نفسى جالسة على المنبر يوم توزيع الشهادات ، وفى رأسى المضطرب تتردد عبارات خطبة الوداع التى عهد إلىّ أن ألقيها .

جلست فتيات فرقتنا صفوفاً على المنبر ، فأشرفنا منه على بحر تتراءى لنا فيه وجوه آبائنا ، وكان بينهم أبواى . فهذه أمى ولا تزال سبابتها دامية من إكبابها على إعداد الثوب الذى أختال فيه الآن ، وهذا أبى قد خصص للحفلة أحد أيام إجازته الثمينة ليشهد هذا الحادث العظيم . فإذا لم أحسن ما وكل إلىّ ركبهما الخزى ، ولن أغتفر لنفسى ما اجترحت .

وكانت رئيسة المدرسة قد أمرت أن نجلس ، نحن الخطيبات الأربع ، متجاورات فى وسط المنبر . جف ريقنا ، فإن الغمغمة بخطبة كانت تكفى لإيقاع الرعب فى قلوبنا ، أما أن نجلس هناك على مرأى من جميع الناس فكان فوق طاقتنا .

وزاد الطين بلة أن كان إلى جانبي كرسى لا يزال خالياً ، هو كرسى خطيب الحفلة . وكانت معامتى فى اللغة الإنجليزية قد أوصتنى أن أتلطف فى الحديث معه قبيل بدء الحفلة، حتى يرى جمهور المدعوين طلاقتنا وحسن ما أدّبتنا به . فكان ذلك قاصمة الظهور إذ ما عساى أن أقول لرجل غريب عنى ؟

فلما وصل الرجل ودخل مختالاً على أنغام الموسيقى التى تعزفها فرقة المدرسة ، بلغ يأسى غايته ، إلا أن معلمة اللغة الإنجليزية أومأت إلىّ إيماءة الآمر ، فنظرت إلى الخطيب وابتسمت وحاولت أن أبدو فى أحسن حال .

وقلت وأنا أكاد أغص بريقى : « ينبغى لى أن أتبسط معك فى الحديث ، ولكن ... ولكن يؤسفنى أننى لا أجد ما أقوله ، فقد أخذ الخوف علىّ كلّ مأخذ » .

فقال : « وأنا خائف أيضاً . فى جيبى الخطبة التى أريد أن ألقيها ، ولكننى لا أظن أنها ذات قيمة . ثم إننى ... »

فقلت وقد أدهشنى ما قال : « ليس ثمة ما يخيفك » .

فحدّق فىّ — لا تحديق رجل فى طفل، بل تحديق إنسان فى إنسان آخر ، يحاول أن يتبين كيف يستطيع أن يبذل له معونته . ثم قال : « وليس ثمة ما يخيفك أنت .

دعيني أفض إليك بسر ، ثم لن يلم بك خوف فى مستقبل أيامك . كل امرىء فى هذا العالم يساوره شيء من الخجل والوجل، ويحس كأن العيون كلها متجهة إليه ، فإذا قضيت الدقيقة الأولى التى تلقين فيها غريباً عنك وأنت تحاولين أن تسرى عنه حتى يشعر بالراحة ، فإنك لن تشعرى بالوجل بعد ذلك . جربى » .

وقد أنست فى وجهه الصبوح دعة ولطفاً، فأدركت على حين فجأة عظمة هذا الرجل الذى انطوت نفسه على العطف وصدق البصيرة .

وقلت بصوت عال خارج من أعماق القلب : « سأجربها » .

وإذا بى أتبين ، وياهول ما تبينت ، أن لعزف قد انقطع ، وأن صوتى قد رن رنيناً فى السكون الذى يخيم على الجمع المرتقب . وكان رئيس مدرستنا رجلا ضئيلا جهم الوجه ، فرأيته يحملق فى ، ورأيت زميلاتى يحدقن إلى مشدوهات . فمرت بى لحظة كانت خليقة أن تنحدر بى إلى مهاوى الخزى والعار .

ولكن الرجل الجالس فى جوارى ضحك ضحك الواثق المطمئن ، ومد يده وربت على كتفى تربيت الصداقة والمودة ، فإذا أمارات السرور والرضى والمودة قد شاعت فى نفوس الحاضرين جميعاً ، فقد فعلت برغمى ما أوصتنى معلمتنى أن أفعل — لقد تحدثت مع ضيفنا المبجل حديثاً كان باعثاً على ارتياح الناس .

ولست أذكر ما كان وقع الخطبتين ، خطبته أو خطبتى ، ولكننى أذكر أنى شعرت بسعادة لا توصف ، وبأن الحفلة كلها كانت حفلة عظيمة . وأهم من ذلك كله أنى أذكر كيف باح ذلك الرجل الكريم لفتاة خائفة غير مليحة بأن سره فى التغلب على الوجل والارتباك هو أن ينسى المرء نفسه وهو يحاول أن يمد يد المعونة إلى غريب عنه.

وقد انتفعت بهذا السر ألوفاً من المرات ، وقد تبينت أثره فى أغراب مختلفة طباعهم، فكنت أزداد شكراً لمن كشف لى هذا السر . وطالما تمنيت أن أتذكر من هو حتى أعرب له عن شكرى .

ومنذ عهد قريب عمدت إلى تنظيف غرفة فى دارى احتشدت فيها أشياء كثيرة لا قيمة لها كنت ادخرتها على الأيام . فوجدت صندوقاً فيه رسائل قديمة ، ونسخة من بيان الحفلة التى نلت فيها شهادتى ، وقد كتب على صفحته الأولى هذه الكلمات :

« خطيب الحفلة ، فرنكلن د . روزفلت وكيل وزارة البحرية » .

وليس فى وسعى الآن أن أعرب له عن شكرى ، ولكن فى وسعى أن أطلع الناس على سره كما أطلعنى هو عليه .

إن جهاز هانس جيجر الذى اخترعه منذ ٤٠ سنة قد صار :

هادى الناس في العصر الذرى

صموئيل برجر
مختصرة من مجلة "سيانتفيك أميركان"

مضت ساعات منذ انفجرت القنبلة الذرية الرابعة فى بكيني ، وقد دفعت الريح الشرقية السحابة المهلكة الغريبة الشكل التى نجمت عن ذلك الانفجار ، ولكنّ الموت لا يزال يملأ مياه الخليج ، ويذرع سطوح السفن المحطمة التى اتخذت أهدافاً لتلك القنبلة ، ويتخلل السفن المصنوعة من الصلب التى لم تكد تصاب بأذى من قوة الانفجار .

وهذه أشعة « جمّا » قد اخترقت أبدان مئات من الماعز والخنازير والجرذان والفئران فلم تشعر بألم ، ولكنها صارت حيوانات قضى عليها الموت . وصار لا بدّ للرجال من أن يغامروا ويقتحموا ذلك الحمى الذى يجوس فيه الموت ، ليطفئوا النيران المستعرة فى السفن المصابة . ولكن أنّى لمكافحى النيران أن يعرفوا السفن المأمونة ؟

ليس لهم من وسيلة سوى عدّاد جيجر ، وهو صندوق أسود مستطيل فى حجم جهاز الراديو الصغير . وهو مزوّد بلوحات عليها أرقام وحروف ، وبسمّاعتين ، وفى وسعه أن يقيس درجة نشاط الإشعاع فى الجو . وفى وسع المرء أن يسمع من السماعتين دقات رتيبة كأنها صرير صرّار الليل ، فإذا ما ازداد توالى الدقات كان ذلك دليلا على ازدياد نشاط الإشعاع . وكذلك ترى أن مكافحى النيران فى بكيني لم يقدموا على مهمتهم إلا بعد أن سبقتهم زوارق صغيرة مزوّدة بعدّادات جيجر لتتبين أى السفن يستطيع مكافحو النيران أن يدخلوها آمنين ، وأيها لا تزال تحوى ذلك القدر المميت من أشعة « جمّا » .

ولم تكد تنقضى فترة على انفجار قنبلة بكيني الأولى ، حتى كانت الرياح على ارتفاع خمسة أميال فوق سطح الأرض ، قد أخذت تدفع فوق عرض البحر سحابة جميلة مذهبة الحواشى . لقد كانت تبدو وديعة بريئة من كل شر ، بيد أنها كانت تموج بالطاقة الفتاكة . فلو تحوّلت الرياح يومئذ فوق المحيط الهادى لكانت خليقة أن تدفع هذه السحابة إلى طرق الجو التى تسلكها الطائرات ، أو ربما تبدلت حالة الجو فتنهمر السحابة مطراً مميتاً على جزيرة مأهولة . فلم يكن بد من أن يتتبع رجال التجربة مسار تلك السحابة المهلكة . ولم يكن ذلك بالأمر

السهل فى جو يكثر فيه الغيم المتراكم كالجبال. وهو فى الليل أشق، إذ قد تنحرف الطائرات التى تتبع السحابة، فتقع فى الشر الذى تحاول أن تنقذ غيرها منه .

فيومئذ أثبت عدادّ جيجر نفعه الذى لا يجارى، فأرسلت طائرات مزودة بعدادات جيجر ، فظلت تحوم حول منطقة السحابة حتى تبددت دون أن تحدث أذى .

وقد صنع عداد جيجر أولا ليكون أداة من أدوات البحث العلمى الخالص ، وقد تم ذلك قبل أن يفكر الناس فى القنبلة الذرية بزمن طويل . فمنذ أربعين سنة أو نحوها كان رذرفورد العالم الطبيعى البريطانىّ العظيم ، عاكفاً على بحوثه الشهيرة فى عنصر الراديوم ، فعنى مساعدهُ الألمانىّ الشابّ هانس جيجر بصنع جهاز يحصى الدقائق التى يطلقها ذلك العنصر الجديد . ولا يزال هذا الجهاز أحكم الأجهزة التى صنعت لتبين نشاط الإشعاع وأدقها إحساساً .

وسواء كنت داخل المعمل أو خارجه ، وعلى قمة جبل أو فى قبو مصرف، فإن الهواء يعج بقذائف صغيرة ذات طاقة وسرعة لا يصدقهما العقل .

وهذه القذائف المتناهية فى الصغر هى على الأكثر بعض الأشعة الكونية التى يظن العلماء أنها تنطلق من الفضاء الذى بين النجوم . ومن رحمة الله أن جو الأرض يمتص معظم هذه القذائف الكونية ، فلا يصل منها إلى الأرض ولا يخترق أبداننا سوى عدد يسير نسبياً . ولو لم يكن ذلك كذلك، لتعذر نشوء الأحياء من الحيوان على سطح هذا الكوكب السيّار .

وقد اهتمّ العلماء الذين يستطلعون أسرار مجموعاتنا الشمسية بعدّاد جيجر فانتفعوا به فى قياس قوة هذه الأشعة الكونية . وأما الأطباء فينتفعون به فى كفاح السرطان وغيره من الأمراض المهلكة . وأما المهندسون المنقبون عن النفط فيدلونه فى الآبار التى يحفرونها ليتبينوا به شكل طبقات الأرض التى تحوى النفط. ويستعمله علماء الجولوجيا فى بحثهم عن اليورانيوم وغيره من المعادن المشعّة . وقد ثبت أنه جهاز لا غنى عنه فى كل فرع من فروع العلم الجديد الذى يبحث نواة الذرة .

وقد انتفع رجال الصناعة بالذرات المشعّة « الكاشفة » فى نواح شتى . فهم يضيفون مثلا مقداراً قليلا من غاز مشعّ إلى غاز عادى ويدفعونه فى الأنابيب ، ثم يستعينون بعداد جيجر على تبين انسياب الغاز فى شبكة معقدة من الأنابيب ، ويتم لهم ذلك على وجه موفق عجيب . وإذا ما أراد رجال الكيمياء أن يعرفوا أين يختفى النحاس المذاب فى محلول

معين ، تراهم يضيفون حفنة قليلة من النحاس المشعّ ، فيسرى مع النحاس العــادى حيثما سرى ، ويختفى حيثما اختفى ، ولكن الذرات المشعة تنمّ على نفسها، وعدّاد جيجر يكشفها حيث تكون . وقد اتخـذ رجال تكرير النفط ذرات الإيدروجين المشـعّ وسـيلة للكشف ، فظفروا بحقائق لا تقوَّم بمال ، عن مصير جزيئات الإيدروجين فى خلال العمل الذى يطلقون عليه فى صناعتهم عمل تحطيم جزيئات النفط . وهذه الحقائق خليقة أن تفضى إلى تقدم عجيب فى صناعة النفط .

وقد اقترن عـدّاد جيجر فى السنوات الأخيرة بالذرّة فى كفاح المرض وشق طرق جديدة فى البحث الطبى . ولنضرب لك على هذا مثلاً عجيباً ، فهذا مريض فى مستشفى مصاب بسرطان فى غدته الدرقية ، فاستؤصلت الغدة ، وإذا به بعد سنوات يقلّ وزنه قلة مطردة . فبحثت حالة تمثيل الطعام فى بدنه فثبت أنه مصاب بفيض غير طبيعى من نشاط كنشاط الغدة الدرقية .

وسرعان ما كشف الأطباء سبب ذلك ، فقد ظهر فى بدن المريض (وقد يكون ذلك فى أى مكان فى البدن) بَضْعة من نسيج الغدة الدرقية المصابة التى استؤصلت ، وجعل يفرز مقادير غير طبيعية من التيروكسين — المادة الحيوية التى تفرزها الغدة الدرقية ، فصارت المسألة التى تحيِّر الأطباء هى : أن يعرفوا أين استقر هذا السرطان حتى يستأصلوه أو يعالجوه .

وقد وجدوا حلا لمشكلاتهم فى عقار جديد ، هو اليود المشعّ ، ثم فى عـداد جيجر ، فاليود يسـير فى الجسم إلى نسيج الغدة الدرقية ليستقرّ فيه ، كما يسير حمام الزاجل إلى وكره . وقد وضع اليود العادى فى الجهاز الرحوى (سيكلوترون) وقذف بالقذائف فصار يوداً مشعًّا . وأخذ منه مقدار قليل لا يؤذى ، وحقن به المريض ، وبعد قليل جعل الأطباء يستطلعون طِلْع بدن المريض بعدّاد جيجر ، فكان الدق فى العدّاد بطيئاً فى أول الأمر ثم ازداد سرعة ، وما لبث العداد حتى عين المكان الذى استقر فيـه اليود المشعّ — ومعه نسيج الغدة الدرقية السرطانى .

وقد صنعت مواد كيميائية أخرى تصلح لمثل هذا ، كانت غير مشعة فجعلت مشعّـة ، فاستعملت ذراتها للكشف ، ففتحت آفاقاً جديدة فى البحث الطبى . وقد خدر العلماء جرذان المعامل وأحدثوا صدوعاً صغيرة فى عظام سيقانها ، ثم أطعموا الجرذان فسفوراً مشعًّا . ولما كانت كسـور العظام لا تلتئم إلا على قدر ما تمتصه من الفسفور ، فقد اتخذ العلماء سرعة امتصاص الفسفور

بمقياساً لسرعة التئام الكسور . ثم استعانوا بعدادات جيجر ، التى تتبين ذرات الفسفور المشعّ ، فراقبوا العظم الحى وهو يمتص الفسفور ، واستطاعوا أول ما استطاعوا أن يحددوا معدل الامتصاص . وأما الخطوة التالية فهى الانتفاع بهذه الحقيقة فى علاج كسور العظام فى أبدان الناس .

وإذا ما حقن الصوديوم المشعّ فى الدم ، نقله الدم إلى جميع أجزاء الجسم . فإذا وضع عداد جيجر على قدم رجل استطاع الطبيب أن يحسب معدل جريان الدم فى القدم أدق حساب . وهذا أمر خطير الشأن ، حين يقضى التشخيص ببتر القدم . فالجرّاح يؤثر أن يبتر الساق تحت الركبة ، إذا لم يكن بدّ من البتر ، ولكن إذا كانت دورة دم المريض عاجزة عن أن تدفع مقداراً كافياً من الدم إلى حيث تم البتر حتى يساعد على اندمال الجرح — وهذا كثيراً ما يكون — ألفى الجرّاح نفسه مضطرًّا أن يجرى جراحة ثانية لبتر الركبة . فالصوديوم المشعّ وعداد جيجر ينبئان الجراح أين يستطيع أن يجرى البتر وهو آمن .

وأنت ترى دوائر الطب اليوم تموج بالحديث عن هذه المواد المشعة الكاشفة . ونحن اليوم أوسع علماً ببناء الخلايا والأنسجة الحية، وبكل جزء من أجزاء بدن الإنسان، لأن رجال الطب يستطيعون أن «يراقبوا» الأفعال الخفية فى الجسم الحى ، فغدوا وهم لا يحتاجون إلى الظن والتقدير . وأنت ترى اليوم عدادات جيجر قد صارت أشياء مألوفة فى المستشفيات التى ترود آفاق الانتفاع بالمواد المشعة الكاشفة، وسوف يزداد عددها على الأيام .

ومهما يأتنا به الغد ، فإن عداد جيجر سيبقى نافعاً فى إنقاذ حياة الناس من الهلاك. أما أن يستعمل فى معمعة الحرب الذرية أو فى سكون المعامل والمستشفيات — فذلك أمر مرجعه إلينا نحن .

قال لنا رجلٌ من معارفنا دأب على الخروج إلى عمله فى الساعة السادسة والنصف كلّ صباح ، إنه رأى منذ أيام أحد جيرانه يحاول أن يفتح باب بيته وهو ثملٌ يترنح ، فأقبل عليه الشرطىّ المكلف بحراسة الحىّ وقال : « إلى أين أنت ذاهب يا صاحبى فى هذه الساعة المبكرة ؟ »

فقال السكران : « إلى سماع محاضرة ! » [صحيفة « المساء »]

ضباب الموت فوق نيويورك



واقيد ب . باركر
قائمقام في الجيش الأمريكي ، معين في قسم القنبلة الذرية بوزارة الحربية
مختصرة من مجلة "مدفعية الساحل"

مقتطفات من مذكرات أحد المؤرخين في المستقبل

في الساعة الثالثة والنصف من صباح ٢٥ فبراير ١٩٥٢ ، استيقظ روجر جونز أحد سكان الحيّ الجنوبي في مدينة نيويورك ، مصاباً بغثيان عنيف لم يعرف له سبباً . وقد دام الغثيان ربع ساعة ، فلما عاد إلى فراشهِ لاحظ ضباباً كثيفاً يهبُّ على حجرته من نافذتهِ ، فدهش لأن الليل كان صافياً في أوله ، والريح قوية ملحة .

في الساعة الثالثة والدقيقة الأربعين وصل إليس مانشستر مدير ميناء نيويورك إلى رصيف الميناء فقد هبّ من فراشه على طلب مستعجل بالتلفون من معاونيه ، فقابلوه على الرصيف العاشر ، وكانت موجة عاتية قد دمّرت طرفهُ . وعلى الرغم من الظلام والضباب فقد تمكن مانشستر من أن يتبين امتداد التلف إلى الأرصفة الواقعة على شمال ساحل نهر الهدسن . وتجمع حوله طائفة من رجال أخذهم الروع ، فكانوا يعزون ما حدث إلى موجة مدٍّ طاغيـة أحدثها زلزال في عرض البحر . فلما انصرف عائداً إلى سيّارتهِ عرتهُ نوبةٌ مفاجئة من الغثيان.

وفي نحو هذا الوقت كان الدكتور حيرام ستراندبرج المتخصص في علم الأشعة في جامعة كولومبيا ، لا يزال في معمله على مألوف عادته ، فلاحظ أن عقارب الأجهزة التي تقيس نشاط الإشعاع ، قد جمحت حتى جاوزت مداها المرقوم ، فهبّ إلى المقارنة

إن الآراء الواردة في هذا المقال هي آراء الكاتب ، لا آراء وزارة الحربية الأمريكية .

بين ما حدث فيها وبين ما حدث في الأجهزة الأخرى ، ثم كلم زوجته بالتلفون وأمرها أن تبرح المدينة لتوها . ثم اتصل بالشرطة وبمحافظ المدينة وقيادة الجيش . وقد ترفق بعض الذين ردوا عليه وهم يرفضون أن يصدقوا ما يقول ، وأما الآخرون فقد ردوا رد النائم الساخط . فلما برح ستراندبرج معمله تبين ضباباً تدفعه ريح جنوبية غربية قوية — وهذا شيء لم يعهده من قبل .

فما وافت الساعة الخامسة حتى كان مكتب المحافظ قد غص برجال الحكومة ومديرى الصحف ومحطات الإذاعة، وكانت وجوههم شاحبة وكان شعر عوارضهم نابتاً لم يحلق ، فجعلوا يصغون إلى جماعة من العلماء بينهم الدكتور فيلكس نوفاك ، عالم الطبيعة الذائع الصيت وحائز جائزة نوبل الطبيعية ، وكان هؤلاء العلماء يصفون لهم وصفاً مختصراً كارثة لم يشهدها شاهد عيان يوثق به .

وقد مضت أشهر قبل أن تعرف قصة هذه الكارثة على وجهها ، فقد فجرت قنبلة ذرية ، ولكن أحداً لم يعرف أوضعتها غواصة في مكان تفجرها ، أم ألقتها سفينة في اليم بعد أن ضبطت فيها جهازاً يفجرها في موعد معين ؟ فقد تفجرت في الساعة الثالثة صباحاً ، فكان لانفجارها دمدمة مكتومة لم يتبينها سوى فئة قليلة من ملايين النوام في مدينة نيويورك. وقد دفع الانفجار بضعة ملايين من أطنان الماء في الفضاء مسافة ميل أو أكثر ، ولكن الماء كان رذاذاً كل قطرة منه مشحونة بشظايا دقيقة مشعة تنبعث منها أشعة « جما » وأشعة « بيتا » المهلكة . وكان العدو قد اختار أفضل ليلة توافق غرضه : فثمة ريح سرعتها ٣٠ ميلا تهب من موقع الانفجار متجهة فوق جزيرة منهاتان المستطيلة — قلب مدينة نيويورك . فلم تكد تنقضى ساعة أو أقل حتى كان الرذاذ الفتاك قد هطل على المدينة كلها . وعلى أن قوة الإشعاع المنبعث من رواسب الرذاذ كانت تختلف باختلاف الأماكن ، فإن الموت كان يهدد كل إنسان.

في الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة عشرة أمر المحافظ بتطبيق « الخطة ٢٩٩ » وهى خطة تقضى بإخلاء نيويورك ، وكانت قد أعدت منذ سنوات . وسرعان ما أخذت النذر والأوامر تغمر الجو من جميع محطات الإذاعة ، حتى ران عليها الصمت حين توقفت مولدات الطاقة بعد فرار المشرفين عليها . وقد فر غيرهم من رجال المرافق العامة ، ولكن رجال المطافىء والشرطة والعلماء لزموا أماكن عملهم مغامرين في تعرضهم لمقدار مهلك من أشعة « جما » . وكان العلماء أهدأ أهل المدينة روعاً ، وقد

جمعوا كلَّ ما فى نيويورك من عدَّادات جيجر — وكانت لا تزيد على مئـة ، ولو كانت عشرة الآلاف لـكانت قليلة — واستعانوا بها على تخطيط المناطق التى غزاها الموت .

ولم تكد تنقضى عشر دقائق على وصول خبر الانفجار إلى الدكتور نوڤاك حتى كان قد قدَّر مبلغ الإشعاع الذى انطلق منه ، وقال للمحافظ : « إن معدل المقدار المؤثر من إشعاع جمًّا فوق أشد أحياء المدينة تلوثاً به ، كفيل بأن يهلك أىَّ إنسان يقيم فيها أكثر من ثلاث ساعات . وفى مثل هذه الأحوال لا تحدث الوفاة إلا بعد انقضاء تسعة أيام على الأقل ، وقد يطول الأجل إلى ستة أسابيع ، وأما الأعراض فلا تظهر قبل مرور يومين أو ثلاثة أيام . وقد يبلغ المقدار المؤثر من الإشعاع فى بعض الأماكن مبلغاً يعقب الغثيان فى الحال . فهؤلاء المصابون يموتون فى بحر أربعة أيام . وأما الذين يستطيعون أن يهجروا المدينة لساعتهم فقد يفقدون بعض شعرهم فى الأسبوع التالى ، أو يصابون بحمى خفيفة ولـكنهم يبرأون برءًا تامًّا . والمستقبل وحده كفيل بأن يبين للناس ما يكون أثر الأشعة فى ذرّياتهم » .

وقد مات الدكتور نوڤاك فى اليوم التاسع بعد حلول الـكارثة . وعلى أن تقديره لقوة نشاط الإشعاع كان مدعاة للعجب فى إحكامه ، فقد مات كثيرون فى أقل من الزمن الذى قدروه . ذلك بأنه ما كان هو ولا المحافظ ولا رجال الشرطة ولا الجنود الشبان الذين أطلقوا الرصاص على الجماهير لتفريقهم ، يستطيعون أن يعرفوا أن موجة من الذعر والهستيرياستستبد بسكان المدينة وهم يحاولون الفرار من الجزيرة الضيِّقة ، فقد كان ذعرهم أفظع ذعر عرف فى تاريخ البشر .

لقد سحق ألوف منهم سحقاً فى محطات قطارات النفق وعلى الجسور وفى الأنفاق التى تحت النهرين ، ولم تكد تنقضى ساعة على تفشى الذعر بين النـاس حتى غصَّت مخارج المدينة بحطام السيارات وجثث القتلى ، وصار الفرار من المدينة متعذراً إلا على فئة قليلة ، منهم بعض الذين قطعوا أحد النهرين سباحة . وأما القطارات التى كانت فى المدينة ذلك الصباح فقد خرجت مكتظة بالركاب . وقد تطوَّع كثيرون من رجال القطارات الأبطال للعودة إلى المدينة ليخرجوا بفوج آخر من الناس ، فظلوا يدأبون على إخلاء المدينة حتى كادت تصفر من سـكانها ، وسكنت موجة الذعر . ولـكن هـذه العودة كثيراً ما عرَّضت المتطوعين للتأثر دقائقَ أخرى بالإشعاع ، فكان ذلك حسبهم

لكى يلقوا حتفهم بعد أربعة أسابيع .

كان سكان منهاتان، ساعة وقع الانفجار، مليونين أو أكثر . ويدلُّ الإحصاء الذى أذيع فيما بعد، وإن كان إحصاءً غير دقيق، أن عدد القتلى والمفقودين بلغ ٣٨٩١٠١ ، وأن معظم الذين كتبت لهم النجاة أصيبوا بضروب مختلفة من مرض الإشعاع . ثم إن ألوفاً كثيرة من الناس فى ضواحى نيويورك أصيبوا أيضاً ومات منهم خلقٌ كثير . وأقصى منطقة عن نيويورك نزل بها أذى الإشعاع كانت تبعد عنها ١٨٠ ميلا ، فقد حملت إليها تيارات الهواء فى ثورانها مقادير مركزة من مواد التحطم الذرّى .

أما الدكتور حيرام ستراندبرج الذى كان أول رجل تبين الكارثة مسجلة على لوحات أجهزته ، فقد عيِّن رئيساً للجماعات المزودة بعدّادات جيجر التى عهد إليها أن تخطِّط مناطق المدينة التى يكثر فيها الإشعاع أو يقلّ ، وقد ظلّ دائباً على العمل ليل نهار حتى أمرهُ الدكتور نوفاك أن يرحل . ولم يمض أسبوعان على حدوث الانفجار حتى أخذ شعرهُ يتساقط ، وفى اليوم الثامن عشر جعل وزنهُ يقلُّ ، وركبته حمى ، وبعد أربعة أسابيع علت وجهه صفرة الموت ، وأصيب بالرعاف المتردِّد ، ونقص وزنهُ ٢٥ رطلا ، ولم ينقذ حياتهُ سوى تكرُّر نقل الدم إليه وإعطائه مقادير من الهرمونات والفيتامينات . أما الحارس الذى كان يجاور العالم فى المستشفى فقد ظهرت عليه الأعراض نفسها، ولكنه مات فى اليوم الثانى والثلاثين .

وقد استغرق إجلاء جميع الأحياء عن نيويورك أسبوعاً كاملا . ولن يعرف أحد عدد الذين ماتوا بغير الإشعاع ، أو عدد الذين غرقوا فى النهرين ، أو قتلوا فى الأنفاق ، أو قتلوا بالرصاص وهم يسلبون وينهبون .

وفى اليوم السادس من شهر مارس عادت طائفة صغيرة من العلماء البواسل يحملون عدّادات جيجر بأيديهم ، وجعلوا يتلمسون طريقهم فى تيه الموت الخاتل طلباً لوثائق نفيسة . ثم جعلت جماعات أخرى تعود رويداً رويداً إلى المدينة ، حين بدأ نشاط الإشعاع يضمحلُّ عن جدران المبانى وأرصفتها وسلالمها وموائدها ، وكان بعض هذه الجماعات فى دبابات مبطَّنة بألواح الرصاص .

ولم يكن من اليسير أن تظفر بمتطوعين لهذه الجماعات ، ولو كانت فى حماية عدّادات جيجر ، فإن آثار أشعة « جمَّا » تتجمع فى الجسم ، وتكرُّر التعرُّض لها مهلك كالتعرض لقدر مركز كبير منها .

وظلت الجهـود تُـبذل طوال الربيع والصيف لتطهير أقسام المدينة الملوّثة بالإشعاع ، وقد غسلت مياه البحر من الطرق بعض الرواسب المشعَّة ، بيد أنَّ زوال الطبقـة السطحية ترك بقايا لم يجد الغسل المتكرر فى إزالتها . وكان تطهير المبانى من الخارج عملا من أشق الأعمال ،لأن رشها بالماء من خراطيم المطافىء كان كفيلا بأن يجعل الماء المشعّ المهلك يتجمع عند قواعدها .ولم يكن ثمة مواد كيميائية تبطل أثر سموم الإشعاع . وقد تلفت آلات تقوَّم بملايين لا تحصى من الريالات ، ولو كان نقلهـا مستطـاعاً لبقيت ملوّثة لا يقربها أحد .

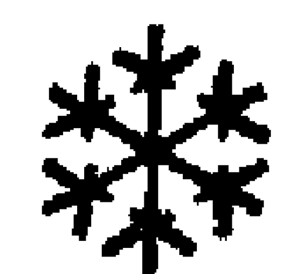
وقد ظلت مدينة نيويورك سـنة كاملة مدينة مهجورة حتى أعلنت الحكومة أنها صارت صالحة لإيواء الأحياءِ من سكانها .

هذا هجوم متخيل ولكن ليذكر القارىء ثلاثة أمور :

الأول ــ ليس فى هـذا البيان الذى قرأتهُ شىءٌ يتوقف حـــدوثهُ على ما يتمّ من تقدم فى العلم الذرّى . فالقنبلة كما هى اليوم ، وكما ألقيت على اليابان وامتحنت فى بكينى ، تستطيع أن تحدث الأذى الذى وصف فى هذا المقال .

الثانى ــ أن معظم رجال الحرب الذين تعهَّـدوا القنبلة يشكُّون فى إمكان الظفر بدفاع مُجْدٍ ضدّ قنبلة تستعمل على هذا النحو .

الثالث ــ ينبغى أن نبذل كلّ ما فى طاقتنا لتحقيق هيمنة دولية على الطاقة الذرّية ، والرجال الذين تعهدوا القنبلة الذرّية يرون أن الخطة الأمريكية المعروضة على الأمم المتحدة ، هى خير حلٍّ لهذه المشكلة .



سرُّ حسن التمثيل

ذهبت ممثلة ناشئة إلى برنارد شو وسألتهُ أن يبدى لها رأيه فى قدرتها على التمثيل . فبعد أن مثلت أمامه عدة أدوار طلبها ، أغرب فى الضحك وقال : «اذهبي يابنيَّتى وتزوجى وليكن لك طفلان أو ثلاثة ، وتمرسى قليلا بحقيقة الحياة ، ويومئذ ربما تصيرين قادرة على أن تمثلى» . ففعلت ، وعادت إلى المسرح بعد غيبة دامت خمس سنوات ، فصارت سيبيل ثورندايك أشهر ممثلات المسرح الإنجليزى .

[صحيفة ورلد تلجرام]

رسالة من رجل جمع بين الأدب وعلوم الحياة

طريق إلى العفة

دونالد كلروس پيتي

إنه المقالة التى نشرت بعنوان « دفاع عن العفة » كانت حديث الناس فى أنحاء البلاد كلها . والسيدة مرجريت بانيج ، كاتبة المقالة ، صديقتى وجارتى . وإنه لمما يملأ القلب غبطة أن ترى من يدافع عن هذه القضية ، وبخاصة امرأة معروفة بجودة التأليف وسمو الأغراض .

ولكن كان مما أثار نفسى أنى رأيت مقالة السيدة مرجريت قد بنيت على نفس النواهى القديمة التى طال ترددها لزجر الشبان منذ أقدم العصور ، وحسبى أن أدع الأرقام التى ذكرتها فى مقالتها عن الأمراض التناسلية وعن المخادنات ، تقول بلسانها ماذا أجدت علينا هذه الزواجر ! وكأنى بها تريد أن تقول إن المرء إذا اعتصم بعفته جنى ثمرة ذلك صحة وعافية وتوقيراً عند الناس .

ولما كنت فى الكلية عرفت بعض الأصدقاء الذين ألفوا أن يسيروا على نظام متبع فى غواياتهم غير نادمين، وهم يستطيعون أن يدلوك على طرق كثيرة لتوقى مايخاف . والوقاية من المرض ومنع الحمل ، هما وإن كانا غير مأمونين كل الأمن ، إلا أنهما أكثر أمناً من المرور فى طريق مزدحم بالسيارات، إذا تولاهما طبيب حاذق . فلم يبق إذن شيء من العواقب المخوفة التى تهدد الآثمين سوى استنكار المجتمع وتنكره لهم . وما أهونه من تهديد ! لقد شهدت الناس وأنا لا أزال طفلا يضمرون للمرأة المطلقة ريبة فى أمرها ، وإن كانت طلقت من زوج سكير عربيد ، فانظر كيف صار رأى الناس بعد عشرين سنة ! صار الرجل يقارف آثامه وشهواته غير متحرج من استنكار المجتمع أو تنكره . ويخيل إلىّ أن الناس بدأوا يغتفرون الزلة للفتاة التى تعرف كيف تتقى آثارها .

بيد أنى أرى أن السيدة مرجريت لم تكن لتشغل نفسها بالعفة لو لم ترها فى خطر داهم . والعفة ذات شأن وخطر لأنها حق، ولأنها جميلة ، ولأنها شيء يجد فيه صاحبه مفخرة لا يجدها فى شيء سواها .

إنى لأسمع سخرية الساخرين يقولون : «إن استطعت فقل هذا لناشئة هذه الأيام ! » فإن فعلوا فحسبهم أن يعرفوا أن هذا هو

الشيء الذي قلته للناشئة في أحيان كثيرة ، فتقبلوه مني تقبلاً يدهش الساخرين .

فأنت إذا بذلت لهم نصيحتك وهم في ريعان الصبا ، رأيتهم ظماءً إلى أن يسمعوا منك أن الفضيلة شيء يستحق أن يحرص المرء على حيازته ، وهم لا يطالبونك إلا بأن تأتيهم بالرد المقنع على وسوسة الساخرين حين يقولون : إن المُثل العليا لإفراطها في السمو، صارت بعيدة على يد المتناول. ولن تجد عند الناشئة إلا الشكر لك حين تصدُقهم وتحدثهم بعبرة استخلصتها من تجاربك أنت في الحياة . وفي قلوب هذه الناشئة الغضة شوق خفي إلى النصائح الصادقة التي أنضجتها الأيام ، إذا أحسنت تقديمها إليهم .

وسرعان ما يلقى النَّشَأ الصغار أن طريق الحياة قد كثرت فيه السبل المتشعبة، فيعجل كل منهم ويختار لنفسه سبيلا يسلكه . فإذا ساءك اختياره ، أنحيت باللائمة على الناس جميعاً إلا نفسك وقد سكتَّ حين كان يجب عليك أن تتكلم ، وتتطلب لنفسك المعاذير عن صمتك فتقول : لقد غلبني الحياء ، وكنت أظنُّ أن الصغار لن يستمعوا إليَّ ، وأنهم يتبجحون في كلامهم حتى يخيل إليك أنهم أكثر منك معرفة وعلما ! وكذلك ماتت كلمة الحق — تلك الكلمة الجريئة الجميلة التي لا يُستحَى منها .

وإذا أردنا من الشباب أن يجاهد نفسه حتى لا يتورط في غوايات الفسوق ، فلا بد لنا من أن نضع في يده سلاحاً أفعل من الخوف . وقد دللت السيدة مرجريت على أن الخوف وحده غير كاف في عصمتهم . ولست أعني بذلك أن نتجنب ذكر الحقائق التي عرضتها ونخفيها عنهم، بل أرى أنه لا بد من عرضها على الشباب صريحة وبلا مواربة — ولكن دون أن نقرنها بالحب حين نذكرها .

نعم أقول الحبّ ، والحبُّ أقوى من الخوف وأفعل ، وهو الشيء الذي ينبغي أن نديرعليه حديثنا معهم. فمن غلبه الخجل مما أقول ، فليغمض عينيه ويسدّ أذنيه حتى لا يسمع .

ما أسهل إغراء الشباب أن يجودوا بالمهج في سبيل مثل أعلى يهديهم إليه من هم أكبر منهم سناً ، وبذلك تشهد قبور المجاهدين في كل أرض . فمن البعيد إذن أن يكون أشق من هذا وأعسر أن تقنع الفتى بأن الحرص على العفة فرضٌ واجبٌ عليه ، وأنها أمانة في عنقه لنفسه ولزوجته ولأولاده .

نعم إن من الفتيان فتياناً لم يألفوا قط الطاعة والنظام، فهؤلاء قلما يرجى منهم أن يستجيبوا لما تدعوهم إليه، وكذلك شأن بعض الفتيات. ولم تخل الدنيا قط من أمثال هؤلاء، والذنب

في ذلك ذنب الأمهات والآباء . ولكن هل يعجزك أن تجد في العفة مزية تغرى سائر الشباب بحبها وطلبها والحرص عليها ؟ أم تراك لن تجد حيلة إلا أن ترهبهم وتنفرهم بذكر العواقب الوبيلة التي تجلب عليهم الأمراض ؟ أم تراك ستلقى السَّلَم ويسقط في يدك ، لأنك لم تحاول شيئاً ، ولأنك لا تستطيع أن تقول « هذا لناشئة هذه الأيام » !

لقد رزقني الله ثلاثة أولاد، ولن أعرف هل أحسنت هدايتهم وتقويمهم حتى تنقضي عشرون سنة منذ هذا اليوم،فإنهم لم يشبُّوا بعد . وسوف أذكر لهم « حقائق الحياة » التي سلم الناس بها مجردة من كل تكلف ، فإذا فعلت ذلك فسأقول لنفسي إني لم أبدأ بعد ما ينبغي أن أبذل من الجهود في تهذيب عواطفهم وتقويمها .

وأعظم ما أبتغيه هو أن أجعل أبنائي يحسنون الحب ، فإن الحب والعفّة كلمتان مترادفتان . وهذا كلام ينبغي أن لا نكف عن ترديده عليهم ، وبخاصة حين يبلغون من العمر مبلغاً يسمعون فيه لجاجة الساخرين وهم يزعمون أنه ليس في الدنيا شيء يسمّى الحب العذريّ ، وأن هذا الحب ليس إلا بهرجاً وزينة أضفاها الشعراء على شيء لم يخرج عن أن يكون عملا طبيعياً من أعمال غدد الجسم الإنساني ، وأن هذا العمل الطبيعيّ هو من خاصة شأن الفرد لا علاقة له بالمجتمع (هكذا يقول عقلاء الناس !) ولا تبعة فيه على فاعله .

والشابُّ المحبُّ لا يعبأ شيئا بمثل هذا الضرب من الفاسفة . فالمحبُّ ، ذكراً كان أو أنثى ، يدرك حق الإدراك أن العفَّة هي دستور حبّه ، وأنها هي الميثاق بينه وبين الحبّ .

وقلت إني أحبّ لأبنائي أن يحسنوا الحبّ ، لأن المحبّ عفيفٌ بفطرته وباختياره . فمعنى ذلك إذن أني أحببتُ لأبنائي أن يكونوا من أهل العفّة ، حين أحببت لهم أن يحسنوا الحبّ . فأنا أومن أصدق الإيمان بأن عفّة الفتى والفتاة جميعاً قبل زواجهما ، أعظم خطراً من كل المزايا التي يظفر بها الذي طال تجريبه للحبِّ المدخول .

وحين أقول إني أحبّ لأبنائي أن يحسنوا الحبُّ ، فلست أريدُ بذلك أن أجعلهم يحسنون غواية المرأة وإغرائها ، أو أن يكونوا أُلاّفاً للنساء وأتباعاً . فالمحبّ الصّالح هو عندي الزوج الصالح ــ أي الذي لا يقتصر أمره على أن يكون زوجاً مطمئناً في عيشه ، مخلصاً لامرأته ، صبوراً قريب العَفْو ، بل هو الذي يجعل امرأته تحسّ دائماً أنها بمنزلة كمنزلة الملكات ، وأن يده

الرفيقة تمسح عن قلبها الهموم حتى تحسّ بالحياة ونشوتها وأفراحها .

وأنا منذ اليوم لا أزال أبذل الجُهْد بعد الجهد في أن ألقّن أبنائي ، عامداً وغير عامد ، أني أعتقد أن المرأة مخلوق مطهّر مقدّس . أما أمهم فتعلمهم كيف يربأون بأنفسهم عن أن يسلموا قيادهم لشيطان غويّ من أترابهم . فكلانا حريص على أن يمزج لهم الدعابة والصراحة بالإخلاص في الحديث . وبذلك نرجو لهؤلاء الصغار الثلاثة أن ينشدوا أفضل الأشياء بفطرتهم ، وأن لا يقنعوا بشيء دون أفضلها . والعِفّة في هذا الباب ليستْ نِيراً مضروباً على الأعناق ، ولن نجعلها تبدو لهم كذلك وهم بين ظهرانينا ، بل هي في ذاتها فضيلة من فضائل الدين ، ومفخرة من المفاخر العظيمة ، وزينة لكل من يتحلى بها .

وأنا أسأل الله أن أرى أبنائي وقد أحبوا في ريعان صباهم حبّاً خالصاً لا تصنّع فيه ، وأن يدوم عليهم هذا الحبّ — فهو خير عاصم لعفافهم . ولن أزعم أنّ هذا شيء تسهل المحافظة عليه ، فالأشياء الشريفة التي يسهل نيلها وتحصيلها قليلة ، فإنّ معظمها يقتضيك نيلها سنوات من ضبط النفس والمثابرة . وهذا العُسْر في تحصيل العفّة والمحافظة عليها هو سرّ كمالها ونُبْلها .

وأنا أرجو أن ينشأ أبنائي وهم يدركون هذا حق الإدراك ، فلا يكونون من الحمق والجهالة بحيث ينفضون أيديهم من الشيء إذا تطلب منهم جهداً . وقد أخذوا اليوم يدركون أنه لزامٌ عليهم أن يرعوا حقوق الناس ولا يعتدوا عليها ، وأنه لزام عليهم أن يتحمّلوا الحرمان بلا ضجر ولا شكوى ، وأن كل مزية يمتاز بها المرء لا بد لها من تكاليف وتبعات . فمن أجل ذلك لن يفاجأوا في زمن المراهقة بدعوة إلى ضبط النفس لم يكن لهم بها عهد .

وسيكونون مزوّدين بشيء أفعل وأمضى من النواهي التي يكلفون اجتنابها ، وبشيء أنبل من مجرّد الحذر على صحتهم وحسن سمعتهم .

فأول ما أفعله أن أشرح لهم مسألة العفّة من الناحية الطبيعية — وهذا وحده شيء حسن . وسأقول لهم باللفظ الواضح الصريح الذي يؤثره الشباب : إن العلاقة الجنسية ترمي في كل وقت وفي كل حال إلى الزواج ، وأن هذا هو هدفها سواء أأريد منها الولد أم لم يرد ، وسواء أكانت هناك خِطبة وعقد زواج أم لم تكن ، وأنها تتضمن دائماً معنى اختيار الزوج الذي تريد معاشرته . وأن المغازلة التي تسبقها تحدث في نفس كل منهما وفي بدنه أثراً قوياً عميقاً

لست بصــدد الحـكم على أفعال أولئك المحبين الذين اســتغنوا قديماً ولا يزالون يستغنون في حبهم عن الزواج ، بل أنا بصدد الحديث عن هذه الغريزة الجنسية العظيمة التي فطرنا عليها جميعاً . والغرائز أوامر مقدسة يملها الجنس البشري على أفراده . فغريزة المحافظة على النفس تقول للحيّ : اتّق الموت ، واتّق غوائل الجوع ، واتق الضعف ، واتّق المرض . وغريزة الأمومة تأمر الأم أن تؤثر أبناءها على نفسها وعلى الناس . وغريزة التناسل تدفعنا إلى البحث عن الزوج ، والزواج هو كل هدفها ، وكل ما يتعلق بهذه الغريزة ليس له هدف سوى هذا الهدف .

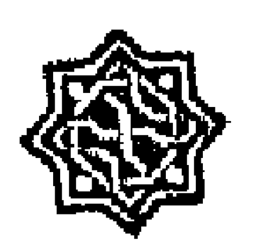
وسأواصل الحديث فأقول لأبنائي : أنّ الإنسان لم يخلق حيواناً لا عقل له ، إنّ له عزيمة ورأياً في تصريف حياته . نعم إنه لا يستطيع أن يُغفِل حُكم الغريزة الجنسية إغفالا تاماً ، ولا يحقّ له أن يفعل ذلك ، ولكنه يستطيع أن يتخيّر الوقت وأن يتخيّر الشريك . فإذا عجز عن مثل هذا العمل ، فهو خليق أن يستحي من نفسه. فإنّ الحياة أرض مقدسة ـــ وهذا شيء سأردده على أبنائي ما استطعت ـــ فعلينا إذن أن نسير فيها بوقار ، وأن نتقبّل بالشكر هذا العمر القصير الذي أنعم به علينا لكي ننال نصيبنا من هذه الأرض المقدسة ، ويكون لنا فيها سلطان وتصرّف حتى تخرج لنا ما نشاء من ثمراتها .

وهذه الثمرات هي أبناؤنا . وإذن فليس جميلا بالمرء منا أن يكتفي بأن يتخيّر لأبنائه الرّحِم الذي يولدون منه ، بل أن يتخيّر لهم الأب الذي سوف يُجْرِي دَمُه في دمائهم . والرجل الذي يظل عشر سنوات أو خمس عشرة سنة وهو «ينهز مع الغُواة بدَلوهم» ليلا ونهاراً حتى يمنّ الله عليه بفتاة طيبة يسكن إليها ويستقرّ ، خليق أن لا يعجب أو يحار إذا رزقه الله ابنة تكون سيرتها في الحياة كسيرته . وخليق به أن لا يدهش إذا جاء يوم ففتنته أنثى خرقاء حمقاء فتزوجها ، فإذا هي تلد له من الولد كل أخرق أحمق ، فإذا هؤلاء البنين والبنات ينزِعون إلى آثار يقتدون بها ، وَليس يَسَعْ أباءهم عندئذ أن يركبوهم بالتأنيب والملامَة .

وسوف أذكر أبنائي دائماً بأنّ كلا منهم كملتقى السُبُل يجتمع عنده ما لا يعدّ من سُبُل الوراثة . وأنّ أحدَهم إذا تخيّر لنفسه فتاةً ، فلن يكون قد تخيّر طائفة من المحاسن والمفاتن ، بل لقد تخيّر أيضاً أسرةً وسِيرتَها ، وأصلا تَنزِعُ إليه بأعراقها .

وسيكون هذا الاختيار حاسماً وإن لم يكن الزواج قد خطر لهم ببال قط ، بل كان كل همهم أن يجربوا بعض التجارب القليلة الخطر. وإنى لاتوقع أن ينشأ أبنائى على قسط من رقة الحس وكرم الطبيعة كسائر من ترى من الشبّان ، فمن أجل ذلك أرجو أن ينفعهم قولى حين أقول لهم إن اتخاذ الخليلات فيه من الخطر ما فى اللعب بالنار ، فإنه تأتى على المرء ساعة لا يملك بعـــدها أن يتراجع أو يتملص . وقد تأتى هذه الساعة بأسرع مما يتوقع ، فإن المرء الذى يلتمس المتعة الجنسية يزداد إيغالا فى طلبها والحرص عليها مرّة بعد مرّة ، طمعاً فى أن يحسّ فى المرة التالية بمثل النشوة التى خامرته فى المرة السالفة . وسأقول لهم إن الفتاة التى « لا تَرُدّ يد لامس » قد خسرت عصمتها وأمانتها ، وأنها قلمّا توفق إلى التخلق بأخلاق الزوجة المحبـة . والفتى الذى يخلع رداء عفتــه مستهيناً به ساخراً منه خليق أن لا يظفر بهذا الرداء السنىّ البهىّ إذا طلبه مرة أخرى .

ولست أعنى أن الزّلة الواحـدة تمحق البدن أو النفس ، ولست أحبّ قط أن يظن أبنائى أن آباءهم لن يغفروا لهم خطاياهم أو يعذروهم فيما فعلوا ، بل أعنى أن الزّلة فى طريق الحبّ تنحـدر بالمرء إلى زلاتٍ تتبعها، وكل امرىء يعرف ذلك فى سرّ قلبه إنها تنحدر بالمرء إلى ندامة مُرّة لا تجدى فى إصلاح ما فسد ، وإلى اشمئزاز عنيف يسأم منه كل محب عفيف ، وإلى غلظة تتغلغل فى القلب والشعور . نعم إن النفس القوية ذات العزم تستطيع أن تعودَ مصعِّدةً فى هذا المنحدر الذى انزلقت فيه حتى تنحو نقية طاهرة ، بيد أن النفوس القوية ذات العزم ليست هى النفوس التى تزلُّ عند أول فتنة ، بل هى النفوس التى تحافظ على عفتها وطهارتها ، وفى خلال هذه المحافظة ، تظل نشوة الحبّ وسموّه ونبله باقيةً على عرشها الذى يتزعزع .



ما أعجب هــذه الدنيا ! إذا لزمت الصمت عدّك الناس جاهلا ، فإذا فتحت شفتيك بالقول لم يبق عندهم شك فى ذلك !

إذا لم تكن فصوليا فذلك دليل على أنك أبله . [الدكتور فرانك كرين]

صنعت آلة جديدة تفتح أبواب مستقبل لا يحد لعشب عريق في القدم هو :



"رامى" العشب العجيب

ادوين ج . بكر

مختصرة من صحيفة "تورنتوستار" الأسبوعية

عرف الناس منذ آلاف السنين مادة لا تفضلها مادة لصنع القماش والغزل والحبال والسجاجيد — أى لكل شيء يغزل أو ينسج تقريباً . وهذه الألياف العجيبة لامعة كالحرير ، وأبرد مساً من الكتان ، وأقدر منه على امتصاص الماء ، ولا تحتاج إلى شيء يبيضها ، لأنها بيضاء ناصعة . وهي كالقطن يسهل غسلها ولكنها تختلف عنه ، فليس فيها شيء من زغبه . ثم تجدها لا تتقلص على الأيام ، ولا تمتد أو تسترخي ، ولا يحول بياضها .

فلم لم ينتشر استعمالها في نواحي الأرض ؟ كان السر في ذلك أن هذا العشب ، المعروف باسم « رامى » غالي الثمن . وهو يستخرج من تحت لحاء نبات سنوي كالأعشاب ، يزكو في التربة الخصبة والإقليم الدافىء والمطر الغزير ، فتنجم سوقه وترتفع ست أقدام في الجو في بحر ٦٥ يوماً . وهو نبات لا تكلف زراعته نفقة كبيرة ، بيد أن حصده ونزع لحائه الصلب وفصل الألياف من الصمغ الذي يحيط بها ، كان حتى اليوم عملا مرهقاً ينبغي أن يتم بالأيدي . ولو تم هذا العمل في الهند أو الصين ، حيث الأيدي العاملة أرخص ما تكون في العالم ، لوجدت ثمن ألياف «رامى» قد بلغت مبلغاً يعجزها عن أن تبارى الألياف الأخرى ، إلا إذا طلبتها لأغراض خاصة . ومع هذا فقد كانت الصين تنتج ٢٠٠٠ طن منه كل سنة قبل الحرب .

وقد مضت عشرات من السنين في البحث الذي لم يجد ، حتى صنعت آلات جديدة تستطيع أن تحصد نبات « رامى » وتعد أليافه للانتفاع بها . وترى اليوم جماعة من أهل الأعمال المتمرسين في أمريكا قد زرعوا هذا النبات في آلاف من الأفدنة هذه السنة . ويتوقع رجال المباحث الزراعية في الولايات التي تحف بخليج المكسيك ، أن يزرع فيها نبات رامى على كر الأيام في عشرة ملايين فدان ، فتصير أليافه محصولها الأول .

والرجل الذي صنع إحدى الآلات الموفقة التي تحصد نبات رامى وتقشر لحاءه وتزيل الصمغ عن أليافه ، يدعى جلبرت بريرتون ،

وهو كندي من أصل إرلندى ، وقد كان فى لنـدن أيام الحرب الجوية الخاطفة التى شُنَّت عليها، فلاحظ فى أحد الأيام خرطوماً يستعمل فى كفاح النيران ، وتبين أنه يحتمل ضغطا شديداً ويعرك عركا قوياً فلا يبلى . فبحث عن سر ذلك ، فوجده مصنوعاً من ألياف رامى التى يجعلها البلَـلُ أقوى وأمتن. وعرف لِمَ ظل الناس يجهلون هذه المادة العجيبة ، فعزم على أن يصنع آلات تجعـل إنتاجها قليل النفقة .

وقد كان إقدامـه إقدام الرجل الذى يجهل ما يعترضه من مشاق . فهو لا يدرى عدد المخترعين الذين عزموا على مثل ما عزم حتى قبل ولادته ، ثم باءوا بالخيبة والخسران. ففى سنة ١٨٦٩ عرضت الحكومة البريطانية جائزة قدرها ٢٥,٠٠٠ ريال تعطى لمن يصنع آلة تستطيع أن تقشر لحـاء نبات رامى قشراً موفقاً ، فلم يظفر بالجائزة أحد . وقد سجلت فى دائرة المخترعات الأمريكية آلات خاصة بنبات رامى فزادت على الألف .

وقد طوّف بريرتون فى أرجاء الأرض مستقصياً أساليب زراعة هـــذا العشب وأساليب حصاده . ثم عكف فى ورشة فجعل يصنع الآلات ثم يفككها ثم يعيد صنعها على وجه آخر ، وأقام على ذلك سنتين .

وأخيراً امتحنت آلاته فى مزرعة زرع فيها نبات رامى على سبيل التجربة . وآلته التى تقوم بعمل الحصاد وقشر اللحاء شبيهة بالآلة التى تتولى حصاد القمح ودرسه ، وهى تحصد النبات وتقشر لحاءه وهى ماضية فى الحقل، ثم يزال الصمغ عن الألياف فى مصنع خاص . وقد ثبت فى الحرب أن هذه الألياف خير ما تصنع منه الحبال للأسطول ، والخراطيم لكفاح النار ، وحبال المظلات للطيّارين . وقدرتها على مقاومة الانقطاع تفوق قدرة ألياف الكتان أربعة أضعاف، وتفوق قدرة ألياف القنب ثلاثة أضعاف ، وتفوق قدرة ألياف القطن ثمانية أضعاف. وقد مضت سنة منذ صنعت ملابس من ألياف رامى . وهناك شركات تتأهب لتعرض فى السوق قمصاناً للعمل أو الرياضة وملابس للصيف مصنوعة من هــذه الألياف ، أو ملاءات للأسرة وأقمشة للتنجيد وشباكاً لصيد السمك .

لقد لفت موميات المصريين القدماء فى أكفان بقيت أربعـة آلاف سنة — لقد كانت منسوجة من ألياف رامى . وقد قال أحد أصحاب مصانع المنسوجات وهو يبتسم: « المشكلة فى ألياف رامى أنها بالغة المتانة . فعلينا أن ننسجه مع القطن حتى نطمئن إلى أن بعض الخيوط على الأقل عرضة للبلى » .

صراع مع وحش البحر

فيكتور هوجو
الشاعر والروائي الفرنسي العظيم

مختصرة من كتابه "الكادحون في البحر" عن مجلة "جولدن بوك"

أخذ الفتى جليات يتنقل بين شعاب البحر وصخوره ، حيث ارتطمت سفينته وغرقت منذ عشرة أسابيع . وقد قضى شهرين ولا طعام له سوى السرطان، ولكنه لايكاد يجد اليوم سرطاناً يصطاده ، فقد ثارت عاصفة ردّتها إلى كهوفها المنعزلة البعيدة، ولم تقو بعدُ على العودة إلى الشاطىء .

وبينا هو يدير في نفسه العزم على الاستغناء عن السرطان ببعض السمك ، إذا به يسمع خشخشة عند مواطىء قدميه فانتبه، فرأى سرطاناً كبيراً ، ولم يكد السرطان يشعر بدنوّه منه حتى غاص في الماء .

أخذ يطارد السرطان ويتبعه عند مستقر الصخرة تحت الماء ، ولكن السرطان كان أسرع منه ، فغاب عن عينيه ، واندسّ في فجوة تحت الصخرة . وكان فيها كما قدّر ، ثغرة واسعة اتخذها السرطان لنفسه ملاذاً. وكانت هذه الفجوة أشبه بالسقيفة .

لم يكن الماء الذي تحتها عميقاً ، فاستطاع أن يرى الحصباء في قراره . فوضع سكينهُ بين أسنانه وطلع على رأس الفجوة ثم نزل إلى القرار ، فبلغ الماء إلى منكبيه .

وسار في الفجوة حتى انتهى إلى طريق مسدود عليه سقف كأنه قبة معقودة، ولكنه لم يجد للسرطان أثراً .

فرأى عند سطح الماء شقاً مستوياً تناله يدهُ ، فقدر أن السرطان قد لاذ به ، فأولج يده ما استطاع وأخذ يتلمس جوف هذه الفجوة المظلمة ، وإذا به يحس أن شيئاً قد أمسك ذراعه ، فاعترته قشعريرة من هلع غريب لايكاد يوصف .

هذا شيء حيّ دقيق ، خشن الملمس ، عريض ، بارد ، لزج ، قد أخذ يلتف حول ذراعه العارية الممتدة في الأعماق المظلمة . كان ضغطه كضغط حبل يربط ، وكانت حركته المستمرة كحركة بِزال (بريمة) يُدار ، وما هو إلا خطفة حتى أخذ هذا اللولب العجيب يلتف حول معصمه ومرفقه حتى بلغ الكتف ، وإذا طرف دقيق ينفذ إلى تحت إبطه .

فارتدّ جليات راجعاً ، ولكنه لم يجد لذلك حولاً ولا قوة ! لقد سمر في مكانه ، فبذل جهد اليائس حتى يخلص ذراعه، ولكنه لم يفعل سوى أن أثار ثائرة عدوّه الذي

جعل يشتـد في التفافه على ذراعه — لقد كان لدناً كالجلد ، صليباً كالحديد ، بارداً كظلمات الليل .

وخرج من الشق شيء آخر ، فكان سنوناً ممتـداً دقيقاً كأنه لسان هولة من الهول،وأحس كأنه يلحس بدنه لحساً . ثم امتد فجأة ،وإذا به يزداد طولا ويزداد دقة كلما دب على بدنه وجعل يلتف عليه،وماهو إلا أن سرت فى جسده لواذع آلام لم يلق مثلها فى حياته ، حتى أخذت عضلاته تتقلص.

ثم خرج من شق الصخرة شيء ثالث يتموج ، كأنمـا يتامس طريقه حول بدنه ليلتف على ضلوعه التفاف الحبل . وقد فعل.

والهلع يخرس اللسان ، فلم يستطع الفتى أن يصرخ . وكان هناك بصيص من الضوء أتاح له أن يرى تلك الأشياء البشعة المنظر، والتى جعلت تلتف عليه .

وبرز سوط رابع ، ولكنه كان سريعاً كالسهم ، فأهوى إلى بطنه والتف حول خصره .

كان محالاً أن يقطع أو يمزق هذه الحبال اللزجة التى اشتد التفافها على بدنه ، والتى نشبت فى أماكن كثيرة منه ، وكان كل مكان منها مجمع آلام لامثيل لها ، حتى أحس كأنه فريسة تقضم منها آلاف مؤلفة من أفواه صغيرة دقيقة .

ثم طلع من الجحر شريط خامس طويل لزج ، فدب ذبيبه فوق إخوته والتف على صدره التفافا شديداً، فزاد مايجد من الآلام حتى شق عليه أن يتنفس .

ولم يلبث أن رأى بَضْعة مسطحة مستديرة ضخمة ظاهرة اللزوجة قد أطلت من جوف الفجوة، وكانت هى مجمع هذه الألسنة الخمسة التى التفت عليه . ورأى فى الناحية الأخرى من بدن هـذه الهولة البشعة ، منبت ثلاثة ألسنة شبيهة بالخمسة الأولى ، ورأى أطرافها لاتزال تحت الصخرة. ورأى فى وسط هذه البضعة المستديرة عينان تَبِصَّان ،واستقرت العينان على جليات .

إنها الأخطبوط !

وإنه لعسير على من لم يره بعينه ان يصدق أن الأخطبوط خلق موجود ، ولو قورنت به الحية ذات الرؤوس لما كانت شيئاً مذكوراً.

والأخطبوط حيوان لاعضلات له ، ولا زمجرة،ولا صدر ، ولا قرن ، ولا إبرة ولا مخالب ، ولا ذيل يقبض به أو يضرب،وليس له زعنفة ولا ظفر ، ولا شوكة ، ولاناب . ولاقوة نافضة كالكهرباء ، وليس له سم ولا منقار ولا مواضغ . ومع ذلك فهو أقوى المخلوقات سلاحاً .

وهذه الهولة المفزعة كثيراً ما توجد بين الصخور فى عرض البحر، وهو رمادى اللون

ويبلغ طوله نحو خمس أقدام ، وسمكه نحو سمك ذراع الرجل ، وهو حيوان مشعَّث الخلقة، وهو أشبه شيء بمظلة مغلقة لا نصاب لها ولا بد . فهذه الكتلة المشعثة تقبل عليك

سَريئة رويداً رويداً، وإذا بك تراها تنفتح كما تنفتح المظلة ، وتخرج من حول الوجه والعينين فجأة ثمانية ألسنة ، وهذه الألسنة أجسام حية سريعة الحركة، فتمتد وتتموج كأنها ألسنة من لهب .

وهو إذا قبض على حي خنقه، وإذا مسه شل حركته، وإذا رأيته فهوكأنه لحم خشن قد ضرب فيه الصديد . إنه الوباء والأمراض مجسمة في مخلوق .

وتحت كل لسان من هذه الألسنة الثمانية صفّان من الأفواه المصاصة مختلفة الأحجام، فأكبرها ما كان عند الرأس وأصغرها ما انتهى عند الأطراف، وفي كل صف خمسة وعشرون فماً مصاصاً ، فمع كل لسان من الألسنة الثمانية خمسون مصَّاصاً ، وعدتها جميعاً أربعمئة مصاص . وهذه الأنابيب المصاصة الصغيرة تستطيع أن تنفذ في البدن إلى نحو بوصة أو أطول .

وهذه المصاصات هي الأداة التي يفترس بها فريسته ، فإذا على بدنها مصاصات تمص الدّم في مئات من المواضع ، وهي لا تعض ولا تنشب كالمخالب ، ولكنها تخدش خدشاً

لا يكاد يوصف. إن تمزيق الجلد شيء مفزع، ولكنَّه أقلّ إفزاعاً من مصّ الدّم .

هذا هو المخلوق الذي وقع الفتى جليات في قبضته .

التفَّت على الفتى خمسة ألسنة من ألسنته الثمانية ، وبقيت منه ثلاثة متشبثة بالصخرة ، فكذلك بقي الأخطبوط متعلقاً بالصخرة من ناحية، وناشباً في فريسته من ناحية أخرى، وأصبح الفتى مقيداً إلى الصخرة لا يستطيع عنها حولاً . ورأى ٢٥٠ فماً مصاصاً قد أشرعت نحوه ، فهو من رؤيتها في استبشاع ممضّ وعذاب واصب .

لقد ذكرت أن المرء لا يستطيع من قبضة الأخطبوط خلاصاً ، ولا تجلب عليه محاولة الخلاص إلا اشتداد قبضة الأخطبوط عليه. فلم يكن للفتى نجاة ولا ملاذ إلا سكينه التي في يسراه .

وهذه الألسنة التي يمدّها الأخطبوط لا ينفع فيها القطع ، فهي جلد لا تعمل فيه السكين بل تنزلق إذا جرت عليه، فإذا حاول قطعها فلن يزيد على أن يقطع في جسده هو.

إنه خلق مفزع هائل ، ولا نجاة منه إلا بشيء واحد ، يعرفه الماكون ويعرفه خنزير البحر أيضاً ، إنهم يعرفون الضربة التي تطيح برأسه . نعم ، فإن مقتله الوحيد في رأسه ، ولقد كان الفتى يعلم ذلك حق العلم.

إنه لم ير فى حياته أخطبوطاً بهذا الحجم، وهذه أول مرة يرى فيها هذا النوع الضخم. ولو كان غيره لطارت نفسه شعاعاً من هول الفزع.

ومنازلة الأخطبوط كمنازلة الثور الهائج تقتضى من المرء أن ينتهز لحظة بعينها ليصيب منه مقتلا، وذلك حين يحنى الثور رأسه للنطاح، وحين يمدّ الأخطبوط رأسه. ولا بد من سرعة الحركة والانقضاض، فإذا أفلتت الفرصة من يده فقد هلك.

وحدّق الفتى فى هذا الوحش، فكأنه أحسّ به فحملق فيه.

وفى لمح البصر أطلق الوحش لسانه السادس من الصخرة وأهوى به إلى الفتى وقبض به على يده، وفى هذه اللحظة نفسها مدّ الأخطبوط رأسه مدًّا سريعاً. وما هو إلا ثانية أو أقل حتى يطبق بمصاصاته على صدره

واتقى الفتى مهبط اللسان السادس على يده، وانقضّ الوحش على الفتى، وانقض الفتى عليه بالسكين. ومالَ الوحشُ ومالَ الفتى مرة بعد مرة — كانت حركة كخاطف البرق.

وأغمد الفتى نصل سكينه فى تلك البضعة المسطحة اللزجة، وأجاف دائرة حول العينين بأسرع من خطفة السوط فى الهواء، ثم انتزع الرأس من مجثمه كما تنزع السنّ من مستقرها.

وسكن الصراعُ، وتراخت السيور الملتفة عليه. أما المصاصات المشرعة نحوه فقد بطلت قوتها بعد أن فقدت سرّ قوتها، وهوت لساعتها من مكانها عند جسم الرجل ومن الصخرة التى تشبثت بها، وغاصت الكتلة كلها إلى قرار الماء.

ورأى الفتى، وهو مبهور الأنفاس بعد طول الصراع، شبحاً غامضاً عند موطىء قدميه على الصخر — كومتان من اللحم اللازج لاشكل لهما، الرأس فى ناحية، وسائر بدن الوحش فى ناحية أخرى. ومع ذلك فقد خشى الفتى أن تأخذ الوحش حلاوة الروح وسكرة الموت فينقض عليه كرة أخرى، فتقهقر حتى يكون بمنجاة من غوائل ألسنته المخيفة — بيد أن الأخطبوط كان قد بَرَدَ برود الموت.



تعريفات لاذعة

السياسىّ المتطرف: هو رجلٌ محافظ ينشد وظيفة

الهم — سبب مباشر لكثير من علل البدن .

القلق النفسي والمرض

جورج و . جراي
مؤلف "جبهة العلم تزحف"
و "صورة العالم الجديد"

مختصرة من مجلة "هاربرز"

جاء رجلٌ إلى المستشفى يوم الاثنين ، وعلى ذراعيه بثور من مرض جلدي مزعج ، وقال : « أكاد أصاب بهذه البثور كلَّ يوم اثنين » .

فسأله الطبيب : « وماذا تصنع في أيام الأحد ؟ »

فقال إنه اعتاد أن يزور فتاة هي خطيبته منذ سنوات ، ثم تكشفت قصته عن أن خطيبته دأبت على إرجاء تحديد يوم الزواج. وكان إذا ما زارها يوم الأحد يلحُّ عليها أن تفصل في الأمر ، فتخيّب أمله ، فإذا ما كان يوم الاثنين تنفّط جلده بالإكزيما ، فكأنه صرخة احتجاج من جلده على ما يعانيه من قلق نفسيّ .

ووفد على المستشفى نفسه رجلٌ مصابٌ بالربو إصابة خطيرة ، فأبلَّ من مرضه بعد علاج دام بضعة أسابيع ، وعين له اليوم الذي يبرح فيه المستشفى . فلما كانت الليلة السابقة لذلك اليوم ، عاودته أعراض الربو فجأة ، فاستؤنف ، العلاج حتى هدأ لُهاثه ، وعين له يوم آخر يبرح فيه المستشفى ، فعاوده الربو أشد مما كان .

وقد دل تاريخ هذا الرجل على أنه كان مدرساً في كلية ، وأنه وقع نزاع في مجلس الأساتذة فكان من المنازعين ، نخشى أن يفصل من عمله . فأخذه قلق رأى معه أنه لو بقي محتمياً بين جدران المستشفى فذلك أسلم له من أن يعود إلى مسرح النزاع الأول فيواجه احتمال فصله من عمله .

ومن الجلي أن هاتين الحالتين تنطويان على شيء غير علة البدن وحسب ، فالرجلان كلاهما مصاب باضطراب عقلي أو نفسيّ ، بدت آثاره في أعضاء الجسم .

وقد جرى الأطباء منذ زمن بعيد على تسمية بعض الأعراض المبهمة باسم العلل « الوظيفية » لكي يميزوها من العلل « العضوية » التي تكون فيها الأعضاء العليلة مصابة بآفة في تركيبها . فالصداع الذي يمكن ردُّه إلى وجود ورم في المخ ، هو علة « عضوية » ، ولكن الصداع الذي يبرّح

بصاحبه فلا يستطيع البحث أن يكتشف وجود صلة بينه وبين آفة فى تركيب الجسم ، هو « علة وظيفية » . وثمة كثير من الأطباء تحيرهم العلل «الوظيفية» فيصرفون المصابين بها بقولهم : « لست إلا واهماً ، فكف عن القلق ، عد إلى بيتك، وانس أنك مريض »

وهذه نصيحة قلما تفيد . ووصف هذه الحالات بأنها « قلق نفسى » لا يقنع هؤلاء المرضى ، فتراهم يتنقلون من طبيب إلى طبيب ، وقد ينتهى بعضهم إلى طبيب يعتمد فى العلاج على الإيحاء النفسى أو إلى دجّال.

وقد ينتهى آخر إلى طبيب يعد المريض كلاً لا يتجزأ ، بجسمه وعقله ونفسه وحدة متماسكة . وكثيراً ما يكون طبيب الأسرة من هذا الضرب من الأطباء . والعلاج على هذه القاعدة فنٌّ ، والأطباء الذين يمارسونه اليوم بعد التدريب العامى الصحيح يزدادون ازدياداً مطرداً ، ولكنهم لا يزالون قلة بين الأطباء . ذلك بأن دراسة العواطف من ناحية أثرها فى المرض ، لم تنل عناية صادقة فى مدارس الطب ومراكز الأبحاث إلا منذ عهد قريب . وقد أخذ أهل البحث يتبينون الآن أن الاضطرابات النفسية تعقد عدداً كبيراً من الأمراض،وكثيراً ما يكون أثرها هو المهيمن على المرض .

فى سنة ١٩٣٤ بدأت الدكتورة فلاندرز دنبر وزملاؤها فى أحد المستشفيات الكبيرة فى نيويورك يستقصون ما عسى أن يكون للعواطف من أثر فى ضربين مختلفين من الأمراض يعزى كلاهما إلى علل عضوية : السكر ، وأمراض القلب . فوجدوا أن العواطف والعوامل النفسية تؤثر فى نصف المرضى أو أكثر من نصفهم فى الطائفتين كلتيهما، وأن مرض السكر يسوء ، وأعراض علل القلب تشتد ، حين ينتاب العليل اضطراب فى عواطفه .

والأدلة تزداد ازدياداً مطرّداً على أن القلق الحبيس فى النفس والذى لا يجد متصرفاً فى أعمال البدن ، لا يلبث أن يتجلى فى شكل مرض . ففى كثير من حالات ارتفاع ضغط الدم لم يعثر الباحثون على سبب عضوى يمكن أن تعزى إليه . فإذا كان لارتفاع ضغط الدم سبب عضوى وجدت حالة المصاب تتحسن إذا تحسنت حالته النفسية .

وقد ذكر الدكتور إروين موس حالة رجل بلغ ضغط دمه ٢٨٠ ، وكان إلى ذلك مصاباً بعلة فى الرئة ، وفى بوله آثار من الزلال، فلم تُجدِهِ الراحة ولا المعالجة بالعقاقير. ولكن الرجل ذكر فى أحد الأيام أنه قد أساء إلى زوجته إساءة كبيرة ، وهى قد هجرته وعاشت بعيدة عنه . فعمد الطبيب من فوره إلى تدبير اجتماع بين الزوجين ، فتحادثا حديثاً

تتخلله المودة ، فهبط ضغط دم الرجل على أثره إلى ١٥٠ ، وخفت أعراض العلة فى رئته وزالت آثار الزلال من دمه . وبعد سنوات كان الرجل صحيحاً معافىً وضغط دمه لا يزيد على ١٣٠ .

وقد عنى الدكتور ستانلى كوب وطائفة من زملائه الأطباء فى مستشفى ببوسطن ، بدراسة علل متباينة مثل علل الربو والرَّثْية (التهاب المفاصل) والتهاب القولون المخاطى ، ووجدوا أن بين المصابين بكل مرض من هذه الأمراض عدداً كبيراً يضنيهم التوتر العاطفى المزمن . وقد تبين من استجواب المصابين بالتهاب القولون أن ٩٦ فى المئة منهم يعانون سخطاً كامنا فى نفوسهم ، وأن ٧٥ فى المئة منهم يضمرون حسرة فى نفوسهم ، وأن ٦٨ فى المئة يخامرهم الشعور بالإثم . وكانوا جميعاً ساخطين على رؤسائهم أو معلميهم أو آبائهم ، وقد تجلت آثار سخطهم وثورتهم فى أمعائهم .

وقد تولى معهد التحليل النفسى فى شيكاغو بحثاً مستفيضاً فى علة الربو ، فوجد أن الذين يعانون الاستهداف الشديد لبعض الموادّ ، تنتابهم أزمات الربو فى مواقيت منتظمة على إثر المواقف التى تثور فيها عواطفهم وتضطرب .

وقد ذكرت قصة امرأة كانت فى منصب مساعدة فى متجر كبير ، وكانت تنهض بأعباء عملها على خير وجه ، فرقيت على غير انتظار إلى منصب مديرة ، وما هى إلا ثلاثة أشهر حتى أصيبت بربو شديد ، فأدرك طبيبها أن ازدياد تبعاتها كان مصدر قلق وخوف ، فأقنعها بأن تستقيل من منصبها الجديد ، وتعود إلى عملها الأول ، ففعلت فخف الربو حتى صارت السيطرة عليه أمراً يسيراً .

إن طبيعة القلق النفسى مرتبطة بفكرة السلامة ، وترتد أصولها إلى أقدم عصور البشر . فالنجاة من الموت كانت المشكلة الكبرى التى عاناها البشر فى عصورهم الأولى ، وكان لا مفر للمرء من أن يعمل عملا قويًّا ، فإما أن يحارب وإما أن يفرّ . فكان من أثر هذه الضرورات فى حياة الناس ، أن نشأ فى الجسم جهاز يمكن البدن من فوره أن يطابق بين الحاجة والعمل السريع اللازم له .

فإذا ما انتاب الرجل خوف أو غضب حدثت فى الجسم تغيرات عنيفة ، فتتنبه عضلة القلب فيزداد خفقانها ، ويتحول الدم من المعدة والأمعاء إلى القلب والمخ والرئتين وعضلات هيكل البدن — وتحتشد جميع قوى الجسم ليكون القتال أو الفرار أتمّ ما يكون . والوسيلة التى تحدث هذه التغيرات الذاتية هى على الأغلب وسيلة كيميائية

أي مواد قوية تفرزها الغـدد وأطراف الأعصاب. فكلّ شيء يهدد سلامة البدن أو يستفزه إلى الغضب، أو يثير فيه المخاوف يحرك من تلقاء نفسه هذه الوسيلة الكيميائية الحيوية المعقدة إلى العمل، فتعدّ البدن وتهيئه للعمل.

وأنت ترى اليوم أن الرجل الذى فقد ثروته فى مصرف أفلس، يعانى خوفاً حقيقياً كمثل الخوف الذى كان يعانيه رجل الكهف إذا واجه وحشاً ضارياً. وقد كان رجل الكهف يحتاج إلى ازدياد الخفقان فى قلبه وإلى تعديل توزيع الدم فى الجسم، سواء أفرّ من الوحش أم ثبت له وقاتله. ولكن الرجل الذى يصاب فى إفلاس مصرف أودع فيـه ماله، ليس فى حاجة إلى هذه التغييرات البدنية، لأنها تهيىء بدنه لعمل لا يقوم به — فلا هو يقاتل ولا هـو يفرّ. فيطغى على أحشائه فيض من المواد الكيميائية القوية لا حاجة به إليها، فتثير نزاعاً فى باطنه، وهو يميل إلى إخماد سَوْرة هذا النزاع. بيد أن إخمادها لا يعنى القضاء على أذاها، فالأمر على نقيض ذلك، فإن الأذى السامّ الذى يحدثه القلق يزداد إذا قل إدراك المرء لكنهه، ويقل إذا زاد ذلك الإدراك.

ولشدائد الحياة آثار تختلف باختلاف الناس، لاختلاف بنياتهم واختلاف نشأتهم. وقد كتب الدكتور سول من معهد التحليل النفسى فى شيكاغو: «قد ينشأ طفل على إباحة التعبير عن غضبه كيف شاء، وقد ينشأ غيره على أن يكظم غضبه، فإذا شبَّا وتعرضا لما يغضب، ثار الأول وصخب، وأصيب الثانى بصـداع. أما الطفل الذى يدلل فى طفولته ويحاط بجميع أسباب الحماية والوقاية، فهـو خليق أن يعانى فى مستقبله شدائد الحياة فى مجتمع قائم على التنافس، ويتطلب من الناس استقلالا وصلابة وشدة، فيصير عرضة لأن يعتل». ورجل الأعمال الذى لا يفتـأ يناضل وهو يكنُّ فى نفسه شوقاً إلى الراحة والعطف والحب، كثير ما تميل به طبيعته إلى الإعراب عن هـذا النزاع الذى يستبد بحياته فى شكل قرح فى معـدته، أو قد يستتر وراء رقة الرجل ورصانتـه حنق مزمن، كثيراً ما يؤدى كظمه إلى ارتفاع ضغط الدم.

والطبيب العاقل الحكيم يتدبر جميع هذه الأحوال، وقد ينتفع فى العلاج بالعقاقير والجراحة والإيحاء والمطابقة الاجتماعية — أى بكل وسيلة تعينه على استئصال جذور القلق. فطبُّـه لا يقتصر على علاج القلوب والرئات والكلى والأمعاء، وهو لا يعالج العضو المصاب وحسب، بل الرجل المريض أو السيدة المريضة. ويرى الدكتور ستانلى كوب أن الأساس الذى نتخذه للتمييز بين

العلل « العضوية » والعلل « الوظيفية » هو أساس لا حقيقة له ، والحد الفاصل بين الجسد والعقل هو من نسج الوهم .

وقد رأينا أن تركيب الدم يتغير إذا أضيفت إليه مقادير ضئيلة من مادة الأدرينالين ، ولنا أن نعد الدم عضواً — عضواً سائلا . فإذا تغير تركيب هـذا العضو السارى فى أعضاء الجسم بحدوث تغيُّر يسير فى مواده الكيميائية ، تغيرت الأعضاء التى يغمرها ويسرى فيها .

وكذلك نرى أن القلق النفسى يصير عاملا كيميائيًّا حيويًّا ، وأنه إذا ما نبه إفرازات البدن من تلقاء نفسه ، فإنه قد يطلق فى الجسم مواد تؤذيه كما تؤذيه البكتيريا .

بل يبدو أن التوتر النفسى يعين البكتيريا حين تغزو الجسم . ولعل تفشى وباء الأنفلونزا سنة ١٩١٨ فى فترة اشتد فيها القلق فى أواخر الحرب العالمية الأولى ، لم يكن مصادفة من المصادفات . بل إن الزكام ذاته يكون أشد ما يكون إذا كان المصاب به ضحية قلق نفسى . وقد دأب الدكتور سول على دراسة تسعة من المرضى خلال عدة أشهر دراسة التحليل النفسى ، فلاحظ أنهم يصابون بالزكام إذا أصيبوا باضطرابات عاطفية معيَّنة ، وأنهم برئوا من الزكام حين أدركوا كنـه حالتهم النفسية وخلصوا من مشكلاتها .

لقد نفـذ القرن التاسع عشر إلى كنه العدوى بالمكروبات ، وابتكر رجاله أساليب للتعقيم والتحصين ، فعسى أن تكون مأثرة القرن العشرين هى النفـوذ إلى كنه الصلة بين القلق النفسى والمرض ، والوصول إلى الأساليب التى تتيح لنا منع آثاره المؤذية وتكفل لنا السيطرة عليها .



روى صحفيٌّ أنهُ ظفر بمقابلة هندنبرج يوم كان رئيس الجمهورية الألمانية ، وحاول أن يستطلعهُ سرَّ شجاعته ورباطة جأشه ، فسأله : « ماذا تصنع يا فخامة الرئيس حين تضطرب أعصابك ؟ »

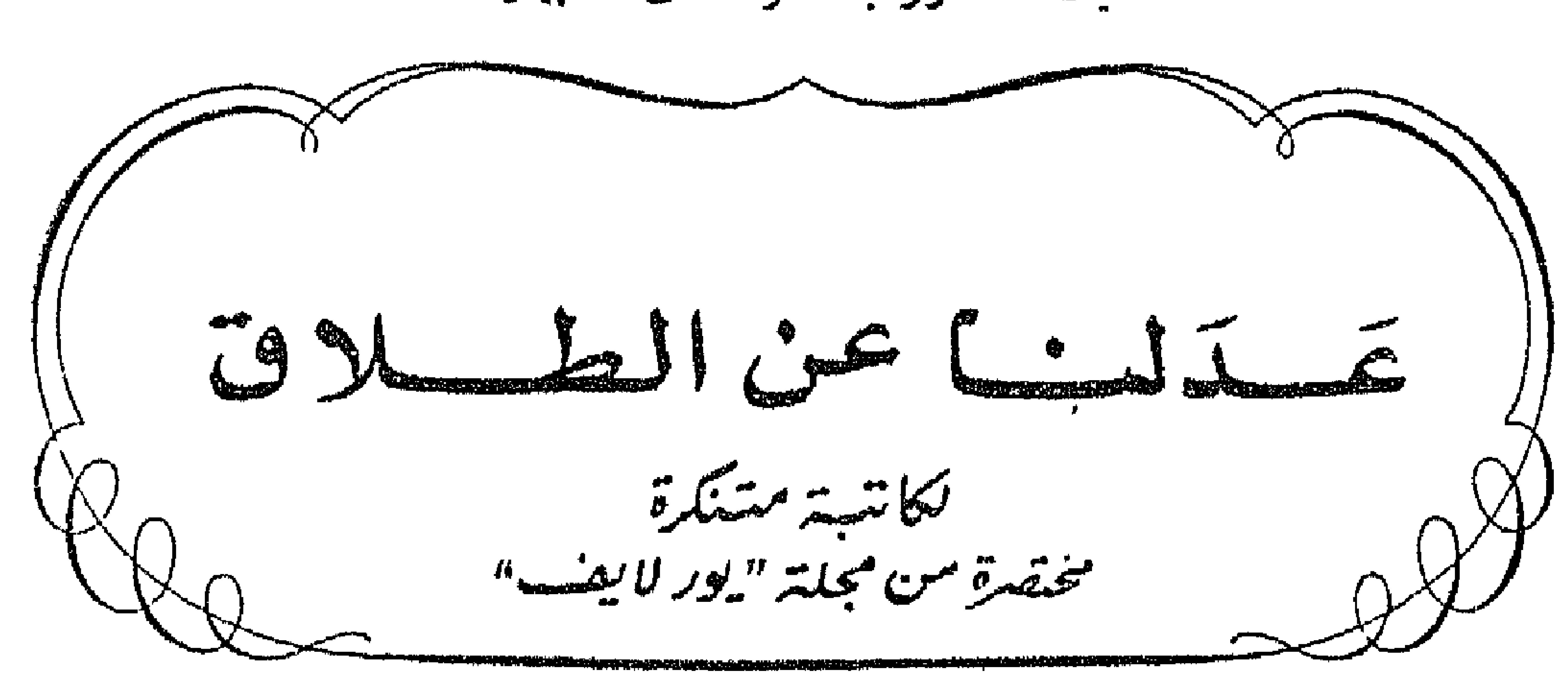
فقال الرئيس : « أصفِّر » .

فقال الصحفى : « ولكننى لم أسمعك تصفِّر أبداً » .

فقال الرئيس : « وأنا لا أصفِّر أبداً » .

[برافورد كارفر]





في مساء ليلة منذ ثلاث سنوات التفت إليّ زوجي وقال في هدوء: « يا ماري أريد طلاقك » .

كنا جالسين أمام الموقد في بيتنا في الريف، وكانت الجلسة صورة تامة للهناءة الزوجية ، حتى لقد أعياني لحظة أن أصدق أنه قال ما سمعت . ولو كنا قد تشاجرنا لفهمت ، أو لو كنت ركبت رأسي كما يفعل بعض النساء بعد عشر سنوات من الزواج لفهمت.

وصحيح أننا لم نكن مجنونين حباً منذ السنوات الأولى من زواجنا ، ولكنا كنا راشدين فاعتضنا المودة من الافتتان ، والتسامح من تلهب العاطفة ، وكانت لنا مشاركة في كثير من الأمور ، وتعلمنا الاستقلال مع الاحترام المتبادل . فلماذا إذاً أراد جون الطلاق ؟ لأنه كما قال يريد أن يتزوج امرأة أخرى .

وذهلت فحدقت في النار واستولى عليّ غضب بطيء مُلحّ وأنا أفكر في ولدينا الصغيرين النائمين ، وقلت : « لا يمكن أن يحدث هذا الطلاق فإن سعادة الولدين أهم من سعادتك، ولست تستطيع أن تتخلى عنهما الآن » .

وكان جوابه هو الحجة التي لا تدفع وهي أني برفض الطلاق إنما احتفظ بالهيكل لا بالجوهر ، وأن التأثير النفساني في الطفلين سيكون أدهى من الأثر الذي يحدثه فقد أبيهم .

وكانت كبريائي المجروحة تغلي خلال غضبي ، وأحسست بإغراء قوي أن أسبقه إلى طلب الطلاق. ثم فكرت في النساء اللواتي عرفتهن واللواتي أطلقن سراح أزواجهن لغيرهن من النساء. وتذكرت الشكوى التي كانت تتبدّى وتتلكأ في عيونهن بعد أن تكلفن ستر جراحهن بزمان طويل . ووثب بي الخيال إلى النزاع على النفقة والوصاية على الطفلين ، فطرحت كبريائي .

وذهبت إلى المدينة في اليوم التالي واستشرت رجلين أقدر رأيهما ، أحدهما

طبيب والآخر محام ، فكان رأيهما واحداً :

« المرأة الأخرى ليست بسبب كاف لهدم بيت فيه أطفال ، وسيسلوها جون يوماً ما » . فسألت : « كيف أكون على يقين من أنه سيسلوها ؟ »

فقال : « إن المرأة الأخرى ليست إلا عبارة جوفاء في تسع حالات من عشر ، وهي ليست أكثر من عرَض يدل على أن الرجل قد بلغ المرحلة التي يتساءل فيها: أتراه لا يزال مستمتعاً بالحياة ؟ ولما كنت زوجته فلعلك لا تبهرينه كما تبهره امرأة أخرى، فإذا طلقك وتزوجها فإن الأرجح أن يتكرر هذا كله مرة أخرى » .

فقلت موافقة : « إن هذا يبدو معقولا ولكن كيف أستطيع أن أجعله يدرك هذا »

« بالافتراق على سبيل التجربة . دعيه شهراً أو شهرين يعيش بعيداً عنك وعن الطفلين ليفكر في الأمر ، فيكون في حكم المطلق ولكنكما لا تتخذان خطوة حاسمة » .

وردّا كلاهما على السؤال الذي كان في عينيّ: « لا تقلقي يا ماري ، فسيشتهي العودة قبل أن ينقضي وقت الفراق » .

ولكننا لم نفترق على الفور، فقد كان دخل زوجي لا يكفي للإنفاق على بيتين، وتغلبنا على هذه العقبة بأن انتقلنا إلى المدينة حيث وجدت عملا ، فما لبثنا أن تبينا أن كل قرش أربحه يذهب إلى الخدم وإلى معاهد الأطفال الرضّع . وكان من جراء هذا أنه أرجأ مشروع الطلاق ، لأنه إذا أراده فإن عليه أن يزيد دخله .

وأقمنا ننتظر ، ومع أن علاقاتنا في تلك الفترة كانت ودية ، إلا أن بقائي زوجة بالاسم فقط كان صعباً . وكانت الفرصة تغري بأن أوغر صدر الولدين على أبيهما . وكثيراً ما كان يبدو لي أن مما هو خليق أن يرفه عني أن أبكي على كتف ابني الأكبر وأقول له إن أباه سيتركنا، وكان من السهل أن أغمر الطفل بالحنان والحب اللذين كنت خليقة أن أتوجه بهما إلى زوجي . وكان جون يعمل بالليل ، وفي أيام آخر الأسبوع، وقلما كان يرى الطفلين . وعلى الرغم من أني بذلت جهدي أن لا أغير قلبيهما على أبيهما ، شعرا أن بين أبويهما نبوة ، وانحازا إليّ بطبيعة الحال .

وهكذا اضطر جون أن يواجه الواقع ، وهو أن بعض الثمن الذي يتقاضاه إياه الطلاق هو أن يفقد ولديه ، وإذا كان هذا صعباً عليّ ، فلا بد أنه كان عليه أصعب .

وإني لأعرف الآن أن أفكارنا كانت تجري في مجرى واحد . وقد استعدت بذاكرتي أيام الخطبة والزفاف ، وتذكرت تلك الأيام التي جاهدنا فيها وتعبنا وسعدنا

حين كنا لا نكسب إلا ما يكفى للعيش . ولقد قال لى زوجى بعد ذلك إنه كان لا ينفك يتذكر كيف كنا — كلانا — نعمل حتى ادخرنا فى البنك ما يسّر لى ترك العمل ، والتهيؤ لوضع طفل .

ولن يستطيع أحدنا أن ينسى الليلة التى ولد فيها أول طفل لنا ، ولا وضع الطفل الثانى ، وتذكرنا المتعة التى شعرنا بها حين وجدنا البيت الريفى الذى كنا نحلم به ، والشهور الأولى الرائعة التى بدأنا فيها تربية الفراريج وغرس الحديقة . ومما لا يمحى من لوح الذاكرة ذلك المرض الفظيع الذى كاد يودى بولدينا جميعاً .

وأفسح الانتظار لجون فى الوقت ليشعر بقوة الخيوط التى نسج منها ماضينا معاً . فقد اجتزنا سنوات المجاهدة معاً بألوية منشورة ، فهل كان هذا كله عبثاً وباطلا ؟ وهل يسهل عليه أن يبدأ حياة جديدة مع امرأة أخرى ؟

وهكذا كنا ، ونحن ننتظر ، نتقـدم فى سبيل إنشاء علاقة جديدة أطيب .

وكل زوجين يخطر لهما الطلاق فى وقت ما . ولقـد تساءلت ، ككثير من الزوجات ، فى ساعات الغضب وخيبة الأمل ، أترى كان اختيارى لزوجى حكيما ؟ ولكنى من أجل الولدين لم أسمح لنفسى قط بأن أفكر جادة فى فصم العروة ، والآن واجهت الأمر من ناحية مصلحتى الخاصـة .

ذلك أنى لم أرتح إلى مواجهة المستقبل بغير زوج ، ولن يكون من السهل أن أجد زوجا آخر . وكان رأيى فى نفسى أنى امرأة جذابة ذكية مستقلة ، فأدركت أنى لن أكون مستقلة حتى يصبح الطفلان قادرين على تحصيل رزقهما ، وتبينت أن الدنيا غاصة بالنساء الفاتنات الذكيات اللواتى لا يقيدهن شىء . ولقد التقيت فى عملى بكثير من الرجال ، ولكن الذين بلغـوا النضج العقلى والعاطفى كانوا متزوجين ، وأنا آنف أن أهدم بيت امرأة أخرى ، وليس أبغض إلى نفسى من حياة المطلقة المرحة المضطرة إلى التستر والمداورة . وانتهيت إلى أنى لم أدرك قط على وجه صحيح قيمـة الزوج ، فبدأت أتمنى أن لا يحدث الطلاق .

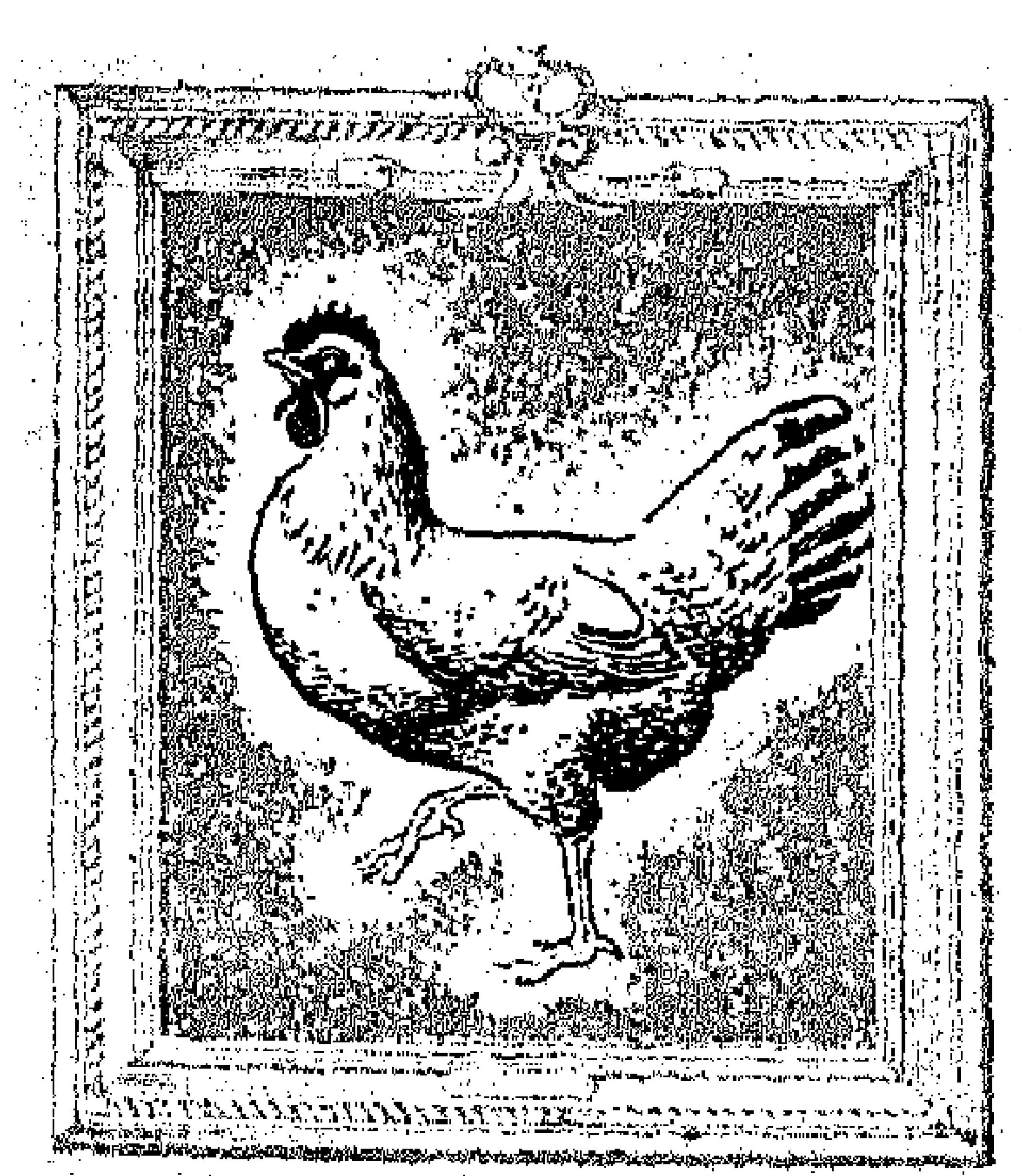
ولما آن أخيراً أن نجرب الفراق ، لم يكن أحد منا يريد أن يمضى فيه ، وصح ما توقع الطبيب والمحامى ، فطلب جون أن يعود بعد الأسبوع الأول .

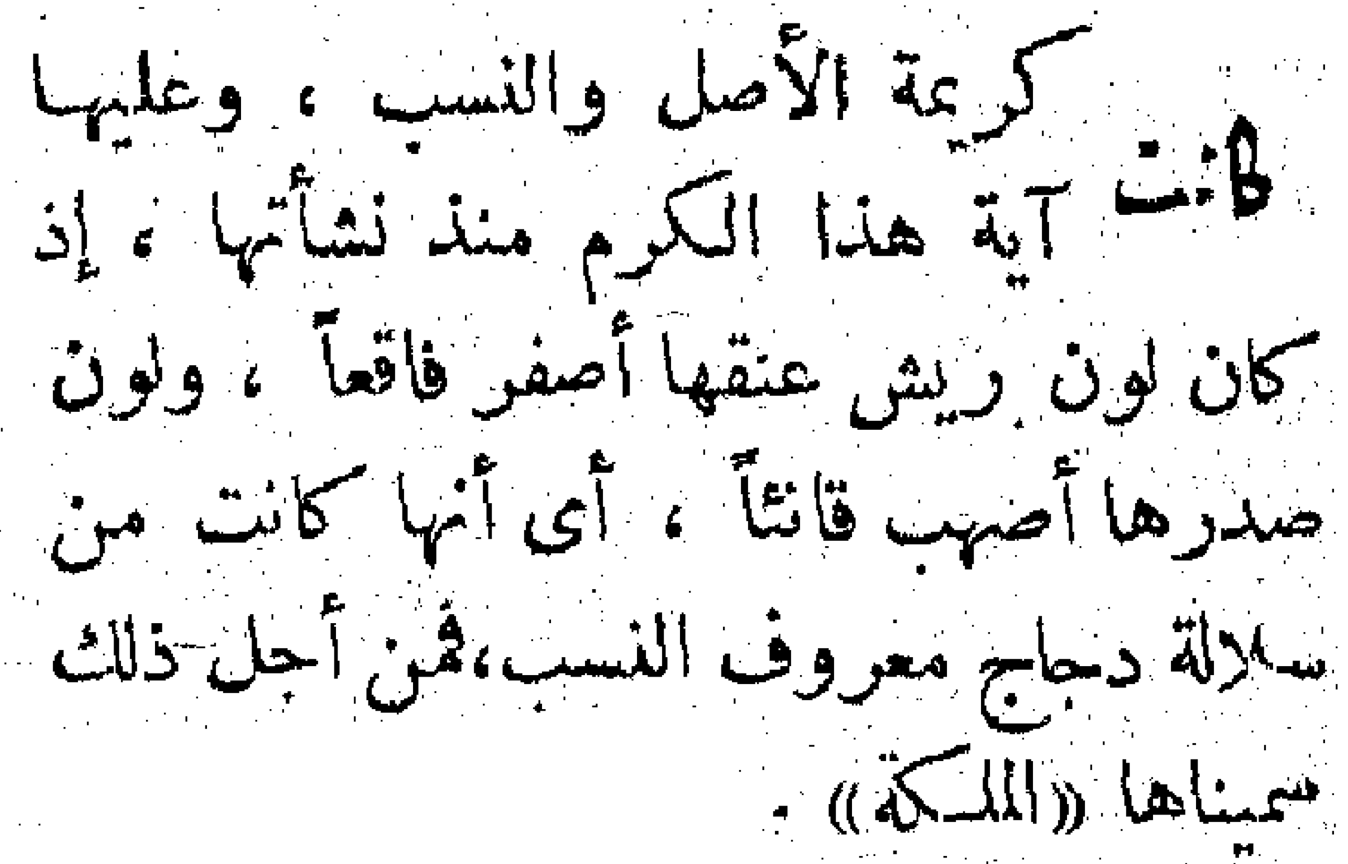
وقد صار ، مذ عاد ، زوجاً وأباً أصلح مما كان ، وجاهدت أنا أن أكون أوفق له مما كنت . وكان الشوق قد لج به إلى الطفلين ، فصار أرغب فى المشـاركة فى تثقيفهما وتوجيههما . وسنعود إلى الريف فى الربيع المقبل ، وإنى لواثقة أننا سنبقى هناك ما عشنا .

ملكة الدجاج

جيرالد موفيوس

مختصرة من مجلة "ذى بيرجرسيث"





كانت كريمة الأصل والنسب ، وعليها آية هذا الكرم منذ نشأتها ، إذ كان لون ريش عنقها أصفر فاقعاً ، ولون صدرها أصهب قانئاً ، أى أنها كانت من سلالة دجاج معروف النسب، فمن أجل ذلك سميناها «الملكة» .

ولم يكد الريش يكسو الملكة حتى تبين فيها طِماحها إلى الذكور، ولم يبق فى الحظيرة كلها ديك إلا وافتتن بها، فقد كان فيها رشاقة ودلالٌ وخلاعة كأنها غانيةٌ مدرّبة .

فلما بلغت الشهر الخامس من عمرها وحان موعد أول بيضة تضعها ، أخذت تهتف وتقرقر ، وأكثرت فى ذلك حتى انتفش عرفها الصغير اللامع . فلما سمعت الديكة صياحها اجتمعت حولها لتحتفى بها ، وقد بلغت الصبابة بهم جميعاً كل مبلغ . وفى ذلك اليوم نفسه عاجلت المنية ديكا صغيراً كان يرجى له شأنٌ كبير ، ويبدو أن الملكة كانت قد وضعت عليه عينها وآثرته بهواها، فمن أجل ذلك تألبت عليه الديكة جميعاً ، وصارت له أعداء .

وكان يبدو على الملكة وحدها دون سائر الدجاج أنها صادفة كل الصدوف عن اتخاذ زوج أو إنشاء أسرة. ولما كاد الربيع ينصرم صارت إناث الدجاج جميعاً حديدة الطبع كارهة لرفقائها من الديكة ، فلا يكاد يدنو ديك من إحداهن إلا نقرته أما الملكة فكانت على خلافهن — كانت تؤثر حياة العزوبة ، فلا تريد أن تقيدها قيود الأسرة ، بل تريد أن تبقى فتنة للشباب جميعاً من ديكة حظيرتها ومن ديكة النواحى المجاورة .

لقد وضعت أكثر من ٢٥٠ بيضة كبيرة صافية البياض فى السنة الأولى من عمرها ، وهو مقدار ضخم لا نكاد نجد له مثيلا فى جميع حظائر الدجاج . فمن أجل ذلك تغاضينا عن عادتها فى التجوال، إذا كانت تخرج فتطوف فى أرجاء القرية بحثاً عن الديكة .

وأول ما حدث من ذلك أن زوجاً من فتيان الديكة جاءا يختالان ويتصايحان ويراودان

الدجاج فى حظيرتنـا ، فجرى بينهما وبين ديكتنا سباب وشجار. فخفق لها قلب الملكة، وإذا بها تهز أعطافها بدلال وتعتدل وتتبرّج، ثم تطير متخطية السور وهى تهتف هتافاً رقيقاً تهفو له القلوب ، ثم تنطلق مسرعة نحو الغابة ،قد استخفتها النشوة وهى تسعى حثيثة والعاشقان الجديدان فى أثرها . ومن يومئذ أخذنا نفكر ونتشاور فى قص جناحى الملكة حتى لاتعود إلى فعلاتها هذه ، بيد أننا كنا نراها تعود إلى الحظيرة فى ميعاد الطعام غير متوانية ، وتدخل وعليها مسحة من البراءة والصفاء كأنهـا عادت من نزهة لاريبة فيها .

وبعد زمان رأينا الشيخوخة قد أخذت تدبُّ فى لداتها ، ولكن الملكة بقيت هى العذراء الخالدة ــ شبابٌ خالدٌ وفتنة خالدة. ولما بلغت الثالثة من عمرها واستوى شبابها، كانت قد وضعت من البيض ما لو فرش لغطى أرض الحظيرة ، ولكن لم يكن يبدو عليها أقل اهتمام بحضانة بيضة واحدة منها حتى تصير أمًّا لها نسل يبقى بعدها . وهى فضلا عن ذلك كانت تنظر إلى أخواتها نظرة ازدراء وتحقير ، فامتلأت قلوبهن بغضاً لها .

وفى هذه السنة نشأت العلاقة بين الملكة وبين « الأمـير » ، وهو ديك لم نر قطُّ أضخم منه جثـة ولا أرفع صوتاً ولا أزهى منظراً . وقد أقبل يزور الحظيرة كما جاء عشرات من أمثاله من قبل ؛ فخرجت إليه الملكة متخطية السور دون أن تنتظر كعادتها حتى تنشب المعركة بين ديكة الحظيرة وهذا المتهجم الطارىء .

كان هذا « الأمير » أهلاً لأن يخلب لبّ أية دجاجة ، وكان نبيـل الهيئة يمشى مختالا مَرِحاً تيَّاهاً بنفسه. فإذا شرع يؤذن رفع هامته وردها إلى خلف ، فيخيل إليك أنه مُغنّ أخذ يتهيأ للغناء .

وأصبح هو والملكة رفيقين لايفترقان، فإذا جاء الصباح غابت عن الأنظار ثم تعود إلى الحظيرة وحدها إذا نزل الليل ، وكان الأمير يصحبها أحياناً حتى تبلغ منعطف الطريق ثم يودّعها . ومضى على ذلك بضعة أسابيع، فإذا بنا نلاحظ أن الملكة قد صارت ساهمة فاترة النفس ، ولم تعد تضع بيضاً ، فعزونا ذلك إلى أن ميعاد تغيير ريشها قد دنا. ثم جاءت ليلة وخرجنا لنلقى الحبّ فى بيت الدجاج فلم نر الملكة ، فأخذنا ندعوها باسمها الذى تستجيب له ، ولكنها لم تجب .

وبعد أيام قلائل خرجت أنا وكلبى نخوض فى الأرض الموحلة، فإذا الكلب يقف ويتشمم طائفة من أعشاب كثيفة عالية نابتة عند طرف السـور ، فإذا الملكة جاثمة ناشرةً جناحيها،وقد ابتلّ ريشها وبدت عليها حدّة

الطباع ، فمن البين أنها تحتضن الآن بيضها لتنشىء لنفسها أسرة .

فأدنى الكلب أنفه من منقارها كأنه يقول لها قد عرفتك ، فجزته أحسن الجزاء بأن نقرته نقرة مؤلمة . فحملتها برفق فإذا هي قد صارت ضامرة نحيلة ، فإن الطبيعة قد هيأتها لكي تحتضن ثماني بيضات أو تسعاً على الأكثر ، فإذا تحتها خمس عشرة بيضة قد نامت عليها بصدرها الصغير وجناحيها الرقيقين الدقيقين ، فوضعتها حيث كانت وعدت أدراجي إلى البيت .

وكنت أحب أن أنقلها من هذا المكان البارد الرطب ، غير أن أخي رأى بحكمته أن نبني لها حيث هي بيتاً من خشب وورق مطلي ، وندعها وشأنها . فجاءت الجماعات من أهل المدينة ليروا الملكة وهي تعاني مصاعب الأمومة . ومهما بلغ من رأيك في الدجاج وأنه مخلوق فارغ العقل ، فإنه أعقل من أن يحتضن بيضاً ويفرخه في أيام الخريف في البلاد الباردة — ولكن الملكة فعلت ذلك .

وبعد أسبوعين استقر رأينا على أن الملكة إنما تحضن بيضاً لا يرجى له أن يفرخ ، ولكن جاءت ليلة مظلمة باردة ، فإذا الملكة تقبل وهي تصيح وتقرقر ، وعلى أثرها فراخ زغب صغار تتعثر في مشيتها وتتصايح وقد بللها المطر . وكان يكسو كل فرخ منها زغب أرقش يثبت نسبه إلى الأمير الأرقش الزاهي الريش . وقد بلغت الملكة غاية مناها ، فقد احتضنت خمس عشرة بيضة انشقت عن خمسة عشر فرخاً .

فاتخذنا مكاناً في الحظيرة وسورناه ليكون لها بيتاً ، وكان صغارها يتصايحون ونحن نفعل ذلك . فلما فرغنا بدا لنا أن الصغار كرهوا هذا المكان ، ولم يكن ذلك طبيعياً . بيد أن هذه العفاريت الصغار ولم تلبث أن نمت ونبت عليها ريشها ، وهو شيء قد يحدث أحياناً للفراخ التي انفلق عنها البيض في غير أوانها .

وذات صباح أزلنا ذلك السور الذي أنشأناه لها ، فكان خطأ ارتكبناه ، إذ لم تكد تأتي ساعة الظهيرة حتى وجدنا الملكة قد قاربت حد الموت ، فإن أخواتها وقريباتها وأبناء عمومتها قد حكموا على هذه الدجاجة البغي بالموت وكادوا ينفذون ما حكموا به ، فقد كانت في ريعان شبابها تستأثر بفتنة الذكور من الديكة ، وها هي ذي اليوم تأتي بمعجزة : فقد أنجبت لنفسها أسرة كبيرة ، على حين أنهن قد أخذن يتهيأن للاستكنان الذي ألفنه في فصل الشتاء .

وقضت الملكة أيام الشتاء في بيت الخشب ، واستردت من عافيتها ما أعانها على أن تسجع سجعاً قليلا وأن تنكت العشب بأظافرها .

ولـكن ما كاد يوافى الربيع وتحمرُّ أعراف الدجاج ويزهو لونها ويامع ريشها ، حتى رأينا عرف الملكة قد بقى كما كان خابى اللون لا بريق له .

وقد خفنا أن نعيدها لتعيش مع أخواتها فى الحظيرة ، ولـكننا أعدناها فلم يحدث شىء قط ، بل بدأت يومئذ تزهى وتتبختر وتميل برأسها كأنها تدعو الديكة إلى نفسها كما كانت تفعل من قبل ، ولـكن لم يلب دعوتها أحد . ورأت ديكا ناشئاً فأخذت تغازله بعينيها ، إلا أنه كان مشغولا عنها بدجاجـــة غضة الإهاب بضة الجسم . وكان فى الديكة ديك ضخم فخم ، فجاء يمشى ذات يوم فصدمها ، ولـكنه مضى على وجهه ولم يعبأ بأن يعتذر إليها مما بدر منه .

وقد طال الزمن على الملكة حتى أدركت الحقيقة : لقد صارت عجوزاً فى الغابرين .

وذات يوم جاء الأمير وهو يختـال فى مشيته ، وبدأ دجاج حظيرتنا يرمُقْنه بعيونهن إعجاباً وافتتاناً ، فردّتها الديكة عما تفعل . وما هو إلا أن رأينا الملكة تثب من فوق السور وتهبط ماثلة بين يديه . يالها من ذكريات محببة !

ولـكن الأمير ارتدّ عنها فزعاً ، لقد فارقته خُيلاؤه وتساقط ريش ذيله ، وإذا الملكة تقبل عليه ناشرة جناحيها رافعة رأسها ، وفى كل ريشة من ريشها سَوْرة من غيظ وحنق . وجعلت تنقره ولا تكفّ عنه حتى سال دمه .

وعلى حين بغتة رأينا الأمير يلم شَعَث نفسه ويستجمع قوته ويفرّ ذاهباً فى الغيطـان وهى تقتفى أثره مسرعة ، فإذا لحقته ألحت إلحاحاً شـــديداً فى إيذائه والانتقام منه . ومنذ ذلك اليوم ذهبت الملكة إلى حيث لا نعلم ، فلم نَرَ لها ولا للأمير وجهاً .

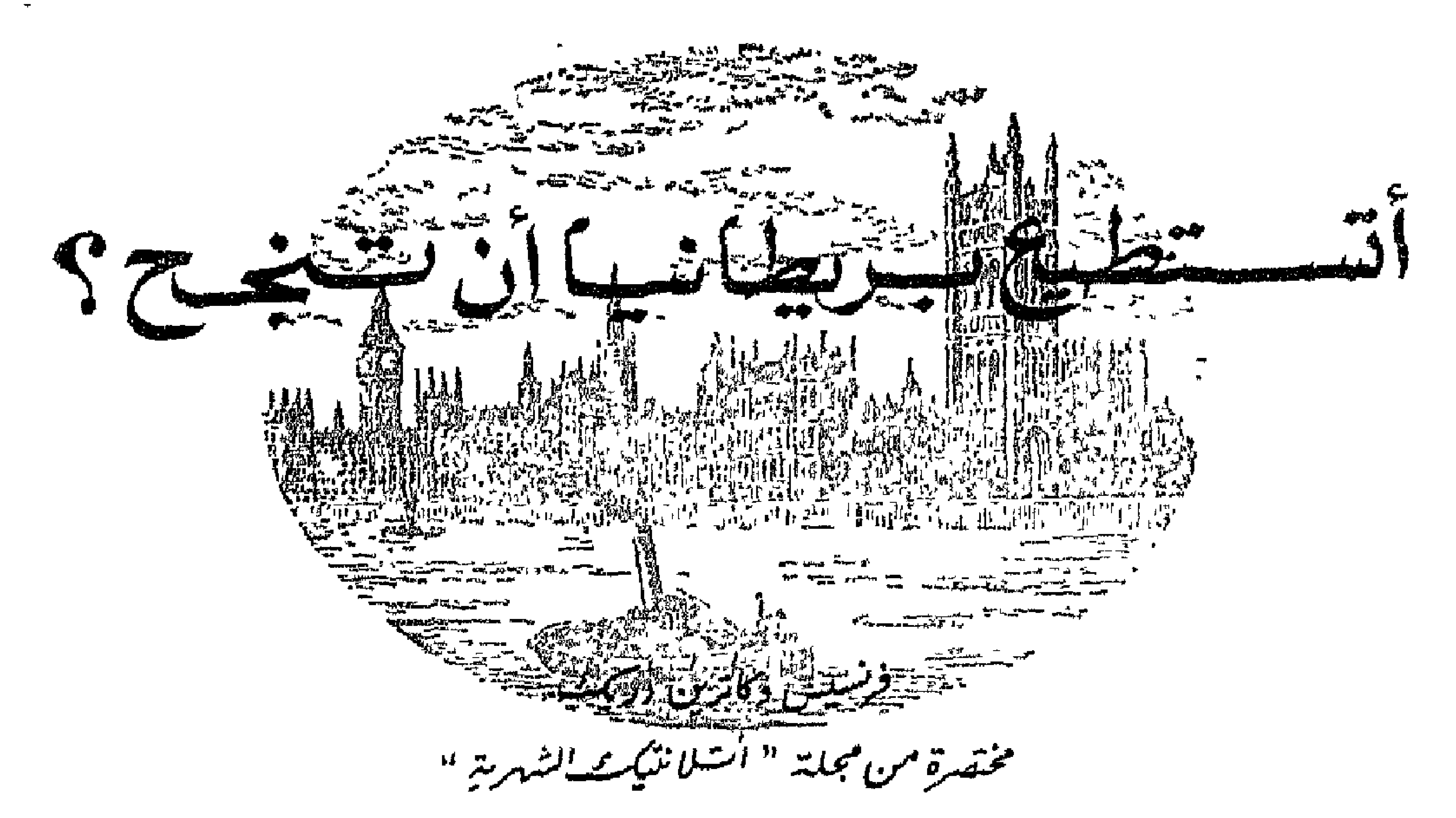


أهواء النساء

فى الليلة السابقة لحفلة توزيع الشهادات فى إحدى كليات البنات ، عقدت خطبة إحدى الفتيات وأعطاها خطيبها الخاتم فلبسته ، ولـكن ساءها أن أحداً فى المدرسة لم يلاحظه . فلما كان العصر ، كانت فى فئة من صاحباتها يتحدثن ، وإذا بها تقف على حين فجأة وتقول : « ما أشدّ الحرّ ! فمن الخير أن أخلع خاتمى »

[ستيف بنسون]

أتستطيع بريطانيا أن تنجح ؟



مختصرة من مجلة " أتلانتيك الشهرية "

> هل تستطيع بريطانيا أن تنجو من الإفلاس وهي تعاني نقصاً في الأيدي العاملة ، وقلة في الطعام ، وتلفاً في الآلات ؟

ما أشبه بريطانيا برجل قد أخنى عليه الدهر ، وقد وقف هلعاً تتطلع عيناه إلى عقارب الساعة ليرى كم بقي له من الزمن ومن القرض البالغ قدره ٣٫٧٥٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال ، والذى أمدته به أمريكا فى العام الماضى لتعينه على إصلاح شأنه ، فيتبين له أن رصيده من هذه الريالات الأمريكية يذوب بسرعة مخيفة ، أى بمعدل خمسة ملايين ريال فى اليوم الواحد .

ولن يحلّ الخريف حتى تكون بريطانيا قد استنفدت نصف رصيدها دون أن تصل إلى منتصف الشوط الذى لا بد لها من قطعه حتى تصل إلى بر السلامة . ومع أنها قد ضاعفت سرعتها التى كانت تسير بها قبل الحرب ، فلا يزال من الواجب عليها أن تخطو بدل الخطوة اثنتين ، إذا هى أرادت أن تفوز فى سباقها وتلحق عقارب الساعة ، فإن لم تفعل عجزت حتى عن شراء ما يلزمها من الطعام حين ينفد القرض .

فهل يتحقق لها الفوز ؟

وفيما يلى بيان الأبواب التى تصرف فيها بريطانيا رصيدها من القرض بالنسبة المئوية : المأكل والمشرب ٤٧ ، المواد الخام ١٥ ، منتجات المصانع ٩ ، مواد أخرى أهمها النفط ٢٩ .

فهى من أجل أن تبقى رصيدها أطول وقت ممكن ، تصبر على خشونة العيش وشدته .

فالحكومة البريطانية تحث شعبها على أن يبذل جهداً جباراً فى زيادة الإنتاج ، مع أن مؤونة الفرد فى الأسبوع مقصورة على ربع رطل من اللبن وبيضة واحدة ، وأوقيتين من الزبد ، وقطعتين صغيرتين من اللحم ، وأوقيتين ونصف من الشاى ، وأوقيتين من الجبن ، وأوقية واحدة من الدهن ، وثلاث أوقيات من لحم الخنزير

المقدد ، و ٨ أوقيات من السكر ، وقرابة ثلاثة أرطال من الخبز . وهذه مقادير لا تقيم أوَد رجل مهما بلغ حسن تدبيره . وإذا كانت الأسرة تربى دجاجاً وجب أن تتنازل عن حقها فى شراء حصتها من البيض لتأخذ بدله حباً للدجاج ، فإذا زاد عدد الدجاج ، فالحكومة تستولى على البيض كله .

ويعلم الشعب البريطانى أنه ليس بمستطاع أن تنتج أرضه مزيداً من الطعام ، فبريطانيا المزدحمة بالسكان تستغل أربعة أخماس أرضها فى الزراعة، وتفلحها بعدد من المحاريث الآلية يفوق كل ما يملكه منها أى بلد آخر بالقياس إلى أرضه . وبذلك وصل الإنتاج الزراعى فيها إلى أقصى حد مستطاع ، ومع ذلك فالمحصول لا يكاد يفى بنصف حاجة الشعب من الطعام ، طبقاً للأنظمة الصارمة الراهنة .

وأرادت الحكومة أن توفر الطعام ، فعمدت إلى منع كل الواردات غير الأساسية ما عدا صنفين يعدان من الترف هما التبغ وأفلام السنما ، وهى تفكر اليوم فى أن تمنعهما أيضاً . وهذه مسألة تحتاج إلى روية قبل الفصل فيها ، فقد تم بها قسوة العيش على الناس ، وقد يكون منع هذا الترف القليل بمثابة القشة التى تقصم ظهر البعير .

وقد هبط مستوى المأكولات المطبوخة فى بريطانيا بسبب ندرة الدهن ، ومرّ على الأسر البريطانية سبع سنوات عجاف اقتصر فيها أكلها على المسلوق من لحم الضأن والبقر والسمك والبطاطس والكرنب والفاكهة. وكانت الأفواه لا تجد مذاقاً لطعام بسبب ندرة السكر والتوابل، أما خبز الحرب وهو أسمر ثخين . فيرسخ فى المعدة كأنه فتات حجر صلد . وأما الظفر ببرتقالة طازجة أو ليمونة طازجة أو أى شىء طازج ، فأمر بعيد المنال. وقد شب جيل بتمامه لا يعرف ما مذاق الطعام المطبوخ فى القدور أو الكعك المعد فى فرن البيت ، أو ما طعم الفول السودانى المملح .

والدور كافة فى حاجة ماسة إلى الترميم ، وإذا تداعى سقف ظلّ على حاله أشهراً إلى أن يؤذن لصاحبه بألواح من الخشب الأبيض لترميمه ، أمّا الطلاء فلا . وترقع أغطية الأثاث الرثّ بقماش الأكياس التى يعبأ فيها البطاطس . وليس هناك من حمّام فى دار إلا وتعوزه المناشف ، ولا فراش إلا ويفتقر إلى غطاء . ولم يعد من الأسرار الخافية أن نوافذ الدور الأعلى فى قصر بكنجهام عارية بلا أستار .

وقد أخبرتنى إحدى الأسر فى لندن أن ملابسها كما يلى : ربة البيت تلبس ثوباً من قماش حلة سوداء ورثتها عن أبيها، أما حذاؤها وهو ضيق يؤلم قدمها ، فقد اشترته مستعملا من جارة اشترته مستعملا من أخرى اشترته

من سويسرا . أما الزوج فيلبس حلة اشتراها من سوق الملابس القديمة . وأما ابنتهما الشابة فملابسها الداخلية من أرخص أنواع الأقمشة وأخشنها ، وجواربها من صنف غليظ، وهو لو غطى أجمل ساق لأخفى كل جمالها .

والذين يزورون بريطانيا اليوم يكاد يتشابه إحساسهم، فأشدهم كراهية للبريطانيين لا يطيق إذا قدم إليه لثالث مرة طبق من الكرنب المسلوق إلا أن يصرخ قائلا: « لماذا تتحملون كل هذا ؟ فلن يرد بلدكم موارد التلف إذا أذن لكم ببعض الطعام المستساغ ، أو بزيادة قليلة من الثياب » .

أما البريطانيون فيتحملون كل هذه الأعباء ، إذ لا مفر لهم من ذلك . فهم بين أمرين لا ثالث لهما : إما الرضى بمعيشتهم كما هي اليوم ، وإما الإفلاس . فقد خسر الشعب البريطاني ربع ثروته في الحرب ، وتهدمت مصانعه ودوره ، وضاع نصف أسطوله التجاري ونصف أمواله الموظفة في الخارج ، ومجموع هذه الخسائر ٣٠ بليوناً من الريالات. ثم هو ينهض بتبعات خارج بلاده تنهظ كاهله. فلو تحللت منها بريطانيا لوفرت ١٣٠٠ مليون من الريالات كل سنة ، ولخففت بها ضائقة شعبها ، ولكنها تخشى إذا جلت فجأة عن الهند أن تستعر الحرب بين المسلمين والهندوس ، وقد يموت ملايين منهم بسبب المجاعة، ويصبح طريق الهند مفتوحاً أمام روسيا . وتخشى إذا هي انسحبت من فلسطين أن تقع مجزرة كبيرة بين العرب واليهود، وأنها إذا انسحبت من ضفاف الرين فمن يتولى توفير الطعام لسكان المنطقة التي تحتلها في ألمانيا .

فهذه هي الصعاب التي تجعل نجاة بريطانيا من الإفلاس مرتبطة بمقدار المواد الخام التي تستطيع أن تستوردها لمصانعها، لتبيع منتجاتها بعد ذلك في الأسواق الخارجية نقداً . فليس لها سوى هذه المنتجات لتدفع بها ثمن ما تحتاج إليه من طعام حين ينفد القرض الأمريكي . وهي في حاجة إلى الوقت حتى تنتظم صادراتها ، فالقرض يفسح لها أن تتنفس ولكنه لا يوفر لها كل ما تحتاج إليه من الوقت بل بعضه .

والشعب البريطاني ، يدرك حق الإدراك تلك الحقيقة المرة التي تتجلى من الفرق بين الدخل والخرج القومي ، فالدخل يبلغ ٤٫٨٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريالا ، موزعة كالآتي :

أرباح السفن ٦٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال .
فوائد أموال موظفة في الخارج ٥٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال
صادرات ٤٫٨٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال .
أما الخرج فيبلغ ٦٫٩٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال موزعة كالآتي :
واردات من الطعام والمواد الأولية ٥٫٢٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال .
نفقات الجيوش في الخارج ١٫٢٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال
معونة إلى ألمانيا وإيطاليا وغيرهما ٥٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال

فالفرق هو بليونا ريال . وهى تعتمد فى سدّ هـذا العجز على قوى ثلاث : الأيدى العاملة ، والآلات ، وتنظيم الاقتصاد القومى.

أما العمال فإن عددهم قد نقص بسبب الحرب نقصاً كبيراً. فمنهم من قتل فى الحرب، ومنهم من لحقته إصابة أقعدته عن العمل . ويبلغ مجموع خسارة بريطانيا فى هذا الباب ٦٠٠ ألف عامل. ونجم عن توجيه بريطانيا لمعظم شبانها إلى الخدمة العسكرية فى فروعها المختلفة طوال السنوات الست التى دامت فيها الحرب ، أن أصبحت المصانع مفتقرة إلى العمال المدربين . وهناك ٢,١٠٠,٠٠٠ رجل يعملون فى وظائف الحكومة وخدمة التموين . وفضلا عن ذلك فإن بريطانيا تحتفظ الآن بأكبر جيش عهدته فى وقت السلم، وقوامه مليون رجل ونصف مليون من الرجال ، فلايبقى لها بعد ذلك من الأيدى العاملة إلا ١٨ مليوناً . ولكنها مضطرة إلى أن تصرف منهم ١١ مليوناً ونصف مليون إلى العمل فى إنتاج مايحتاج إليه الجيش من مهمات وأدوات ، وإلى أنواع أخرى من الأعمال لاغنى لحياة الشعب عنها . ويدخل فى هذا الباب المزارعون ، وأصحاب المتاجر وعمال النقل ، فلايبقى للمصانع بعد ذلك إلا ستة ملايين ونصف مليون من الرجال .

وفضلا عن ذلك، فإن قانون تحديد وقت العمل بأربعين ساعة فى الأسبوع، وإصرار اتحـاد نقابات العمال الذى أصبح كإحدى الوزارات، على المطالبة برفع الأجور ، كلاهما من العوامل التى ترفع أثمان كافة صادرات بريطانيا ، هذا وقد جرى استفتاء شعبى منذ زمن قريب فتبين أن ٤٠ ٪ من الرجال والنساء مابين العشرين والثلاثين قد أعربوا عن رغبتهم فى الهجرة . فليس هناك مستقبل زاهر لبلد مهدد بفقد ٤٠ فى المئة من صفوة أبنائه ذوى الشباب والقوة .

أما المصانع فمعظم آلاتها قد لحقها الدمار أو البلى من جراء الحرب ، وكثير منها قد أهمل ، بيد أن المشكلة أعمق غوراً من ذلك . نعم إن موهبة الاختراع لا تنقص البريطانيين ، ولـكنهم لم يبرهنوا عليها بآثار ظاهرة فى ميـدان الإنتاج الصناعى الوفير الواسع النطاق ، فهى متأخرة فى هذا المضمار . وقد آن الأوان لكى توليه عنايتها . فهى بلد لا يزال معظم دوره خالياً من التلفونات والثلاجات وآلات الغسل والكنس، ولا يملك سيارة سوى أسرة واحدة من كل سبع ، ولا تزال وسائل نقل البضائع مقتصرة على عربات تجرها الخيل .

ومناجم الفحم، وهى أهم موارد بريطانيا ، خير مثل يتجلى فيه نفرة أهلها من الاعتماد

على الآلات فى إنتاجهم . فالفحم الذى وصفه هربرت موريسن وزير الداخلية بأنه « وسيلة البقاء » هو الذى يمد المصانع بالقوة المحركة ، كما يستعان به فى تدفئة الدور ، ولكن لا يزال العامل البريطانى فى المناجم يعمل بيده فلا يبلغ إنتاجه إلا سدس ما ينتجه قرينه فى الولايات المتحدة .

ويبلغ إنتاج الفحم ١٨٠ مليون طن فى السنة ، يضيع ربعها هباءً ، لأن أفران المصانع ومدافىء البيوت من طراز عتيق . وقد مضت على البريطانيين دهور طويلة وهم لا يألفون إلا الجلوس أمام المدافىء المفتوحة وهم يعطسون ويتململون من آلام الروماتزم ، ويصرون بعد كل هذا على أن التدفئة ببخار الماء المحبوس فى الأنابيب مضرة بالصحة.

وتراهم يتدثرون بالثياب الثقيلة ويشربون مقادير كبيرة من الشاى ، وقد يستعينون بمدافىء كهربائية صغيرة أو يحتضنون قنينات ملأى بالماء الساخن ، فيخيل إليك أنهم يجاهدون جهاداً كبيراً للهرب من الدفء عمداً . وهيهات أن يؤمنوا بأن المدفأة المفتوحة لا تنتفع إلا بنحو ١٥ فى المئة من قوة الفحم ، وأما التدفئة بالماء الساخن فتنتفع بنحو ٦٠ فى المئة منها ، ولهذا يضيع عليهم ثلاثة أرباع ما يحرقونه من الفحم . فلا مفر لهم من الإقلاع عن جمودهم والتحول إلى الوسائل الحديثة فى المصانع والدور ، لأنهم يعانون اليوم نقصاً فى الأيدى العاملة وفى الفحم ، حتى أصبح بعض المصانع مهدداً بالانقطاع عن الإنتاج .

فلا معدى لبريطانيا من أن تتحول عن الإنتاج القليل الجيد إلى الإنتاج الكثير ، ولكنها تواجه هذا وقد خرجت فيه من الحرب وهى تلهث من التعب . فإن أحجمت كان فى الإحجام هلاكها ، وإن أقدمت فستعانى الكثير من الهم والضيق حين ترى التحول يسير بخطى وئيدة لأنه تحول لا يتم بين عشية وضحاها . فتعلُّم الوسائل الجديدة لا يكون إلا بالتجربة والامتحان والاهتداء إلى الصواب بعد الخطأ . لذلك يشك كثيراً فى أن تفلح بريطانيا فى زيادة إنتاجها بفضل هذا التحول قبل أن ينفد قرضها الأمريكى .

أما الاقتصاد القومى فإن إنجلترا قد اندفعت فى السيطرة عليه ، ونجم عن ذلك أن صارت بين اثنتين : إما أن تشرف على أصحاب الأعمال فلا تترك لهم من الحرية إلا اسمها ، وإما أن تحل محلهم فى الملكية فيصبح صاحب العمل خادماً للدولة .

وهذا التحول فى الأنظمة الاقتصادية وفى وسائل الإنتاج ينبغى أن يتم بسرعة وبلا توقف وكان يظن أن هذا التحول يتطلب إنجازه ما بين عشر سنوات إلى عشرين

سنة ، وأن يكون على التدريج . والظاهر أن حكومة العمال لاتهاب هذه الثورة فى الأنظمة الاقتصادية ، والحقيقة أنها بدأت بالأهم قبل المهم ، فهى اليوم قد أممت أو بدأت فى تأميم خطوط الملاحة الجوية ، وبنك إنجلترا ، والمناجم ، ومصانع الأدوية ، والمواصلات البرقيـــة واللاسلكية ، والسكك الحديدية ، والنقل بالسيارات ، والبترول ، ثم تأتى الكهرباء والغاز والماء وصناعة الصلب أيضاً ، كما أنها أصبحت أشبه بالمالكة للأراضى الزراعية . والسرعة التى يتم بها هـذا التأميم تسبب كثيراً من القلق .

وكثير من البريطانيين لا يكاد يفهم كيف تستطيع وزارة ليس بين أعضائها رجل واحد من أهل الصناعة (وهى وزارة العمال) ، أن تكون أقرب إلى النجاح وأقدر على تنظيم الاقتصـاد البريطانى من رجال طالما مارسوا مشكلات الإنتاج ، مهما قيل فى هؤلاء الرجال . فإنه لا معدى للجان الحكومة مهما صدق عزمها وتولاّها خير الرجال ، من أن تواجه تلك الصعاب الجمة التى ينطوى عليهـا تملك الحكومة للصناعات وإدارتها لها . فاتساع أعمال الحكومة يتطلب مزيداً من الموظفـين ليتولوا فحص السيل المتدفق من الطلبات والاستمارات ، وهكذا يعمل آلاف من الرجال والنساء فى عمل ليس من ثمراته شىء يؤكل أو يلبس أو يباع فى الخارج . ويشكو أصحاب المصانع التى لم تمتلكها الحكومة بعد أنهم غـير قادرين على زيادة الإنتاج فى مثل هذه الأحوال .

ومن شكواهم أن اتحـاد نقابات العمال لا يعنى بزيادة الإنتاج بقدر عنايته بتحويل أصحاب المصانع إلى موظفين فى حكومة يسيطر عليها العمال . والشعور السائد بينهم هو أن الغرض الأول من تأميم الصناعات هو زيادة هذه السيطرة ، وأن رؤساء المصانع الذين تعينهم الحكومة ليسوا سوى آلات فى يدها تسخرها لجمع الأنصار الذين يصوتون لها فى الانتخابات القادمة . وهذا عبث بحرية الانتخابات التى ألفتها بريطانيا دائماً . وتدافع الحكومة عن نفسها بأن التأميم لم يطبق إلا على خمس الصناعات فحسب ، أما أربعة أخماسها الباقيـة فسيظل فى ملكية أصحابها . وستفقد بريطانيا بسبب هذا النزاع بين الحكومة وأصحاب المصانع ، كل أمل فى الوصول بالإنتاج إلى الحد المطلوب قبل أن ينفد القرض . وهى إذا لم تصل إلى هدفها فستكون مهددة بالانهيار .

ومن أجل تفادى هذا الانهيار قد وُكل تنظيم إشراف الحكومة على الاقتصاد القومى إلى رجال سمت أغراضهم ومبادئهم ، ولكن

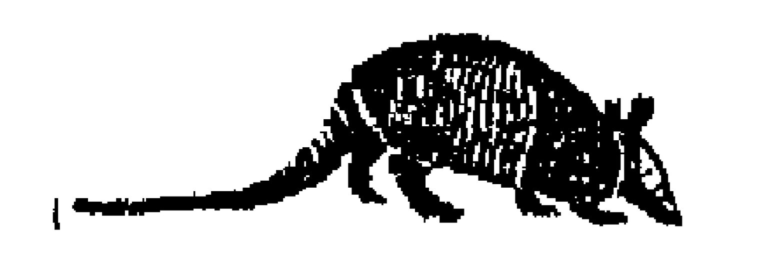
هذا الإشراف الحكومى قد انقلب على يد رجال من أمثالهم فى بلاد أخرى إلى التحكم والاستبداد . وإكراه الأقلية على الصمت هو أول الخطوات إلى العبودية .

فها هى عضوية اتحاد النقابات قد أصبحت اليوم فى بريطانيا شرطا لازما لاستخدام العامل . وبدأت محاولات للقضاء على ما للفرد من حقوق على أرضه وبيته، ولحرمانه من ثمرة كده واجتهاده . وإكراهُ المرء على أن يعمل كما يُؤمر، مفضٍ إلى إكراهِهِ على أن يفكر كما يؤمر .

وينبئ مظهر الشعب البريطانى بأنه مقبل على عمله كما كان فى الماضى وإن حرم كل شيء سوى الصبر . وقد تكون ثياب الشعب رثة ، ولكنه لا يزال يحتفظ بنظافة بلاده كأنها حديقة من الحدائق ، ولا يزال القضاة فى أرديتهم القرمزية يفصلون بين الناس بالعدل المعهود منهم . ولا تزال الأسر على عادتها يشارك بعضها بعضاً فى بطاقات التموين ، وتجاهد جهاداً كبيراً للتغلب على صعاب الحياة . ولا يزال الرجال يراهنون فى سباق الكلاب ، ويشربون البيرة المخففة، ويتناقشون فى الألعاب الرياضية .

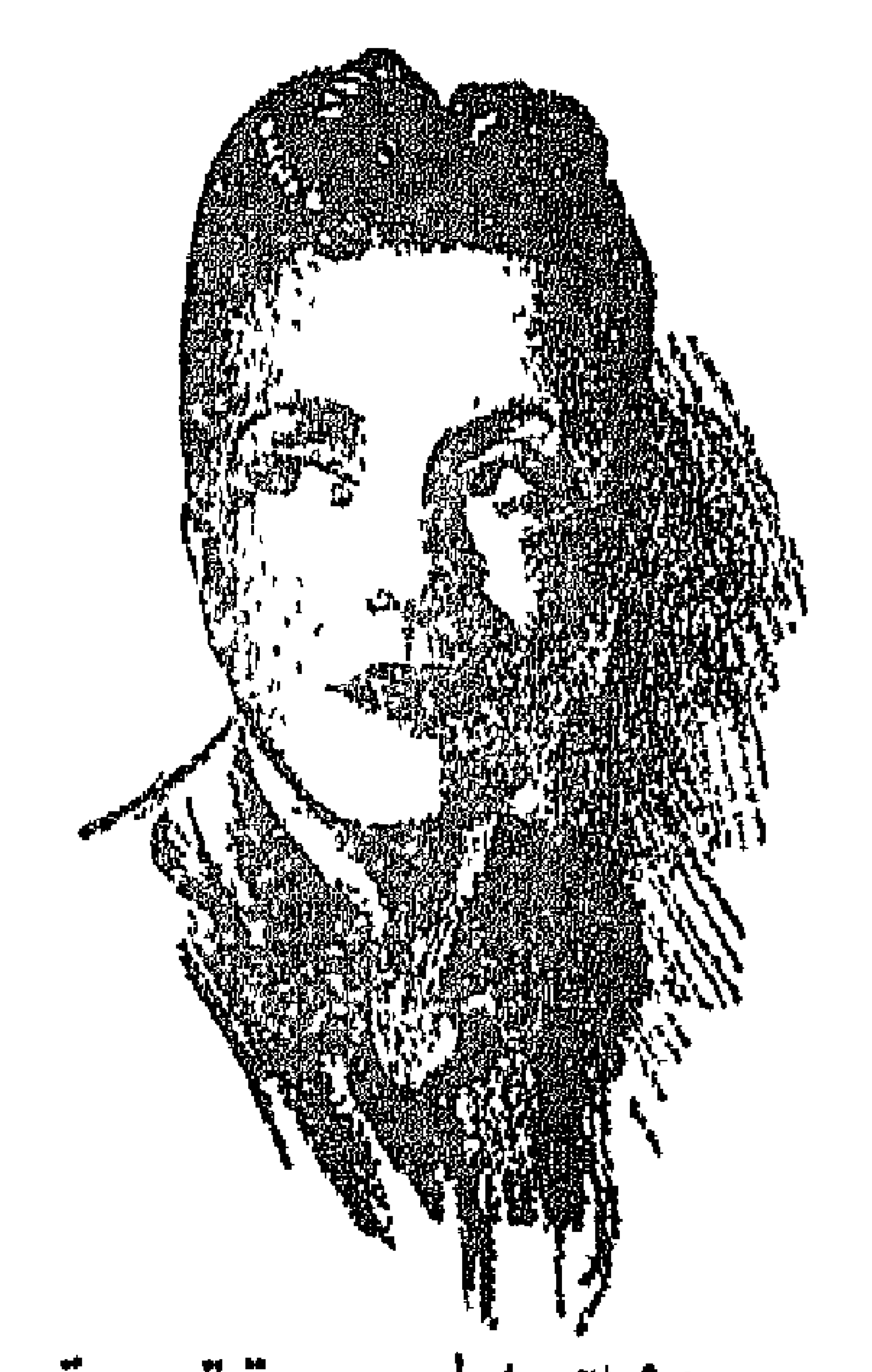
هـذا هو الظاهر ، ولكن الشعب البريطانى يضمر فى قلبه شعوراً بقلق لا يزال يتزايد ، فإنه يعمل بصبر آملا أن يصل إلى عهد من الرخاء ، ولكنه لا يكاد يصبر على رؤية الاعتداء المتزايد على حريته الشخصية، تلك الحرية التى حرصت على احترامها كل الحكومات السالفة . فالكرب الذى يشعر به الشعب ليس مردّه إلى بطاقات التموين، بل إلى شيء آخر أكبر منه .

وقد بذلت أخيراً محاولة لتأليف نقابة من ممرضات أحد المستشفيات فى لندن . فلما احتجت الممرضات فصلن من عملهن بلا هوادة . فسارعت الصحف إلى الاهتمام بأمرهن وكتبت مقالات افتتاحية عديدة للدفاع عنهن ، وانبعثت من الأمة كلها صرخة غضب ، فتراجعت الحكومة، ولكن بعد أن ساد بين الشعب شعور بأن تأميم نواحى الإنتاج والمهن إذا لم يجر على أسس سليمة فهو خليق أن يؤدى إلى خنق الحرية ، وتأليف حزب واحد ، والخضوع لزعيم واحد — أى إلى الحكم المستبد المطلق .



بعض النـاس يسرع إلى تصـديق كل شيء عنك ،
ما دام الذى يسمعه هو أسوأ شيء . [هيو فلرتون]

سيدة من أجمل سيدات المكسيك وأكرمهن تقيم الدليل على أن الأنوثة لاتنافى المطالبة بحقوق النساء



حسناء عاملة تحدث انقلابا فى قومها

ميشيل سنالى
مختصرة من مجلة " ذى إنتر أميريكان "

سيدة ضئيلة الجسم رقيقة متألقة الحسن — هى أديلا فورموزو ده أوبريجن سانتاسيليا ، تنظر إليها فيخيل إليك أنها تستعد لصورة تنشر فى إحدى مجلات الأزياء ، بيد أنها من أكثر النساء عملا فى الشق الغربى من كرة الأرض . فقد أنشأت الجامعة الحديثة الأولى للنساء فى بلاد المكسيك ، وتولت إدارتها ، وهى قائدة حملة قومية أنقذت من العمى حتى اليوم ألوفاً من أبناء وطنها . وهى تتولى عن حكومة بلادها مهام خاصة ، فقد كانت عضواً فى الوفد الذى مثل المكسيك فى مؤتمر الأمم المتحدة فى سان فرانسيسكو . ثم هى بعد ذلك خطيبة مفوّهة تحبها الجماهير ، وكاتبة لها قرّاء كثر ، وموسيقية موهوبة ، وهى التى نظمت الفرقة المكسيكية الأولى للرقص التمثيلى (باليه) . وفضلا عن ذلك فإنها أم ثلاثة أطفال حسان ، وزوجة رجل هو من أسعد الأزواج فى المكسيك

وإذا تأملنا فى نشأة أديلا ازددنا إعجاباً بكل هذه الأعمال التى تضطلع بها ، ذلك بأن هذه الفتاة الصغيرة الحسناء نشئت تنشئة الزهرة الغضة وفقاً للتقاليد الإسبانية العريقة التى تقضى بأن تجنَّب نساء الطبقة العالية غمار الحياة خارج البيت أو خارج محيطهن الاجتماعى الخاص .

وقد ترعرعت أديلا فى بيت كبير فى مدينة المكسيك ، فجعلت تفكر لماذا يتاح لأخوتها أن يطلبوا العلم فى الجامعة ، ثم تمنع هى ويمنع أترابها من الفتيات أن يتعلمن شيئاً سوى الشعر الفرنسى والمحاسن الاجتماعية التى تهيء لهن سبيل الزواج ؟ وأحست أن الطبقة التى تنتمى إليها هى طبقة محرومة ، وأنه إذا ما أتيحت لها الفرصة كان فى وسعها أن تقيم فى المكسيك نظاماً أفضل من نظامها القائم . فأخذت تثقف عقلها

مستعينة بمكتبة الأسرة الحافلة ، وجعلت تنتظر .

وقد واتتها الفرصة يوم لقيت كارلوس أوبريجن سانتاسيليا ، وهو مهندس معمار شاب ، فوافقها على أن للنساء عقولا قمينة بالتثقيف . وأصبح العهد الذى قطعاه يوم عقدت خطبتهما ، خبراً خطيراً بعد زواجهما فى سنة ١٩٢٧ ، فقد أذاعت أديلا بعد الزواج أنها صارت حرّة فى أن تطلب العلم فى الجامعة القومية .

فاستنكرت أسرتها وصديقاتها هذا الخبر، بل إن الجامعة نفسها حاولت أن تثنيها عن عزمها فقيل لها : « ليس لديك ياسيدتى ما يؤهلك لنيل درجة من الجامعة » .

فقالت : « ولكننى ياسيدى لا أطلب درجة ، وإنما أطلب علماً » .

وقد أقنعتهم بأن يأذنوا لها أن تحضر الدروس مستمعة ، وأما صديقاتها فلبثن ينتظرن حتى تفتر حماستها .

ولكن حماستها ظلت متأججة . وهذه السيدة فى أوائل العقد الخامس من عمرها اليوم ، ولما تظفر بدرجة من الجامعة ، ولكنها أنشأت جامعة للنساء ، وفيها يتهيّأ جيل جديد من الفتيات للقيام بنصيب أوفر وأجدى فى حياة الأمة . وقد أسفرت حماستها أيضاً عن مأثرة مجيدة أخرى هى دار العيادة الحديثة التى شيّدتها الجمعية المكسيكية لمنع العمى . وهى تسعى الآن إلى إنشاء نظام جديد نافع لمحاكم الأحداث .

وأنت ترى اليوم صديقاتها اللواتى كنّ يستنكرن نهجها قد أصبحن معجبات بها ، ويدهشهن أن تجد متسعاً من الوقت للقيام بجميع هذه المهام . أما هى فتقول : « إن القيام بعمل نافع شىء هين كالقيام بعمل غير نافع — وهو أبعث على رضى النفس . ألا ترين ما ينفقه الناس من الذكاء وحصر الذهن فى لعب النرد وأشباهه ؟ »

وقد دلت وهى تكافح علة العمى فى بلادها ، على أن النساء يفقن الرجال فى إصلاح بعض عيوب النظام الاجتماعى .

والعمى فى المكسيك ، وبخاصة بين الأميين ، لم يزل إحدى مشكلاتها الكبرى . وفى سنة ١٩١٨ اهتمت جماعة من الأطباء على رأسها الدكتور جوزيه توريس ، فأنشأت عيادة صغيرة أثبتت أن معظم إصابات العمى فى المكسيك مَرَدُّها إلى أصول بسيطة مثل مرض الحصبة وجدرى الماء ، وأن منعها أمر ميسور . بيد أن هذه الحركة ظلت ضعيفة متعثرة حتى عام ١٩٣٦ ، لافتقارها إلى المال والتوجيه السديد .

وكانت هذه السيدة قد تطوعت للعمل فى العيادة ، فأدركت أن أسباب المشكلة

متأصلة فى جهل الجماهير وفاقتهم، وأن الحاجة إنما هى إلى حملة تشن لتحريك نفوس الناس وتعليمهم ، ولجمع المال للعناية بالعيون . فنظمت سلسلة من الاجتماعات : من إلقاء المحاضرات إلى مصارعـة الثيران ، فعلقت اللوحات ووزعت النشرات وخطب الخطباء ، وكان كل ذلك يصور الحالة تصويراً يحرك النفوس .

وقد جمع من المال فى هذه الحملة ما يكفى لتشييد عيادة ذات ثلاث طبقـات فى قلب مدينة المكسيك، وفيها تتدرّب الأمهات على العناية بعيون أطفالهن ، ويتولى الجراحون أدق الجراحات . وفى الدار اثنا عشر طبيباً يعالجون نحو ٣٠٠ مريض كل يوم ، وهم يظنون أنهم أنقذوا بصر ٧٥ فى المئة من جميع الذين عالجوهم فى السنوات الخمس الماضية.

وأرادت هذه السيدة أن تيسر العناية الطبية للمصابين فى قرى الجبال، فاشتركت مع الدكتور لويس سانشيز بولنس فى سنة ١٩٤١ فى تنظيم أول عيادة للعيون فى العالم تتنقل بالسيارات من مكان إلى مكان . فترى فى سيارة ضخمة طبيباً متخصصاً فى أمراض العيون ومساعداً له وممرضة ، يفحصـون القرويين المحتشدين ويعالجونهم . فإذا كان أحد المصابين فى حاجة إلى جراحة أرسلوه إلى العيادة فى مدينـة المكسيك ، ولكن معظم المصابين ينتفعون بالعلاج الذى ينالونه على المكان ، وبما يوصف لهم من علاج يزاولونه فى بيوتهم . وهـذه السيارة تتمّ جولتها مرة كل ثلاثة أشهر ، فتيسر العلاج لخمسة آلاف أو أكثر فى كل سنة .

وقد كان آلاف من الصغار يتركون المدرسة بعد عام أو عامين إذا كانوا ضعاف البصر ، فتكتب عليهم الجهالة والأميـة ما عاشوا . ويظهر أن أحداً من الناس لم يكن يدرك أن هذه المآسى التى تنزل بأفراد الأمة ، تسلّ قدرة الأمة وتهبط بمستواها الاقتصادى والثقافى . أما اليوم فتجد فى كل مدرسة فى منطقة العاصمة لوحة لامتحان بصر التلاميذ، وإرشادات للانتفاع بها، وهى من اليسر والوضوح بحيث يستطيع كل معلم أن يتولاها . وقد كشفت هـذه الامتحانات حقيقة عجيبة ، وهى أن ٢٧ فى المئة من تلاميذ المدارس الابتدائية يحتاجون إلى علاج عيونهم أو تصحيح بصرها . وقد ظفر مئات من المصابين بالعلاج النافع فى العيادة العامة .

وقد دأب عقلها الذى لا يفتر نشاطه ، على التفكير فى تنكر قومها لتربيـة البنات تربية نافعة ، ورسخ فى ذهنها أن هذه الهوة التى حفرها الناس بين الرجال والنسـاء تضعف من جهد الرجال والنساء جميعاً . فالجماعة تنبت أمهات ينبغى أن يرشدن

صغارهن ، ولكنهن أمهات لا يدرين شيئاً من حقائق الحياة . وهذه مشكلة قومية ، لأن النساء اللواتى ثقفت عقولهن هن أنفع وسيلة لتحسين أحوال الاجتماع التى يرتبط بها فلاح الأسرة .

وما وافى عام ١٩٤٠ حتى كانت قد ظفرت بتأييد كبار أهل التربية فى البلاد، وبموافقة الحكومة على مشروعاتها . ثم عرضت هذه المشروعات على ذوات الجاه والثراء من نساء المكسيك . فعاونّها على جمع المال، وفى أوائل سنة ١٩٤٣ فتحت أبواب جامعة النساء .

والغرض الذى ترمى إليه هــذه السيدة هو أن تنشىء أمهات يحسن خدمة الوطن، فلذلك ترى الجامعة تعنى عناية كبيرة بدروس التغذية وتربية الطفل تربية علمية ، بيد أن الأساتذة لا يكفون عن تنبيه الطالبات إلى أن تبعاتهن لا تنحصر فى البيت. وقد اتخذن لذلك شعاراً من أرسطو مؤداه : « النساء نصف الأمة » . ولذلك يتاح الآن للفتــاة المكسيكية أن تتعلم القانون أو أعمال المصارف أو الصحافة أو التمريض، أو مايعدها للعمل فى السلك القنصلى .

وعــدد الطالبات فى الجامعــة ٣٥٠ ، معظمهن من بنات الأسر الوجيهة التى كانت تنشىء بناتها تنشئة الأزهار الغضة . بيد أن نظرتهن الجديدة إلى الحياة والعمل فى الحياة لم تنتقص من فتنتهن . والسيدة أديلا نفسها تعدّ من أبهى درر الحيــاة الاجتماعية فى المكسيك وأكرمهنّ، وتقول: « كلما ازدادت معارف المرأة ازداد شغف الرجال بها » .

سرّ نجاح الصحفى

بعد سنين من العمل الشاق اعتزل محرّر صحيفة فى الريف عمله ، فقد صار صاحب ثروة وهو يحبّ أن يستمتع بها وبالراحة . فسئل عن سرّ نجاحه فقال : « إننى أعزو قدرتى على أن أعتزل العمل ولى فى المصرف مئة ألف ريال بعد جهاد دام ثلاثين سـنة ، إلى مثابرتى على القيام بواجبى ، والتزامى سياسة الصدق فى كل ما نشرت ، ونهج الاقتصاد فى جميع نفقاتى ، ووفاة عمى الذى خلف لى ٩٨٫٥٠٠ ريال . [نشرة أنباء بوسطن]



إن رحلة طولها ألف ميل تبدأ بخطوة واحدة . [مثل صينى]



والت ويتمان شاعر الشعب

ماكس إيستمان

لكل شعب عظيم شاعره، فشكسبير، وجوته، وبوشكين، ودانتى، وهوجو ولى بو — هذه أسماء تخفق فى سماء بلادها كأنها أعلام قومية. وليس ثمة شك الآن فى أن والت ويتمان هو الذى سيتبوأ فى أمريكا هذا المكان الفريد. وقد أفرد له معجم أدبى حديث ٧٤ صفحة، تقابلها ٢٧ صفحة لإدجار ألان بو، وسبع صفحات للونجفلو، وست صفحات لويتيار.

وأنا أرى فى هذا تحولاً رائعاً، فقد مات ويتمان فى بيت صغير زرىّ فى كامدن بولاية نيوجرسى، مغموراً لا يكاد يعرفه جمهور القراء، وكان يعدّ — فى حيث كان يعرف — رجلا قبيح السّيرة غير عفّ اللسان.

على أن ويتمان كان فى الواقع نزيهاً نقى الصفحة — وبلغ من ذلك أن كل أصدقائه كانوا يذكرون هذا عنه ويتحدثون به. وكان فضلا عن ذلك، إذا قيس إلى معظم الشعراء، نموذجاً للفضيلة، ولم تكن له رذائل أوعادات سيئة. ولم ينطق قط بفاحشة ولادخّن ولاقامر، وقلما كان يشرب خمراً.

وقد ولد فى ١٨١٩ فى كوخ صغير حائل اللون، وقضى معظم حداثته فى بروكلين حيث كان أبوه يبنى المنازل. ولما بلغ العشرين كان قد تعلم صف الحروف، واشتغل بالتدريس، وأصدر جريدة كان يكتبها ويطبعها بنفسه، ويوزع أعدادها على ظهور الخيل. وظل تسع سنوات بعد ذلك يعمل فى الطباعة، أو استقاء الأخبار، أوالتحرير فى صحف شتى. وكان فى العامين الأخيرين من هذه الفترة رئيس التحرير فى جريدة « بروكلين إيجل ».

وقد نظم وهو فى هذا العمل بعض الغزل الرقيق، ولكنه بلغ التاسعة والعشرين من عمره فلم يخطر بباله قط ولا ببال أحد سواه أنه قد يصير يوماً ما شاعراً عظيماً

وكان كل امرىء في المدينة وحولها يعرف والت ويتمان ويحبه ، وكان ضخماً قوياً متين الأسر ، وله وجه ورأس من خير ما أبدعت الطبيعة . ولكن الشيء الذى اشتهر به هو أنه كان يعمل العمل على سجيته وبغير احتفال ، فكان إذا لم يكف عن العمل عصر يوم ويذهب للسباحة ، فذاك لأنه قضى الصباح غادياً رائحاً فى سفينة أو مركبة . ولقد قال عنه أحد الذين استخدموه : « إن هذا الفتى إذا أصابته الحمى فإنه يكون أكسل من أن يقفقف ويرتعد » ، وقد لازمته هذه السمعة .

والسبب الذى دعا ويتمان إلى ترك جريدة « الإيجل » ملفوف فى مثل الضباب ، ولكنك تستطيع أن ترى شخصيته بارزة فى وضوح من خلل الضباب ، فقد كان يميل إلى حظر الرق فى الولايات الجديدة ، وكان أصحاب الجريدة يريدون ترك الأمر لما تقرره الولايات نفسها .

ولم يكد ينقضى شهر على ترك ويتمان لصحيفة الإيجل ، حتى تعاقد على تولى تحرير جريدة فى نيوأورلينز ، وكانت رحلته إلى نيوأورلينز بداية مرحلة جديدة فى حياته ، فقد أيقظت العملاق الذى كان راقداً فى أطواء نفسه ، وابتعثت وجدانه وخياله . وأعتقد أن لذلك ثلاثة أسباب :

الأول أن الرحلة أذهلته وراعته ، فقد رأى مبلغ الخصب والثروة فى الجمهورية الفتية المترامية الأرجاء ، فوقع حب أمريكا فى قلبه . والثانى أنه أرسل نفسه على السجية إلى حد ما فى جو نيوأورلينز الفرنسى الحر المفتر ، فأقلع عما فى طبيعته من شدة المصلح وصرامته .

ولكن أهم من ذلك أنه أحب امرأة لم يستطع — أو لم يشأ — أن يتزوجها ، ولا يعرف شيء عن هذا الحب سوى صورة رائعة للفتاة ملصقة فى أحد دفاتره ، لأن ويتمان كان قد حرص على أن يكتم هذا السر فى قلب صخرة صماء . ولكنه لاشك عندى أنا على الأقل ، فى أن لمسة هذه الفتاة هى التى فجرت ينابيع الشعر فى نفس هذا الفتى الكسول ، المتلهب ، الجليل ، الغرير .

وعاد ويتمان من نيوأورلينز ، وقد تغير وصارت له رسالة . فقد رأى رؤيا — رؤيا الجمهورية الأمريكية تنفض عنها آخر ما كانت تتلفع به أوربة الإقطاعية ، وتأخذ بيد البشرية إلى عهد جديد من حياة تكفل للناس المساواة والحرية بغير خوف ، وتزخر بجرأة العلم ورقة الشعر . فإذا بهذا الرجل قد خرج على الناس ليغنيهم فى شعره بهذه الصورة ويدعوهم إليها .

وقد أدخل ويتمان تغييراً طفيفاً على اسمه ،

وتغييراً كبيراً في زيه، فهو شاعر الديمقراطية، ولهذا طرح رباط الرقبة وحل أزرار قميصه وراح يرتدى الثياب العادية التي يتخذها العامل أو الصانع. ولم يكن هذا التغيير متكلفاً كما يبدو لأول وهلة، لأنه كان نجاراً يعاون أباه، وكان هذا هو الزى الذى يتخذه وهو يعمل، ولكن دلالته كانت عميقة في نظره.

وكان يعتقد أنه يحدث تطوراً مماثلا لذلك في الشعر، ذلك أنه بدلا من أن ينظم الشعر على مثال شعراء إنجلترا، كان يقول ما يريد أن يقول في بساطة، على نحو ما يعرب العمال عما في نفوسهم، ويدع الألفاظ وحدها تغنى أغنيتها.

ولم تكن طريقة ويتمان في قرض الشعر هي التي أكسبته العظمة، وإنما كانت العظمة فيما تغنى به: كقصيدته في نفسه — وهي تكشف عن قيمة الإنسان الفرد وجلاله وقدسيته — ليس لها نظير في الأدب، وأغنية العطف، وفيها من مروءة القلب وأريحية النفس ما لم يتغن بمثله أحد من قبل، وقصيدة الإيمان وهي تحلق فوق المعابد، وقصيدة الديمقراطية وهي تتخطى حدود الأمم، وقصيدة الحب وهي تخرج به من سجن الصمت الذى سجنه فيه الحياء الكاذب والتزمت المتكلف.

وكانت هذه القصيدة الأخيرة (عن الحب) هي التي جنت عليه سوء السمعة. وإن صراحة ويتمان المشهورة في المسائل الجنسية لتبدو مستحيية ساذجة في هذه الأيام التي تستطيع فيها أية طالبة أن تبتاع الكتب عن الحب والزواج من أقرب مكتبة. ولقد كانت قصيدته هذه إلهاماً، وكان ديوانه أول كتاب في العالم — إذا استثنينا الكتب الطبية — يتناول العلاقات الجنسية في صراحة وجدّ، ومن غير نزق عاطفي. وكان يصدر في ذلك عن عاطفة جليلة وشعور بقدسية كل وجود وكل ذرة، وقدسية نفسه التي هي بعض ذلك كله. وكانت هذه الصراحة الجادة الجديدة من أهم مظاهر التطور في تاريخ الثقافة الإنسانية.

وقضى ست سنوات في نظم ديوانه الجليل، وكان يخط الأبيات ويقيدها وهو يعبر النهر أو يقف على الرصيف أو يستقبل مركبة، أو يرقد على الشاطىء الموحش. ثم يرتد بما دوّن إلى البيت، ويجرى فيه قلمه على منضدة من خشب الصنوبر في غرفة صغيرة في الطابق الأعلى، لها نافذة واحدة، وفيها سرير ضيق، ووعاء للاغتسال. وكأنما أراد أن يفيض على ديوانه روح الديمقراطية والشعور بقداسة الصغير والبسيط من الأشياء، فسمى ديوانه «أوراق العشب».

وكان في كلامه عن نفسه في الديوان

يتكلم عن الأمريكي العامل . وقد أسرف فيما نحل نفسه وادعاه لها ، ولكن الذى كان يحاول أن يقوله هو : « هكذا ينبغى أن يتكلم الرجل العادى ، وهكذا ينبغى أن يكون موقفه » . ومن ذلك قوله :

« أنا أو أنت — وإن خلت جيوبنا حتى من مليم — قد نشترى أطيب ما فى الأرض .

« ولأن تنظر بعين أو أن تستنبت فولة فى كمها خليق أن يذهل علم الأزمان كلها .

« وما من حرفة أو مهنة إلا والشاب الذى يعمل فيها قد يستطيع أن يصبح بطلا .

« وما من شىء مهما يبلغ من لينه إلا وهو يصلح مداراً لعجلات الكون .

« وأنا أقول لكلّ رجل وامرأة : خلّ روحك تقف هادئة ساكنة أمام مليون من الأكوان » .

وقد طبع ويتمان ثمانمئة نسخة من ديوانه فى مطبعة صغيرة وأشرف بنفسه على الطبع ، ثم نشر إعلانا فى صحيفة نيويورك تربيون ، وبعث بنسخ إلى النقاد ورؤساء التحرير ، وأهدى عدداً آخر إلى طائفة من الأمريكيين المشهورين ، وحمل البقية إلى المكتبات فى نيويورك وبروكلين فى حقيبة كبيرة من قماش الشراع .

والمعروف أنه لم تُبَع منه نسخة واحدة ، ولم يقرّظه سوى صديق له فى صحيفة تريبيون فكتب ثناء لا نفع فيه . أما سائر النقاد فبعضهم أهمله ، وسلقه بعضهم بألسنة حداد ، كقولهم :

« خليط متنافر من التبذل والهراء . . . »

« جهله بالفن كجهل الخنزير بالرياضيات » .

« ليس له جزاء أوفق من السوط » .

ولم يكن رأى الأمريكيين النابهين خيراً من ذلك . فقد رمى الشاعر جون جرينليف ويتيار الكتاب من النافذة .

وهكذا كان استقبال أمريكا لشاعرها القومى ، ثم هبطت من السماء الصافية رسالة صار لها الآن مثل شهرة القصائد نفسها :

« سيدى العزيز — ليس يخفى على ما لديوان أوراق العشب من قيمة ومزية ، وأرى أنه خير ما أخرجته أمريكا إلى الآن فى باب الحكمة والفطنة ، وإنى لأحييك وأبشرك بمستقبل عظيم » . والرسالة موقعة بأشهر اسم فى تلك الأيام ، رالف والدو إمرسون .

ولم يخالج ويتمان أى شك فى عظمته بعد ذلك ، ولكن ارتقاءه إلى قمة الشهرة كان أبطأ من مدّ المحيط ، وكان أوساط الأمريكيين الذين غنّاهم ويتمان بشعره القوىّ ، يفضلون عليه سائر الشعراء المتحذلقين .

وكان من أثر الحرب الأهلية أن أبطأ توقّل ويتمان إلى المجد ، لأنه لم يكن جندياً ، وكانت له سعة قلب الأم وحنانها ، وكان وهو

يسير فى الدنيا يحبها كلها ـ طيبها وخبيثها . ومن العسير على من أوتوا موهبة الحب أن يتحيزوا فى قتال . يضاف إلى ذلك أن ويتمان عزم أن يكون شاعر الأمة كلها .

وقد فض النزاع الذى قام فى نفسه على نحو بوأه مكانا لا فى تاريخ الشعر وحده، بل الحب أيضاً . ذلك أنه انتقل إلى وشنطن حيث المستشفيات العسكرية الكبرى ، وكف عن الشعر ، وتخلى للعناية بالجرحى من الجنود ، وكان يأخذ مرتباً ضئيلا فى مكتب، ويعيش فى غرفة صغيرة فى سطح، ويزور المستشفيات كل يوم من الظهر إلى الساعة الرابعة مساء، ثم من السادسة إلى التاسعة : ويحمل حقيبة كبيرة غاصة بالهدايا للجنود : طباق، وورق، وظروف ، وبرتقـال ، وحلواء زنجبيل . ولـكن أعظم هباته لهم كان حنان الأم فى صورة رجل متين وثيق .

وكان قبل كل زيارة يتمشى قليلا فى الشمس والرياح أو تحت النجوم ، ولم يكن يشرب إلا الماء واللبن ، وكان يتقى أكل الدهن « والعشاء المتأخر » ليستوثق من أن يظل بدنه « طاهراً ، كاملا، رشيقاً، نظيف الدم قوياً » ، تفيض منه على الجنـود قوى الطبيعة الشافية .

ولم يكن فى هذا يصدر عن أى مذهب أو دين ، وإنما كان يعمل بوحى من أعمق الحوافز فى طبيعته التى يعتقد أنها بشير بما كتب للعالم أن يصير إليه متى انتشرت ألوية الديمقراطية .

وقد بذل ويتمان صحته القوية فى هـذه السبيل، وكان كأنه جندى جريح حين وضعت الحرب أوزارها، وكان فى بيته مع أمه يتماثل للشفاء مرة أخرى من « ملاريا المستشفى » حين جاءت الأنباء بمصرع لنكولن .

وأقبـل الربيع ، وتفتحت الأزهار فى ساحة البيت الصغير الذى يعيش فيه، وكانت بروكلين فى تلك الأيام أشبه بقرية ريفية ، ولم يكن يحتاج أن يبعد فى سـيره ليسمع تسبيح الطيور وصدحاتها إذ يزحف الليل وتظهر نجوم السماء فى الغسق . وقـد نظم أعظم قصائده هناك ، فجمع الزهر والنجم وتغريد الطير وأساه هو ، فى تحية إنسان يحى بطلاً ، ويحيى الموت والحياة أيضاً . وقد وصف الشاعر سوينبرن قصيدته « حين تفتحت الزهرة فى ساحة الباب آخر مرة » بأنها « أعذب وأروع تسبيحة رتلت فى معبد الدنيا » . ولعل هذه الأنشودة الجليلة كان لها الفضل الأول فى ظفره باسم شاعر أمريكا .

وبعد الحرب حصل ويتمان على وظيفـة كتابية فى المكتب الهندى ، وكان يعد طبعة جديدة لديوانه ، ويحتفظ بالأصول المخطوطة فى مكتبه . واستـولت على وزير الداخلية

هارلان، رغبة ملحة فى الاستطلاع ذات ليلة، فتسلل إلى مكتب الشاعر وألقى نظرة على الديوان، فأفزعه ما قرأ، ومن يومئذ تبوّأ مكانه فى التاريخ حين طرد الموظف الخالد.

وفى ١٨٧٣ انهار بدن ويتمان القوى، واستيقظ ذات ليلة فإذا هو لايستطيع أن يحرك ذراعه أو رجله اليسرى، فعاد إلى النوم فى هدوء، وانتظر صابراً حتى يقدم أصدقاؤه فى الصباح التالى. ولم يفقد سكينة نفسه قط فى عشرين عاماً قضاها سقيماً مُشْبَتاً ولافارقه صبره وفكاهته. وكان يتقبل مالا مفرّ منه من ضيق نطاق حياته بجلد وشجاعة يضارعان زهوه حين أعلن للدنيا اتساع أفق نفسه ورحابتها.

وكان الأصدقاء المعجبون — وهم جماعة قليلة تزداد وتكبر — يبعثون إليه بالمال معاونة له. وكان يتتبع ازدياد شهرة ديوانه باغتباط مشوب بالقلق، كما تتبع الأم سيرة ابنها الذى أحسنت تربيته. وكان يتلقى التحيات والزيارات من حين إلى حين ممن لهم شهرة كافية تشجعه على الاعتقاد بأن ديوانه سيحيى ويخلد.

وقد كان ويتمان خليقاً أن يزهى ويبتهج، ولكنه ماكان ليدهش فى قرارة نفسه الساكنة، لو علم أنه بعد خمسين سنة من موته، سيقف رئيس وزارة بريطانيا فى مجلس العموم ليفضى بنبأ انتصار حربى عظيم، فيقتبس بالحرف الواحد — عظته النبيلة:

« والآن افهموا ما أقول جيداً: إن فى طبيعة الأشياء أن تجعل كل ظفر يتحقق، يأتينا بشىء يجعل حاجتنا إلى الجهاد أشد وأعظم ».

لما كان الجنرال النمسوى جالجوتزى ضابطاً فى رتبة قائمقام تجادل هو وضابط فى مثل رتبته فوصفه بأنهُ حمار، فصدر الأمر إلى جالجوتزى بأن يعتذر علانية عما فرط منهُ. فلبس حلتهُ الرسمية، ووقف أمام ثلة من الجند، وحيّ الضابط المعتدى عليه وقال: « يؤسفنى أنى قلت: إنك حمار ».

ثم لقى صاحبهُ فى اجتماع خاص فكرّر اعتذارهُ، وقال: « بيد أنى أظن أنك أخطأت ساعة طلبت أن أعتذر لك أمام حشدٍ من الجند ».

فقال صاحبهُ: « ولِمَ ذلك؟ »

فقال جالجوتزى: « لأن رأيى فيك كان قبل الاعتذار منحصراً بيننا، أما الآن فإن الجيش كله بات يعرفهُ ».

[تايمز لوس أنجيليس]

سِرٌّ طَالَ كِتمَانه

روبرت بكنر
مختصرة من مجلة "أتلانتيك الشهرية"

يقول محرر مجلة تلانتيك الشهرية إن مؤلف هـــذه القصة : « عاهد نفسه على أن يتحرى صدق حوادثها من مصادرها الرسمية بريطانية وبلجيكية . وقد تكون هذه القصة إحدى الوثائق المهمة في تاريخ الحرب العالمية الأولى . »

ما من كاتب إلا وقد أتاحت له الأيام أن يعثر في الحياة على قصة محكمة من نسج الحياة نفسها ، بيد أن آفة القـصص الصادقة هو استحالة تصديق وقوعها ، فإنه لأيسر على العقل أن يصـــدق قصة متخيلة محبوكة الأطراف ، من أن يؤمن بقصة مقتبسة من صميم الحياة . وليس في الوثائق الرسمية دليل قاطع يدلّ على صحة القصة التي سأرويها ، أما دليلها الذي لا يردُّ فقد أودع الثرى في جدَث صغير على شواطىء بلجيكا .

— ١ —

في شتاء سنة ١٩٢٧ أطبق عليّ الليل وأنا راكب في قطار بروكسل السريع ، وكان ينهب وادي الرور نهباً كأنه مذعورٌ روّعه سعير النار المتضرمة في أفران من الصلب ، تلقي وهجاً خبيث المنظر على أكوام الرماد المتراكمة .

وكان رفيقي الوحيـــد في الغرفة رجل إنجليزي طويل الصمت ، فابتدرته قائلا : « إنها أشبه شيء بجهنم . أليس كذلك ؟ »

فابتسم الإنجليزي وقال : « جهنم ! بل انظر حواليك ترَ جهنم التي ترســل من جوفها المدافع والقنابل المهلكة » ، ثم كفكف من غَرْبه وقال كالذي يحدث نفسه : « يا للحمقى ، ألا يردَعهم ما لقوا في المرة السالفة ! »

فأحيت هذه الثورة شوقي إلى أن أُدقق النظر في شأن هذا الرفيق . كان في الخمسين من عمره فيما أرى، أشهب العينين فيهما حدّة ومودّة وكان كل متاعه حقيبة وصرة ملفوفة في ورق قد وضعها بجانبه على المقعد .

ثم قلت له : « نعم ، ولكن أمريكا لن تتورّط في هذا الأمر مرة أخرى، فإن ذلك « النصر » قد أرهقها من أمرها عُسراً » .

فقال : « عجباً . أهي أمريكا إذن هي التي حازت النصر ! »

فقلت في ســذاجة : « ليت شعري من حازه إذا لم تكن هي التي حازته ؟ ظنّ أنت فلعلك أصدق مني رأياً » .

فسكت برهة ثم قال : « أتريد حقاً أن تعلم . لست أنا فى حاجة إلى الظن ، فأنا الذى فعلت ، أنا الذى حاز النصر للحلفاء » .

فغشينى ذهول دام لحظة ، وسألت الله أن يكون جنونه مأمون الخطر .

ثم قال بعد قليل : « إنك لتظننى مخبول العقل » .

قلت : « كلا ، بل أنا أحبّ أن أعلم كيف كان ذلك » .

فبقى هنيهة يحدّق فىّ أو ينفذ بصره فى تغشيب نفسى ، ثم قال كالذى يحدث نفسه : « ولم لا ! بل يجمل بى أن أفعل منذ الساعة . أنا روجر برادمان » فعرفته بنفسى وتصافحنا .

— ٢ —

ثم أنشأ يقول : « لست أشكّ فى أنك لم تسمع بقضية برادمان الجاسوس التى طار ذكرها فى سنة ١٩١٣ ، ولعلك لم تكن قد ولدت بعد » .

وصدق ، ولكنى كنت قد قرأت شيئاً عن هذه القضية المشهورة فى كتاب للدكتور سبنجارد فقلت له : « أليست هى القضية التى كادت تؤجج نار الحرب بين ألمانيا وبريطانيا ؟ أأنت بطلها برادمان ؟ » .

فقال : « أجل ، لقد أوفدنى قلم مخابرات البحرية لكى آتيه برسوم التحصينات فى هيليجولند ، فظفرت بها ثم قبض علىّ متلبساً بالجريمة .

« فأسرعت بريطانيا تتبرأ منى ومن فعلتى ولا جرم . وأخيراً تمت المعجزة العظمى فإذا الألمان يطلقون سراحى . فقضيت بعد ذلك سنة أضرب فى أرجاء أوربة ، وآخذ ما يكفى نفقتى من أحد رجال الحكومة

« ثم كانت سنة ١٩١٤ وشبت نيران الحرب ، فأمرت أن أعود إلى لندن ، فأسندوا إلىّ قيادة المدمرة فايردريك التى تتولى حراسة بحر الشمال » .

ثم مد رفيقى يده إلى صحيفة كنت أقرؤها فخط عليها رسماً يمثل ساحل بلجيكا ، وحدد مواقع بلدة أوستند وبلدة نيوبورت ونهر إيزر المتعرّج .

ثم أخذ يشير إلى الخريطة بقلمه ويقول : « لعلك تذكر أن ألمانيا قد هاجمت فرنسا من ثلاث نواح : من الجنوب عابرة الفوج ، ومن القلب على شاطىء المارن ، أما الجيش الثالث فهو الذى اخترق بلجيكا بقيادة فون كلوك . وكانت الخطة تقضى بأن يلتقوا جميعاً عند باريس ويطبقوا عليها إطباقاً مفاجئاً متواتراً . وكانوا من ذلك قاب قوسين أو أدنى .

« اجتاح الألمان أنتورب ثم ساروا يريدون مدن الساحل : دنكرك وكاليه

وبولونيا ، ولو تم ذلك لقطعوا خير طريق تعتمد عليه بريطانيا في مواصلاتها، ولضربوا جناح الحلفاء ضربة قاضية ، ولوضعت الحرب يومئذ أوزارها .

« وفى ذلك الوقت ظلوا يعيلون على الجيش البلجيكي الصغير حتى كادوا يضطرونه إلى البحر . وأخذ الجيش البلجيكي يتقهقر يوماً بعد يوم ، وظلت مدافعهم تمزق شمله وأوصاله ، حتى تضعضع أو كاد . وفى ليلة ٢٨ أكتوبر التقى الجيشان لا يفصل بينهما سوى نصف ميل ، وكان جناح الجيش البلجيكي ينتهى عند كثبان الرمال القائمة على ساحل بحر الشمال على بعد ميل جنوب أنتورب . وهدّ الكلال قوى الرجال حتى كنت تراهم وقوفاً فى خنادقهم وهم نيامٌ . كانوا فى موقف لا يرجى له صلاح . وكان الملك ألبرت يعرف أن الألمان سوف يعيدون الكرّة عليهم مع الفجر . وكان يعلم أيضاً علماً يملأ قلبه شجناً أن جيوشه المتهالكة لن تطيق لهذا الهجوم دفعاً ، وأن الألمان إذا ما اخترقوا صفوف هذا الجيش فهى نهاية الحرب ، إذ لن يكون بينهم وبين باريس حائل يصدّهم عنها . فجمع الملك إليه قواده فى منتصف ليل ٢٨ أكتوبر ، فلما التأم جمعهم كانوا جميعاً رأياً واحداً على أن لا مخرج لهم من هذا البلاء المطبق . فلما استحكم يأسهم تقدم ضابط من فرقة الفرسان واقترح اقتراحاً :

« أشار بأن يسيّروا سرية من صفوة الجنود إلى الساحل عند ميسرتهم ، فتبذل جهدها حتى تفتك بالحرس الألمانى القائم هناك ، ثم يرسلون إشارات من الضوء فى البحر ، عسى أن تراها بعض سفن الأسطول البريطانى التى تمخر عباب البحر تحت جنح الظلام ، فتسرع إلى نجدتهم وتضرب بمدافعها الثقيلة خطوط الألمان .

« فقبلوا اقتراحه آيسين ، فاختاروا ثمانية من شداد الجند لهذه السرية . فخرج الثمانية يزحفون فى جوف الخندق ميممين شطر كثبان الرمال ، وقد أصلتوا حرابهم واستعدوا لمعركة خاطفة تُعجل الحرس الألمانىّ عن الحركة وعن الصياح .

— ٣ —

وكفّ برادمان عن الحديث ، ودار فأخذ الصرة التى كانت إلى جانبه وحملها بين يديه ، ولكنى أسرعت أسأله : « هل وجدوا الحارس فى مكانه ؟ »

فردّ علىّ مكتئباً وقال : « نعم وجدوه ، وجدوه نائماً ! كان غلاماً فى العشرين أو نحوها ، قد أضناه التعب فجلس على جذع شجرة وركز بندقيته بين ساقيه ، وكان قد خلع حذاءه ودفن قدميه فى الرمل البارد

ليخفف ما يجد فيهما من آلام ، وكان قد شمر سراويله إلى ما فوق الركبتين .

« فضربه أحد الضباط بكعب مسدسه على أم رأسه ، ثم شدّوا وثاقه . ثم التمسوا مكاناً تستره كثبان عالية من الرمل ، فأوقدوا هناك ناراً من الحطام صبوا عليها نفطاً ، فلما تضرّمت أخذوا يلقون فيها البارود بين الحين والحين حتى ترسل وهجاً ساطعاً متقطعاً » .

ثم سكت وقال متردّداً : « ومن هنا بدأت قصتي أنا . كانت مدمرتي فايردريك سائرة بحذاء الشاطىء البلجيكي مُوسَقةً بامداد للأسطول من قذائف وطرابيد وصناديق فيها وسكي ، أو هكذا ظنناها عند ما شحناها في ميناء بليموث ، فقد كان عليها رقم « كاميرون هايلندر » وهو اسم نوع من الوسكي ، ولكننا حين شرعنا بجرد حمولة السفينة تبين لنا أن في هذه الصناديق ملابس عسكرية مرسلة إلى فرقة « كاميرون هايلندر » النازلة بمكان ما في فرنسا . وكانت عدتها ١٨٠ كسوة كاملة ، ولا عجب فما أكثر الأخطاء المضحكة التي كانت ترتكب في تلك الأيام !

« وفي نحو الساعة الواحدة من ليلة ٢٩ أكتوبر رأى أحد رجالنا تلك النار الموقدة على الشاطىء . فظللت أرقب هذا الوهج الساطع المتقطع برهة طويلة ، ولكني لم أدر ما معناه وما غايته . وكنا يومئذ نظن أننا نعرف المدى الذي بلغه الألمان في زحفهم ولكن لم يكن يدور بخلد أحد منا أنهم بلغوا هذه الغاية . فلما أخذ مني العجب لهذا الضوء المنبعث من مكان ينبغي أن لا يلمح فيه ضوء ، أمرت السفينة أن تدنو من الشاطىء ، إذ لا مرية في أن على الشاطىء من يتولى إرسال هذا الإشارات . فأنزلت إلى البحر زورقاً وركبته أنا واثنا عشر بحاراً ورسونا على بعد ميل من مصدر الضوء . وسرنا على حذر قُدُماً حتى تبينت الملابس البلجيكية ، وناديتهم باللسان الفرنسي .

« وأقسم بالله غير حانث أنك لم تر في حياتك قط وجوهاً يعروها من الدهشة ما عرى عندئذ هذه الوجوه . فما كادوا يروننا مقبلين نحو النار حتى ألقوا بسلاحهم إلينا وهم يبكون من فرط الفرح . وأكبر ظني أنهم ظلوا على ذلك نحو خمس دقائق حتى استطاع أن يجد أحدهم صوته ليفصح عما في نفسه . وأخيراً شرع أحد الضباط يرسم لنا على الرمل مواقع المعركة ، وبين لنا كيف أصبح الجيش في موقف ميئوس منه .

« فبينت لهم أن مدافع مدمرتي أضعف مرمًى من أن تصيب ما وراء الشاطىء .

فلما سمع الضابط البلجيكي هذا النبأ المشئوم انعقد لسانه بالصمت. فأشحت ببصري عنه حتى لا أرى ما لاح في عينيه من غمٍّ وعذابٍ، فإذا بي أرى الحارس الألمـاني ملقى على الرمل، وإذا هو في سراويله المشمرة وسيقانه العارية كأنه غلامٌ صغير لم يشبَّ عن الطوق. وكان الفتى قد ثاب إليه رشده ولكنهم كمموه.

«فوقفت أنظر إليه برهة، ثم تذكرت فجأة ما في المدمرة من ملابس فرقة الهايلندر. وقلت لنفسي: لم لا أعطيها للبلجيكيين؟ إن كتيبة من الجنود في هذه الثياب الأسكتلندية خليقة أن تلقي الرعب في قلوب الجيش الألماني المنهوك القوى، إذ يظنون أن البريطانيين قد أمدُّوا البلجيكيين بعدد من صفوة المحاربين لم يضعضعهم القتال بعد. إنها خدعة يرجى تأثيرها في النفوس. نعم، وفي وسعي أيضاً أن أزوّدهم بصندوق أو صندوقين من المدافع الرشاشة.

«بدأت أشرح خطتي للضابط البلجيكي، فجعل يسمع لي غير مكترث، ثم ثار فجأة وقبض على ذراعي وهو يقول: أجل، أجل حسبها أن تكون بارقة من أمل.

«أسرعت عائداً إلى المدمرة، فأنزلنا زورقين حملا الثياب والمدافع إلى الشاطىء، وفي أثناء ذلك أعدّ البلجيكيون كتيبتين من الجنود يتلقوننا عند الساحل. وإن أنس لا أنسى ذلك اليوم المشهود — ١٨٠ رجلا قد أحاطوا بالنار وهم يخلعون ثياباً ويلبسون أخرى، وهم يتضاحكون من هذه الملابس الأسكتلنـدية البراقة الألوان، ويضعون القلانس مقلوبة تتدلى عذَباتها على وجوههم الغُبْر الملطخة بالأوحال. ثم وزعنا عليهم المدافع الرشاشة.

«وتمَّ ذلك كله قبل أن يبزغ الفجر بساعة. وأتبعناهم بصرنا حتى أضمرت الكثبان آخر رجل منهم، ثم عدنا أدراجنا مسرعين إلى المدمرة. وبينا نحن في طريقنا إلى البحر إذ سمعنا دويّ مدافع الألمان يؤذن ببدء هجومهم. لقد بدأت المعركة الحاسمة في هذه الأرض البلجيكية»

قلت: «فذلك يوم فتحوا السدود وصدوا الألمان عن التوغل؟»

فأومأ البريطاني برأسه وقال: «هكذا تقول كتب التاريخ. بيد أن الحقيقة هي أن الملابس الأسكتلندية هي التي صدّتهم — وتلك المدافع الرشاشة القليلة أيضاً. لقد أثخن حملة هذه المدافع في عدّوهم حتى تكدّست جثث قتلاهم وهم يخترقون تلك المستنقعات. لقد كانت أفظع مقتلة بعد مقتلة فردون ومقتلة غاليبولي. لقد كفّ حملة هذه المدافع مرة أو مرتين حتى تتقدم

زحوف الألمان فتلمح هذه الثياب الأسكتلندية، فلما بصروا بها أسقط فى أيديهم من الفزع مما ظنّوه فيلقاً جديداً من الفيالق الأسكتلندية . فلما فتح البلجيكيون سدود الإيزر كانت المعركة قد انتهت . ومنذ تلك الساعة كتبت النجاة لجناح الحلفاء الأيسر ، ولم يستطع الألمان إلى آخر يوم فى الحرب أن يتقدموا شبراً واحداً فى أرض بلجيكا ».

— ٤ —

فاستفزّنى العجب فقلت : « ويحك أيها الرجل ! ألم تحدّث أحداً قط بهذا ؟ ألم يعرف خبره أحدٌ قط ؟ »

فقال : « بلى ، عرفه إنسان آخر ، رجل واحد فقط . فمنذ ثلاث سنوات مررتُ بتلك المنطقة من الساحل ، فحدثتنى نفسى بأن هذا اليوم هو تمام عشر سنوات كاملة منذ رسوت أنا وأصحابى على الشاطىء ، وغلبنى الشوق إلى أن أرى تلك البقعة مرة أخرى . فرست بنا السفينة عند ميناء أنتورب فى صباح ٢٩ أكتوبر ، فلما أمسى الليل كنت فى نيوبورت ، ولم يكن فى الفندق نزيلٌ سوى رجل واحد ، وكان فتىً ألمانياً اسمه جنز بتشل . وجمعتنا المائدة عند العشاء .

« فلما أوغل الليل قمت أضرب فى الطرقات قاصداً شاطىء البحر ، وسرعان ما بلغته وبينما أنا أسير على مهل ، إذ بصرت برجل جالس على جذع شجرة ، فجفلت لرؤيته . ثم تبينته فى ضوء القمر فإذا هو بتشل رفيقى فى الفندق . فضحكت وسُرِّى عنى فناديته باسمه . .

« جلسنا فى ذلك المكان ندخن ونتحدث ثم انتهى بنا الحديث إلى أن سألنى ما الذى أقدمنى إلى نيوبورت فى شهر أكتوبر . فقصصتُ عليه قصتى ، كما رويتها لك لم أخرم منها حرفاً . وأذكر أنى لم أكد أفرغ حتى اعترانى ضربٌ من الندم كأنى بحت بأكثر مما كان ينبغى أن أبوح به . فأردت أن أدارى ما كان منى فقلت كالمداعب : « هكذا كان يا بتشل ، فأنا الرجل الفرد الذى حاز النصر للحلفاء ! »

« فأمسك الألمانى ساعدى مترفقاً وسألنى : « أتعلم من أكون أيها الصديق ؟ أنا الرجل الذى يحمل وِزْر هزيمة الألمان ، أنا الحارس الذى باغتوه نائماً » .

« كان حقاً ما قاله . وقد ظلّ عشر سنوات وهذا « الوِزْرُ » ينهش قلبه نهشاً من فرط الندامة على ما فرط منه حتى كاد يجنُّ . ثم قال لى بلهجته الساذجة البريئة إنه يلمُّ بهذه الناحية التى شهدت ما اقترفه من الإثم حتى يتخلص من بشاعة هذه الشعور . ومنذ وضعت الحرب أوزارها

وهو يرى بعينيه فظائع الثورة فى بلاده ، ويرى الجوع يفتك بالأحبة من بنى جلدته ، فلا يزال يحس أنه هو وحده الذى يحمل وزر هذه الجناية الفظيعة وأثقالها . وهو يعتقد أنه لو كان ظل يقظاً فى تلك الليلة ، لما عاق الألمان عائق عن أن يقضوا ليلة عيد الميلاد فى باريس .

« وقفنا فى تلك البقعة من رمال الشاطىء يغمرنا ضياء القمر ، وجعل كلانا ينظر إلى صاحبه : الرجل الذى حاز النصر لقومه ، والرجل الذى جر الهزيمة على قومه . ثم انثنينا نسير الهوينا على سيف البحر . لم يكن بيننا شىء يمكن أن يقال » .

فسألت برادمان : « ألم تر بتشل منذ ذلك اليوم ؟ »

فقال : « كلا ، لم أره مرة أخرى » ، ثم ألقى نظرة إلى الصرة التى كانت إلى جواره ثم مضى يقول : « كان يكتب إلىّ وأكتب إليه مرة فى كل عام ، وكان يعمل فى مسبك للحديد على مقربة من درتمند . فمنذ أسبوع واحد كتب إلىّ من المستشفى كتاباً يذكر حاجة فى نفسه يسره أن أقضيها له ، وقال : « سيصلك صندوق فيه بعض النفايات » ، وسألنى أن أدفنه فى رمال شاطىء البحر على مقربة من نيوبورت .

ثم قال برادمان : « وأنا الآن فى طريقى إليها ، وهذا هو الصندوق » .

وفك الورق عن الصرة ، فإذا فيها قارورة منحوتة من حجر ، مكتوب عليها : « جنر بتشل » .

غرائب الناس

قل النقد فى يد أم ذات يوم فاحتالت حتى تقترض المال الموفر لطفلها فى حصالة ، فلما فتحتها وجدت فيها ورقة من زوجها هذا نصها : « أنا مدين لهذا المصرف بخمسة ريالات » .

ذهب رجل فى مدينة جرسى يدعى توماس إلى الشرطة وأبلغ أن سيارته قد سرقت ، فتبين رجال الشرطة بعد البحث أن هذه السيارة قد سرقت مرة من قبل — وأن سارقها هو توماس نفسه !

أضاعت سيدة فى شيكاغو كلبها فأبلغت الشرطة ، فطلبوا منها أن تصف لهم العلامات المميزة للكلب فقالت : « طلاء أحمر على أظافره » .

[مجلة تايم]

تدل التجارب على أن رأس سلامة العمال هو سكينة نفوسهم

هل أنت عرضة للخطر؟

لورنس جالتون

مختصرة من مجلة "عمل الأمة"

لم يزل أهل الرأى من رجال الصناعة يقولون منذ سنين إن اتقاء الحوادث المؤذية أو المهلكة فى المصانع شىء مستطاع، ولا يقتضى هناك سوى أن تكون أرض مصنعك أرضاً لا يزلق عليها العامل، وأن تقيم الحرّاس على الآلات حتى لا يدنو منها عمال من غير أهلها، وأن تعلق لوحات التنبيه والتحذير على الجدران. هذا كلام حسن حتى نسمع ما كان من أمر العاملة مارى جونز.

فقد أصيبت مارى فى ١٦ حادثة فى خمس سنوات، ولكن سواها من العمال والعاملات الذين يؤدون نفس عملها لم يصابوا قط. فصارت مارى فى آخر الأمر موضوع بحث مستفيض، فأسفر البحث عن أنها فتاة سريعة الغضب، وأن أباها سريع الغضب أيضاً، فكان الشجار كثيراً بينهما.

فلما أقنعتها إدارة المصنع أن سبب الحوادث التى أصيبت فيها قد يرجع إلى اضطراب عواطفها الناشىء عن معيشتها فى بيتها، اتخذت مارى خطوة حاسمة. فاستأجرت شقة صغيرة استقلت بها، فلم تصب منذ ذلك اليوم فى حادثة ما.

ومنذ سنوات كان الفتى بل كنج يعمل فى شركة كبيرة للسكة الحديدية. وكان معدل إصابته فى الحوادث التى تقع له عالياً يبعث على القلق، مهما تباينت الأعمال التى يؤديها. وأخيراً حدثت له حادثة فقدفيها إحدى عينيه. وقد كان جسمه سليما لا يشكو مرضاً ولا ضعفاً، ولكنه كان فريسة هم يأكل قلبه، فقد اقترض مئة ريال من مراب جشع يوم تزوج. ومع أنه سدد للرجل مئة ريال أو أكثر، فقد بقى مديناً بمئة ريال، ولم ير حيلة تمكنه من أن يفك نفسه من ربقة هذا الدين.

فعنى أحد محامى الشركة بالأمر وأغلظ فى كلامه مع المرابى، فألغى الدين، ولم يصب بل منذ ذلك اليوم فى حادثة ما.

فهذان العاملان — مارى وبل — كانا

مريضين فى نفسهما وعواطفهما ، وقد بلغ منهما المرض مبلغاً جعلهما عرضة للحوادث وإن لم يجعل لجوءهما إلى الطبيب أمراً ضرورياً . وقد كشفت حالات كثيرة من هذا القبيل فى السنوات الأخيرة . فهذا سبب أصيل من أسباب الحوادث الصناعيـة التى تهلك ألوفاً من العمال كلّ سـنة وتؤذى ملايين منهم .

والهمُّ من أكبر أسباب الحوادث التى تؤذى العمال . وقـد قالت الدكتورة ليديا جبرسون الطبيبة النفسانية المختصة بمسائل عمال الصناعة : « لن تجـد عاملا يصرف ذهنه عن كونه أباً أو عاشقاً أو سـابحاً فى الأحلام أو مبغضاً ، لأنه قد ارتدى ثياب العامل . وإنك لتجد بين حساب البقال والساق المكسورة ، صـلة أكبر وأقوى مما يقدره صاحب العمل » . وقد يفضى حدوث وفاة فى الأسرة ، أو شبوب نار فى البيت ، أو هرب خطيبـة مع رجل آخر ، إلى أن يصاب العامل بذهول مؤقت . فمن الخير أن لا يحتم على الموظف أن يتولى عمله خلال الأيام التى يعانى فيها آلام هـذه النوائب والملمات .

وقد أخذت الدلائل تتجمع منذ سنة ١٩٢٩ على أن بعض الناس أشدُّ تعرضاً للإصابة فى الحوادث من غيرهم ، ففى تلك السنة كُشفت إحدى شركات السكة الحديدية أن ٣٠ فى المئة من موظفيها كان لهم شأن فى ٤٤ فى المئة من الحوادث التى وقعت لها .

ومنذ بضع سنوات جربت أربع شركات كبيرة أن تقلل الحوادث التى تقع لرجالها ، فلم تجـد شيئا يعلل إصابة عدد معين من سائقى سياراتها مرة بعـد مرة . وأخـيراً نقل الرجال الذين كثرت إصاباتهم فى الحوادث إلى أعمال أخرى ، فقلت حوادث سيارات النقل ، ولكن سرعان ما أصيب العمال المنقولون أنفسهم فى حوادث فى أعمالهم الجديدة .

ومنذ عهد قريب اهتمت مؤسسة مالية كبيرة بزيادة الأسباب التى تضمن سـلامة الموظفين فى مكاتبها ، فأُعِدّ كشف ذكرت فيه أسماء مئة من الموظفين الذين أصيبوا فى أكبر عدد من الحوادث . وقد أصيب كثيرون منهم فى ثلاث حوادث فى السنة ، وأصيب بعضهم فى خمس حوادث أو أكثر . ثم أرسل الكشف إلى الطبيب النفسى الذى تستشيره الشركة ، فإذا صاحب كل اسم ذكر فى الكشف معروف للطبيب النفسى بأنه مضطرب العواطف .

والاهتمام بمقابلة الموظفين قبل تعيينهم ومحادثتهم ، هو الوسيلة إلى تبين مبلغ تعرضهم للإصابة فى الحوادث . والذين يتولون هذا العمل ينبغى أن يدربوا حتى يحسنوا تبين

المتاعب التى يعانيها طالب العمل فى حياته .

ثم إن دراسة مايقع للمرء من الحوادث التافهة تكشف العامل أو الموظف قبل أن يصاب فى حادثة فادحة، فيعين فى عمل يكون فيه غير معرّض للخطر .

وقد ظلت عاملة شابة تأتى إلى القسم الطبى فى شركة كهربائية لتعالج من إصابات يسيرة كانت تحل بها ، فوجدوا أنها تعانى داء الروماتزم وضعفاً فى العينين وتفزّزاً شديداً فى الأعصاب ، فنقلت إلى عمل لاتتعرّض فيه للخطر ، ودأبوا على تنبيهها فى الحين بعد الحين إلى ماينبغى أن تراعيه من أجل سلامتها . ولم تزل حتى الساعة على خير حال .

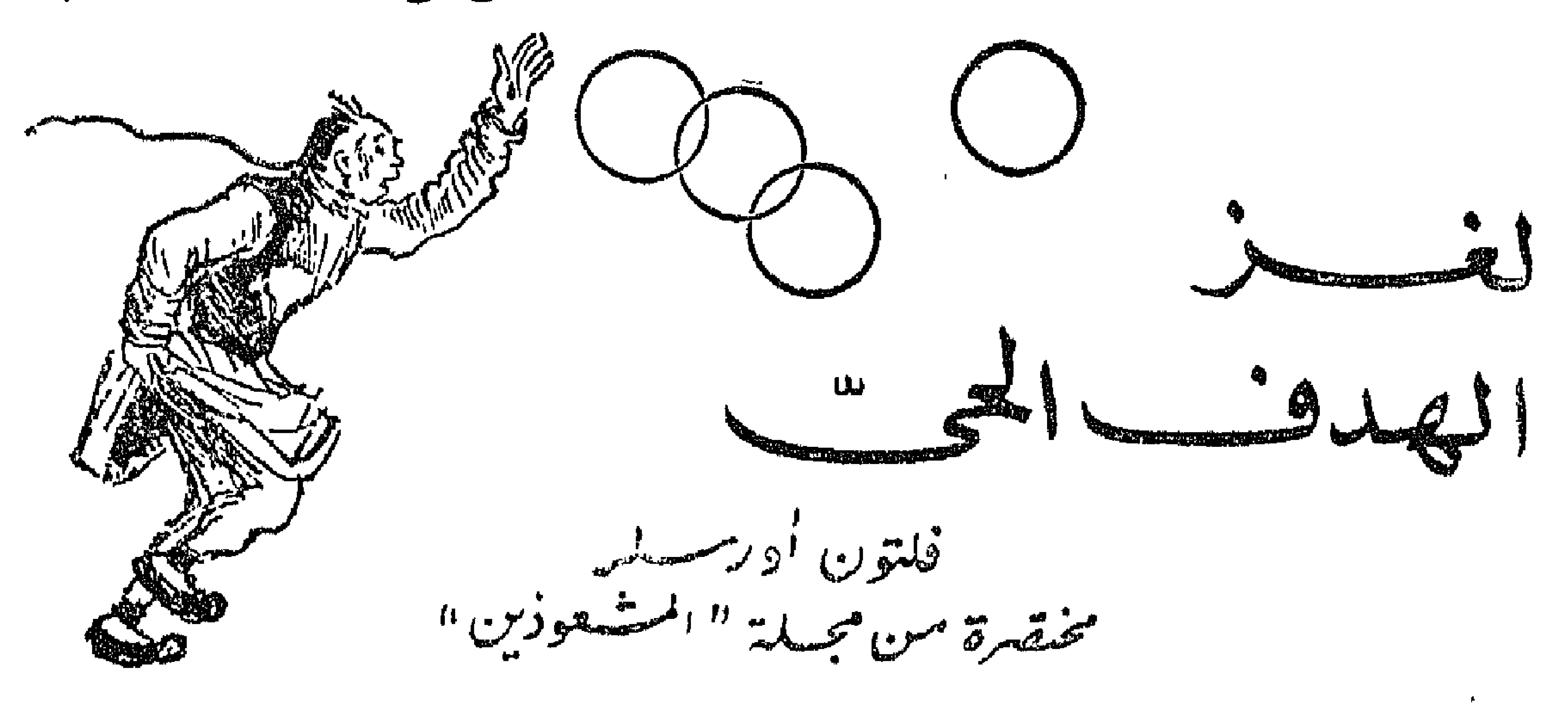
وينبغى أن يدرّب المفتشون فيكون تدريبهم نافعاً للشركة كلها . فالهموم التى يعانيها العمال ، ولا سيما الهموم المالية ، تخف وطأتها على نفوسهم بعد الحديث مع مفتش شديد العطف عليهم ، فيكون فى وسعه أن يقوى عزائمهم وأن يرشدهم أحسن إرشاد.

على أن الانتفاع بطبيب نفسىٍّ يعدُّ من خير الوسائل لمعالجة مشكلة تعرض العمال والموظفين لخطر الإصابة فى الحوادث، لأنه يستطيع أن يعينهم على حل ما يعانونه من مشكلات العواطف . وقد راجعت إحدى الشركات سجل الحوادث التى تقع فى أحد مصانعها ، فوجدت نفراً من الموظفين فى أحد الأقسام يصابون فى عدد كبير من الحوادث يزيد على المألوف ، فبحث الطبيب النفسى الموضوع فتبين أن العلة هى مفتش لايستلطفه العمال فيستفز أعصابهم فيما يعمل، فحدثه الطبيب حديثاً مستفيضاً فانقطع وقوع الحوادث .

وقد درست حالة شابة كانت كثيراً ماتصاب فى حوادث تافهة ، فأسفر الدرس عن أنها مافتئت منذ صغرها عرضة للإصابة فى أمثال هذه الحوادث، وكانت إذا ما أُصيبت وهى طفلة تنال اهتماما خاصاً من أهلها ، فصارت إصاباتها تتوالى لأنها أصبحت تعتقد عن غير وعى منها أن الإصابة خير وسيلة لكى تظفر بعطف أهلها . فلما دلها الطبيب النفسى على الحقيقة دهشت — ثم اقتنعت ، وسرعان ما صارت كسواها من العمال بمأمن من الحوادث .

وقد أخذت الشركات الكبيرة تدرك حقيقة هذه المشكلة ، فإذا ما ظفرت بحلها أجدى ذلك على الصناعة جدوى كبيرة ، فتقل الحوادث فى المصانع وخارج المصانع أيضاً ، لأن عدد من يصيبه الأذى أو من يهلك من العمال فى حوادث تقع لهم فى بيوتهم أو فى الشارع، أكبر من عدد الذين يلحقهم الأذى أو يهلكون فى حوادث تقع لهم وهم يؤدُّون أعمالهم .

من قاتل الساحر شونج لنج سو ؟ قصة حقيقية عجيبة



لغز الهدف الحيّ

فلتون أورسلر
مختصرة من مجلة "المشعوذين"

أصدر قاضي التحقيق قراره بأن الوفاة وقعت قضاءً وقدراً ، وظلت اسكتلنديارد زهاء ثلاثين سنة وهي تعدُّها قضية قد فرغ منها . ولكن نهاية شونج لنج سو الحاوي الشرقي لم تكن ولا ريب من هذا القبيل .

وقد بدأت هذه القصة العجيبة في مطلع هذا القرن حينما وجد حاوٍ محترف يدعى وليم إلزودث روبنسن أنَّ أبواب العمل قد سدَّت في وجهه .

ولم يكن مرجع إخفاقه إلى أنه غير ماهر في عمله ، فقد ظل سنين عديدة يعمل في الفرق الجوّالة يعرض على الجماهير خفة يده وألعابه السحرية، ويحلم باليوم الذي يرتفع فيه اسمه إلى مصاف النجوم . ولكن الذي كان يعوزه هو القدرة على أن يجعل من نفسه فوق المسرح شخصية جذابة تخلب لبّ الجماهير، فكانوا يراقبونه ببرود وهو يمد يده إلى الفضاء فترجع ملأى بقطع من النقود أو ممسكة بأرنب حيّ . وقد قال عنه مرة أحد قساة النقاد إنه لو أحيى الميت لما تحرك أحد من النظارة دهشة أو ارتياعاً .

وضاق ذرعهُ يوماً فقال لزوجته ، وتسمى دوت ، وهي فتاة رقيقة الجسم راجحة العقل تظهر معه على المسرح حين يقوم بألعابه :

« لا فائدة من الاستغراق في الأحلام ، ولا مفرّ لي من البحث عن عمل آخر لئلا نهلك جوعاً » .

فأجابته غاضبة : « صه أيها الرجل ، ولا تفقد الثقة بنفسك، فإنك بارع في صناعتك وستواتيك الشهرة يوما ما » .

ووقع بصر روبنسن ذات يوم على إعلان عن فرقة من الحواة الصينيين يعرض فيها زعيمهم ألف ريال لمن يستطيع أن يقلد ألعابه.

وروى روبنسن الخبر لإيك روز، وهو صاحب مكتب لتوظيف اللاعبين المزليين،

وقال له : « فعسى أن أظفر أنا بهذا المبلغ » .

ودهن روبنسن وجهه بطلاء أصفر ، وارتدى ثوباً فضفاضاً من الحرير ، واعتلى خشبة المسرح ليعلن قبوله لتحدى . فلما رأى الحاوى الصينى هذا القادم ، بدأ يزمجر ويصرخ قائلا : « إن الأمريكيين هم وحدهم المقصودون بهذا التحدى » ، وأمر بطرد روبنسن ، فأخرج من المسرح عنوة .

فاستخفه الفرح وقال لصاحبه روز : « لقد حسبنى من الصينيين ، وهذا ما يلهمنى فكرة عجيبة » .

فاستجاب صاحبه لحماسته ، وكان روز ذا موهبة عظيمة فى الترويج لأمثال روبنسن من الحواة ، فبدأ يدرّ به على المضحكات الشائقة وغرائب الألعاب السحرية التى اختص بها الحواة الصينيون .

وكان هذا أول السبيل الذى انتهى به إلى لندن فى شهر مايو سنة ١٩٠٠ ، حين دخل أحد فنادقها الفخمة رجل مائل العينين ، على ظهره ضفيرة طويلة ، وهو يدلف فى ثوب حريرى فضفاض ، وقيد اسمه فى سجل الفندق « شونج لنج سو الشهير » وجاء فى صحبته فرقة من البهلوانات ، ومعهم فتاة رقيقة الجسم مائلة العينين تسمى « سوسسين » هى امرأته دوت نفسها .

وأقبل مراسلو الصحف فوجدوا شونج متربعاً فوق وسائد من الحرير تحت قناديل صينية تتدلى من أعواد الغاب ، وأخذ يكلمهم برطانة عجيبة ، فيقول لهم المترجم إنه يحدثهم عن آرائه فى ثورة الصين وتجارة الأفيون . وشرب الصحفيون خمراً لذيذة من منتجات الصين ، وقدم إليهم عشاء من بيض البط القديم ، والمحار المقدد فى الشمس ، وجذور الزنبق .

وفى ليلة الافتتاح تدفق الجمهور على مسرح الحمراء الشهير ، ووقف أيك روز فى نهاية الصفوف يرقب ارتفاع الستار وهو يرتجف ، فلو خان صاحبه التوفيق فى تلك الليلة لغرقوا جميعاً فى بحر من الديون .

ودخل المسرح رجل ذو شخصية جديدة تتجلى فيه الجرأة وتحوطه الأسرار ، وتنم حركاته عن السخرية والاستهزاء . وخلبت الدهشة ألباب الحاضرين حين رأوه يلوح بيده الصفراء فتنبت تحتها حدائق ذات أزهار يانعة . وكان أكبر تصفيقهم حينما رأوه يأخذ من يده قطعاً صغيرة من الورق فيجدل منها كيساً كبيراً يقذفه فى الهواء ، فيتساقط مطر من الورق الملون تنشقّ من خلاله سوسسين وتسقط فى أحضان هذا الأستاذ العظيم .

ولما نزل الستار لم يبق ريب فى أن شونج لنج قد أصبح أكثر الحواة شهرة فى هذا القرن ، وصار فتنة الجماهير . أما وليم روبنسن المشئوم فقد ذهب إلى غير رجعة .

ظل هذا الدعىّ يصرف جُلّ وقته فى المحافظة على شخصيته الجديدة ، وأخذ يجول الطرقات وعلى وجهه طلاؤه الأصفر، ويذهب إلى شاطىء البحر ليعرض جسمه الأصفر أيضاً لأشعة الشمس. وظل يجاهد فى تجميع عضلات شدقيه فوق خديه حتى ثبتت فى مكانها، واقتصر كلامه على رطانة التقطتها أذنه من الحىّ الصينى فى نيويورك ، أما إذا تكلم الإنجليزية فإنه ينطقها بلهجة الصينيين ويجعلها ملأى بالأغلاط ، بل صار هذا دأبه أيضاً حينما يخاطب زوجته دوت .

ولكن دوام الحال فى هذه الدنيا من المحال ، فإن شينج لنج فو الساحر الصينى العملاق الذى طرد روبنسن ذات يوم من المسرح، كان يستجم فى ذلك الوقت فى شنغهاى بعد جولته المربحة فى الولايات المتحدة. وأحسّ هذا الحاوى الثرى أنه بدأ يضيق ذرعا بالبطالة، فلم لا يقوم بجولة أخرى ، ثم إنه لم يزر لندن من قبل .

ولم يكن هذا الحاوى الصينى قد سمع بهذا الرجل الذى اتخذ لنفسه اسما على وزن اسمه ، ولكنه حينما حلّ بلندن رأى إعلانات كبيرة عن « شونج لنج ســـو الحاوى الأول فى البلاط الصينى، وخريج معبد السماء ، وأكبر ساحر فى العالم » .

فتمتم شينج غاضباً : « ياله من محتال ! »

وظهر شينج على مسرح الأمبير المواجه للمسرح الذى يلعب فيه شونج ، وقد أعجب به الجمهور أيضاً إعجاباً شديداً، ولقد شهدت ألعابه، ولن أنسى أعجبها وهى تلك اللعبة التى يقف فيها هذا الساحر العملاق على المسرح وهو عار لاتستر عورته إلا خرقة صغيرة ، ثم يجرى على المسرح ويقلب جسمه فى الهواء بعد أن يعتمد على يده ، ويقفز قفزة عالية ثم يعتـــدل ، فإذا فى يده وعاء مملوء ماءً يسبح فيه سمك أحمر ، وهذه لعبة تخلب الألباب، ولكن شونج ظل مستأثراً بإعجاب الجمهور .

ومن أجل هـذا ظهر التحدى الآتى فى جريدة الويكلي ديسباتش اللندنيـة : « أقدم أنا شينج لنج أكبر سحرة الصين ، ألف جنيه لمبرّة اللبن ، إذا استطاع شونج لنج سو أن يأتى بعشرة من العشرين لعبة التى أقوم بها ، أو إذا أخفقت أنا فى القيام بأية لعبة من ألعابه » .

وحـدد يوم ٧ يناير لإجراء هذه المبارزة العجيبة بين فنون السحر .

واستقل شونج لنج ، وهو هادىء غير مكترث سيارة حمراء كبيرة واخترق بها طرقات لندن ساعة ازدحامها بالمارة ، ولم تكن لندن قد شهدت أمثال هذه السيارة فى سنة ١٩٠٥ ، وكان غطاؤها مطوياً

فأخذت الشرطة فى صد الجماهير المتجمعة عنها، ووقف اثنان من البهلوانات على رأسيهما وراء سيدها يظللان وجهه بمظلات قرمزية يمسكانها بأصابع القدمين . وهكذا سار فى هـذا الموكب الفخم إلى مكان المبارزة . لقد وصل شونج لنج سو ، ولكن أين شينج لنج فو ؟

وبعد قليل أقبل صبي يلهث، ومعه رسالة من المتحدى هذا نصها: «عليك ياشونج لنج سو أن تثبت أمام المفوضية الصينية قبل المبارزة أنك من رعاياها » .

فضرب صاحبنا الأمريكى الحصيف بيده على بطنه وضحك ضحكة عالية وقال : « لقد هرب شينج . . ولكن لا بأس ، سأقوم أنا بألعابه وألعابى أيضاً . وفضلا عن ذلك سأدفع لمبرة اللبن ألف جنيه » .

لقد فتنت به الجماهير لخفة روحه وحضور بديهته ، وعاد الساحر الصينى الأصيل إلى بلده مخلفاً غريمه فى أوج مجده .

ولكن شيطان الغواية جاء يطرد صاحبنا من جنته، فقد رأى فتاة جميلة سوداء الشعر تجلس الليلة بعد الليلة فى مقصورة بعينها لاتتحول عنها وهى ترمقه بإعجاب ، فأرسل الساحر باقة من الزهر إلى هـذه المجهولة الجميلة ، فجاءته منها رسالة معطرة .

ولم يلبث أن وصلته دعوة إلى بيت فى إحدى ضواحى لندن ، ووجد عشاء أعد بذوق جميل فى أطباق صينية ، وانعقدت بينهما أواصر الصداقة، وكانت الفتاة تسمى « استلاّ » أى النجم ، فكانت آخر نجم بزغ فى سماء هذا الساحر .

كان شديد الثقة بأن مغامرته هذه ستظل كباقى ألعابه سرًّا مكتما ، ولكنه وجد ذات يوم على منضدة حجرته فى المسرح رسالة غُفلاً هذا نصها : « إلى متى تظن أنك تستطيع خداع زوجتك ؟ لاتنس اللعبة التى تتلقى فيها بيدك الرصاصة المنطلقة نحوك ، فإن زوجتك هى التى تطلق البندقية ! »

واستبعد أن تكون زوجته هى التى كتبت له هذه الرسالة ، فها هى تبتسم له متوددة كعادتها ، أم هو واهم ؟

وكان شونج كلما قام بلعبة «صيد الأحياء» يتذكر تلك الرسالة الغُفل . أصدقته عيناه — أم هو واهم — حين يرى هذا الوجه الدقيق ، وجه زوجته ، يزداد أثناء هـذه اللعبة تجهما وصرامة ليلة بعد أخرى. فبرّح به هذا الشك المرير ، فقال لها ذات يوم إنه قد عزم على إلغاء هذه اللعبة لما فيها من خطر ، فضحكت سوس سين وقالت له إنه قد هرم، فأقسم من فوره أنه لن يعدل عنها .

وبدأ يساوره خاطر آخر : لماذا يظل

يدعى أنه صينى ؟ وطلب إلى « اسـتلا » أن تفرّ معه ، فإذا الدهشة تعروه حينما سمعها تجيبه : « الزواج ؟ كلا ياشونج ، فأنا لن أتزوج إلا رجلا من بنى جلدتى الأمريكيين »

تردد الساحر لحظة ، ثم اندفع يقول : « أنا أمريكى . . . وسأثبت لك ذلك » ، وارتدى فى اليوم التالى ثياب الغربيين وسار إلى دار صديقته ، فلما فتحت له الباب قال لها : « أتصدقين الآن ؟ » فأخذت تحملق فيه وقد غلبتها الدهشة ، فأين ذلك الرجل الشرقى الساحر الذى خلب لبها ؟ إنها لا ترى أمامها إلا رجلا قميئاً لا تنسجم عليه ثيابه ، وتدل لهجته على أنه من العامة .

ووصلته بعد يومين رسالة من اسـتلا تنبئه فيها بأنها ستتزوج أحد معارفها فى الولايات المتحدة .

وجلس شونج لنج سو ساعات طويلة غارقاً فى ذهول ، ثم قام وسار متثاقلا إلى مكتب ويل جولدستن المتخصص فى صنع أجهزة ألعاب السحر وأفضى إليه بسره ، وقال له :

« كان لى قلبان بين جنبىّ كلاهما يكره صاحبه . أما أحدهما فيحب امرأة لا تريده ، وأما الآخر فله زوجة يخشى بوائقها . فحرمت بذلك الأمن والراحة » .

فقال له صاحبه : « وعلى أى شىء عزمت ؟ »

فأجابه « لا أدرى » .

وفى تلك الليلة دخل جولدستن وهو قلق حجرة روبنسن أثناء الاستراحة ، فوجده قد ارتدى ثياب المسرح وفى يده البندقية التى سيستعملها فى أخطر ألعابه ، فكلمه صديقه وألح عليـه أن لا يقوم بهذه اللعبة فى تلك الليلة ، فوعده وقال له إنها آخر مرة يقوم فيها بها . ثم نظر إلى ساعته — وقد بدت عليه أمارات الحزن والأسى — فوجدها كادت تبلغ الثامنة مساءً . وهذا هو المسرح مزين بأستار قرمزية ، فإذا اندلع فيه لهيب أزرق وانبعث دخان فضى أبيض برز الأستاذ الساحر العظيم . أنظر إليـه ، إن فى يده سلسلة من المناديل الملونة تتحول أمام ناظريك إلى أعلام لمختلف الجيوش يطير من بينها حمام أبيض يرمز للسلام . ثم يتناول منديلا شفافاً ويلوح به فى الهواء ثم يطويه فيستخرج من بين طياته وعاءً ضخماً من البلور مملوءًا ماءً يسبح فيه سمك أحمر — ويتمتم الساحر بشىء من العزائم ، فيتخذ الوعاء شكل بارجة ترمى بسهام نارية تلف بغلالتها فتاة رقيقة الجسم ذهبية البشرة هى سوس سين ، فإذا بها ترتفع فى الهواء ثم تهبط مغمضة العينين كأنها غارقة فى حلم . ويقبـل بهلوانات آخرون بأيديهم أطـواق من الخشب يفصلون بها جسد الفتاة عن الفضاء ليثبتوا أنه معلق بغير حيلة ، ثم يدحرجون

هذه الأطواق إلى النظارة ليتأملوها .

ثم يخلو المسرح فجأة من اللاعبين إلا فتى فى ثوب أخضر يقفز قفزاته، ويعلن للنظارة: « سنريكم الآن كيف نجا شونج لنج سو من القتل فى إحدى معارك الثوار، فليتطوع ثلاثة أو أربعة من النظارة ليطلقوا عليه الرصاص » .

ويأتى أربعة من النظارة ، وهم ليسوا من أعوان الساحر، فيعتلون خشبة المسرح ويدار بالرصاص على الحاضرين ليتفحصوه، ثم تضع سوس سين هذا الرصاص بعينه فى البنادق التى يحملها الأربعة المتطوعون .

تعزف الموسيقى لحناً خافتاً مؤثراً، ويقبل أربعة من الصينيين فى ملابسهم الوطنية وهم يحملون شونج على مقعد من خشب الأبنوس، ثم ينزل الساحر وفى يده اليمنى وعاء من الصلب، وهذا هو الوعاء الذى ظل الساحر يبصق فيه الرصاص من بين أسنانه مئة ليلة متتالية.

ويقف شونج فى ركن المسرح ويومىء بإشارة ، فيشرع الرجال فى تسديد البنادق إليه ثم يصرخ :

« اطلقوا النار ! »

انطلقت البنادق تلك الليلة فبسط شونج ذراعيه وتمايل ثم سقط على الأرض، فضحك الحاضرون ظنا منهم أن ما يرونه هو من حيل الساحر ، فلم يسبق لممثل أجاد تصوير الموت كما فعل . ونزل الستار بين الهتاف والتصفيق .

ورقد الساحر وراء الستار جسداً هامداً قد فارقته الحياة تنزف الدماء من جرح عميق فى ناحية قلبه، وجثمت إلى جانبه سوس سين البريئة تحضنه بين ذراعيها .

وقد صرح هودينى الساحر الشهير بأن الرصاص فى هـذه اللعبة لا ينطلق قط من البنادق ، وأن الساحر يخبىء فى فمه رصاصاً مشابهاً يبصقه فى الوعاء بعد الطلقات ، فلا جدال فى أن الجهاز المركب فى البندقية لمنعها من الانطلاق لم يعمل عمله فى تلك الليلة .

ولكن جولدستن هو الذى أدرك — بعد أن رأى تلك البنادق فى حجرة الساحر — أن شونج نفسه هو الذى أفسد جهاز البنادق. وتحولت ريبته إلى يقين حينما رأى بعد ذلك ماجرى على المسرح، إذ كان من عادة شونج أن يزيد فى الاحتياط والتوقى ، فيرفع الوعاء الصلب أمام قلبه ، ولكنه لم يفعل ذلك فى تلك الليلة حينما أمر بإطلاق الرصاص. ولو كان فعل لأنقذه هذا الوعاء ، لأنه من معدن صلب لا يخترقه الرصاص .

لم يكن يريد أن يتقى المنيّة ، فقتل أحد القلبين المتباغضين صاحبه ، وهوت الجثة التى تحتوى القاتل والمقتول جميعاً .

مؤلف كتاب « كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر فى النـاس » يعرض طريقة لتهـذيب النفس بأن تحاسبها .

حماقات ارتكبتها

ديل كارنيجي
مختصرة من مجلة "يور لايف"

قال إلبرت هيرد مرة : « كل إنسان يطيش خمس دقائق على الأقل كل يوم. والحكمة هى أن لا تتجاوز هذا الحد» .

وأنا أتخـذ مذكرةً عنوانها «حماقات ارتكبتها» ، وأعيد النظر فيها فتساعدنى على حل أكبر مسـألة أواجهها : وهى علاج أمر ديل كارنيجى .

حدثنى ذات مرّة هـ . ب . هاول المالىّ الذى بدأ حياته كاتبـاً فى متجر بالريف ثم صار مديراً لشركة كارنيجى ، عن أحد أسباب نجاحه فقال : « لم أزل منـذ عدة سنين أتخذمذكرة أدون فيها كل مواعيدى. وفى مسـاء كل سبت أفتحهـا وأفكر فى المقابلات التى جرت لى ابتـداء من صباح يوم الاثنين . وأسأل نفسى : ماذا ارتكبت من أخطاء ؟ وكيف كان يمكن أن أكون أحسن عملا ؟

« وكان هذا التحليل الأسبوعى لنفسى يشقينى أحيانا، ولكنه أفادنى أكثر مما أفادنى أي شيء آخر حاولته » .

وعسى أن يكون هاول قد أخذ فكرته من فرانكلين الذى كان كل ليلة يحاسب نفسه حساباً عسيراً، فتبين أن فيه ثلاثة عشر عيباً كبيراً ، منها ثلاثة عيوب هى : تضييع الوقت ، وتجسيم التوافه ، ومجادلة الناس .

وكان فرانكلين يغالب عيباً من هـذه العيـوب كل يوم مدة أسبوع ، ويسجل أيهما كان له الفوز فى هذا الصراع . وفى الأسبوع التالى يغالب عادة سيئة أخرى ، وظل على هذا الحال عامين . ثم كتب يقول: « هناك ثلاثة أشياء عسـيرة : الصلب ، والماس ، وأن تعرف نفسك » .

ولنفرض أن بعضهم قال فيك إنك « مخرّف » فماذا تراك تصنع ؟ إليك ما صنع لنكولن: فقد أراد أن يرضى أحد السياسيين فوقع أمراً بنقل كتيبة من الكتائب، واعتقد وزير الحربية ستانتون أن فى الأمر خطأ جسيما فأبى أن ينفذ الأمر، وقال إن لنكولن « مخرّف » إذ أصدر هذا الأمر .

ولما علم لنكولن بما قاله ستانتون كان جوابه: « إذا كان ستانتون قد قال إنى مخرف فلا بد أن أكون كذلك ، فإنه دائماً تقريباً على صواب . وسأذهب إليه وأرى» . وأقنعه ستانتون بأن الأمر الذى أصدره خطأ ، فعدل عنه لنكولن .

ونحن جميعاً نمتعض من النقد ، ولكنه ينبغي أن نرحب به ، لأنه لا مطمع لنا في أن نكون على صواب أكثر من ثلاث مرات من أربع مرات ، أو هذا على الأقل ما كان تيودور روزفلت يقوله وهو في البيت الأبيض ، وكل ما يستطيع أن يطمع فيه . ويعترف أينشتين بأن النتائج التي ينتهي إليها تكون خطأ في ٩٩ في المئة من المرات.

وقال لا روشفوكول : « إن أعداءنا يكون رأيهم فينا أدنى إلى الصواب من رأينا في أنفسنا » .

وكان ا . هـ . لتل رجلا يرحب بالنقد المخلص ، ولما صار وكيلا لبيع الصابون لشركة كولجيت ، كانت الطلبات تبطىء عليه ، فقلق وخشي أن يفقد عمله . ولما كان الصابون لا عيب فيه ، فقد بدا له أن العيب فيه هو . فكان أحيانا ، إذا أخفق في عقد صفقة ، يذهب إلى التاجر ويقول : « لقد جئت لأستشيرك وأطلب رأيك وملاحظاتك ، فهل لك أن تتفضل وتبين لي خطأي حين حاولت أن أبيعك الصابون منذ برهة ؟ وأرجو أن تكون صريحاً » .

فكانت النتيجة أن اكتسب أصدقاء كثيرين ، وأن فاز بنصائح ثمينة ، وهو اليوم رئيس شركة صابون كولجيت .

إن ما فعله هاول ، وفرانكلين ، ولتل ، لا يقوى عليه إلا رجل كبير ، فلماذا لا تسأل نفسك : أأنت من هذا الضرب من الرجال؟

جمود !

عهد إلى إريك جديس في الحرب العالمية الأولى أن يتولى إجراء التوفير اللازم في أقسام الحكومة البريطانية ، فكان يلاحظ في أحد دهاليز الوزارات حارساً يرتدي ثوباً رسميًّا ، فسأل عنه فقيل له إنه واقف هناك ليحذر الناس من لمس الجدران ، ولم يزل منذ سنين واقفاً هناك يؤدي هذا العمل . ولكن الحارس لم يكن يدري لِمَ يؤديه . وقد تبين جديس بعد بحث مستفيض أن زوجة أحد الوزراء جازت ذلك الدهليز ذات مرة منذ ٣٣ سنة ، يوم كان دهان الجدران طريًّا ، فلمس كمها الجدار فعلق به الدهان ، فصدر الأمر في مساء ذلك اليوم بتعيين حارس يحذر الناس من لمس الجدران ، فظل الحرّاس المتعاقبون يفعلون ذلك ثلثَ قرنٍ ! » [مجلة فوربز]

مدرسة على جبل

لويس أداميك

مختصرة من مجلة "هاربرز"

بين سلسلتين من الجبال فى ولاية نورث كارولينا نجد بلدة «الجبل الأسود»، فإذا ارتقيت منها على منحدر عريض بلغت كلية الجبل الأسود، وهى بناء كبير رث أشبه ما يكون بفندق ينزله أوساط الناس للاصطياف، وقد استأجره أصحاب الكلية من إحدى جماعات الشبان التى كانت تتخذ هذا البناء مقرًّا للكشافة فى الصيف. ويوم دخلت ردهته التى تشبه مخزناً للعشب الجاف، كنت أتوقع أن أمكث ساعة أو نحوها، ألقى خلالها بعض الأسئلة عن هذا المعهد ثم أواصل رحلتى البهيجة، بيد أنى مكثت شهرين ونصف شهر أدرس نهجاً فى التربية يكاد يكون من أهم مناهج التربية شأناً.

كانت بداية كلية الجبل الأسود فى ١٩٣٣ شيئاً عجيباً. ولست حريصاً على أن أردّ ذلك إلى أن الأستاذ جون رايس فصل من كلية رولتز أيام كان ينشىء لنفسه فلسفة فى التربية والتعليم، بحجة أنه مثير للمتاعب. ولست أردّه إلى المدرسين القلائل الذين ناصروه ففصلوا من مناصبهم. بل أود أن أخص بالذكر خمسة عشر طالباً وطالبة، لا يزيد معدّل عمرهم على عشرين سنة، آثروا مختارين أن ينضموا إلى الأساتذة المتمردين فى مشروع كان تحقيقه يبدو شيئاً مستحيلا، وهو إنشاء كلية جديدة لا يعرف أحد منهم كيف يكون الشروع فى إنشائها، ولا كيف يدبرون لها المال.

ومع ذلك فقد وفق هؤلاء الطلبة فى مساعدة المدرسين على جمع المال الكافى لاستئجار البناء الذى وجدوه على الجبل الأسود، وشراء المعدّات اللازمة للفصول، والطعام الذى يكفيهم بضعة أشهر. وقد جمع الأساتذة والطلاب ما عندهم من كتب، وأطلقوا على مجموعها اسم «مكتبة الكلية». واتفقوا على أن يتطوع كلٌّ منهم للنهوض ببعض الأعمال اليدوية، واكتفى الأساتذة فى السنة الأولى بالمال اللازم لملابسهم وبشىء من نفقاتهم، فإذا متوسط

لويس أداميك كاتب أمريكى من أصل يوغسلافى، مؤلف «الضحك فى الأدغال» و «عودة المواطن» و «عشاء فى البيت الأبيض».

ما سحبه كلٌّ منهم من خزينة المدرسة ١٧٥ قرشاً فى الشهر . وقد ازداد عدد المدرسين والطلاب ازدياداً مطرداً ، ولكن الحدّ الأقصى لعدد الطلاب لن يعدو ١٢٥ طالباً ، أما المدرسون فلن يزيد عددهم على ٣٠ مدرساً ، لأن التربية التى تسعى كلية الجبل الأسود إلى تحقيقها لا تتيسر إلا فى كلية صغيرة .

وقد عزم متمردو كلية رولنز أن يعودوا بالتعليم إلى الرأى القديم ، أى أن يكون لكل طالب أو لكل فئة قليلة من الطلاب مدرس يتولى تدريس الموضوع الذى يجيده . ولذلك ترى كلية الجبل الأسود ليس لها مجلس إدارة ولا مدير ولا موظفون لهم من السلطان ما يعينهم على التدخل فى عمل المدرسين. والأستاذ رايس هو عميد الكلية ، ولكن مجلس الزملاء هو الذى يبت الرأى فى كل قرار خطير ، وهو مجلس يضمّ ممثلى المدرسين ورئيس هيئة الطلبة . والطلبة يحكمون أنفسهم بأنفسهم ، وممثلوهم يعقدون مع ممثلى مجلس المدرسين اجتماعات متعاقبة ، فيكون الأعضاء فيها أنداداً وأكفاء . وفى كل شهر أو نحوه يعقد جميع المدرسين والطلاب اجتماعاً عاماً يبحثون فيه المسائل التى تهمهم .

وقد عهد إلى جون رايس فى أول الأمر أن يضع خطة التعليم . ولباب فلسفته فى التربية أن مهمة الكلية هى إرشاد الشباب حتى يبلغوا مرتبة النضج الفكرى والعاطفى ، وهو يقول : « ينبغى للمدارس أن تخرج للناس قوماً لا يمتازون بما يعرفون ، بل يمتازون بما يسعهم أن يصنعوه بما يعرفون ، قوماً يدركون أن الحياة تقتضى التعاون فى جميع نواحيها وفى كل مكان » .

وقد ناهز جون رايس الخمسين من العمر ، وهو رجل ذكىّ الفؤاد واسع الاطلاع ، صريح متحمس صادق السريرة صلب العود. وقد وقع الرجل فى نفسى أحسن موقع فى أول الأمر ، بيد أننى سخرت من شدة تفاؤله . غير أنى لم ألبث حتى أدركت أن آراءه فى التربية قد أحرزت نجاحاً وتوفيقاً فى كلية الجبل الأسود ، فصرت أرى أنه يُرجى منها خير عظيم .

والتربية فى كلية الجبل الأسود أساسها التجربة والاختبار ، ففيها يتاح للطالب أن يتلقى من الدراسات ما يتلقاه فى سائر المعاهد — ولا نستثنى الموسيقى ولا فنون الجمال — بيد أنه فرض واجب عليه أيضاً أن يعيش فيها فرداً فى جماعة متماسكة . وإذا استثنيت أربعة من المدرسين المتزوجين وصغارهم ، فأهل المدرسة جميعاً يعيشون ويعملون ويتعلمون ويلعبون ويلهون فى ذلك

البناء الفسيح . وجميعهم يأكلون معاً فى حجرة كبيرة ، لا يستثنى من ذلك المتزوجون ولا صغارهم .

وليس فى المدرسة موظفون سوى الطاهى ومساعديه ، ورجل يتولى تنظيف المواقد والمداخن فى الشتاء ، ورجلين يكنسان وينظفان الحجرات العامة . وأما ماسوى ذلك من الأعمال فيتولاه الطلاب والأساتذة بلا فرق بينهم ، فترى الطلاب والأساتذة يخدم بعضهم بعضاً فى حجرة الطعام . ولا يطلب من الطلبة الذين لا يوفون نفقات المدرسة كاملة أو لا يوفون شيئاً منها ، أن يتولوا من أعمال الخدمة فى حجرة الطعام أكثر مما يتولاه زملاؤهم ، لأن ذلك قد يشعر الآخرين بأنهم أكرم شأناً ، وهذا شئ مستنكر .

وطلاب هذه الكلية ثمانية وأربعون ، منهم ٢٦ شاباً و ٢٢ فتاة ، تتفاوت أعمارهم بين ١٨ سنة و ٢٥ سنة ، ولكن ليس فى الكلية قاعدة خاصة بعمر الطالب ، وهى أقل اهتماماً بدرجاته فى المدرسة الثانوية ، وأعظم اهتماماً بما ينطوى بين جوانحه من قدرة . ولا تشترط الكلية فيمن يطلب الالتحاق بها سوى شرطين : أن يكون قادراً على الانتفاع بالحياة فى جماعة كجماعة كلية الجبل الأسود ، وأن يكون ذكيًا . ومن الخلائق المطاوبة أن يكون فى وسع الطالب أن يقول فى الحين بعد الحين : « لست أصلح لشىء » ، وأن يكون متوقد النفس ، وأن يكون قلبه منطوياً على حب الحق . وهم يقبلون فى عداد الطلبة بعض ذوى الأعصاب المريضة ، لأنهم يشعرون أن فى وسعهم أن يمدّوا يد المعونة إليهم ، ثم لأنهم يريدون أن يدرّبوا سائر الطلبة على فنون المعيشة مع فريق من الناس تشقّ الحياة معه .

ولما كانت كلية الجبل الأسود تؤمن بأنه ينبغى للطالب أن يتعلم الاستقلال وأن يتخذ لنفسه الرأى الذى يراه هو ، تراها لا تفرض على أحد من الطلبة نهجاً فى الدراسة يسير عليه ، ولكنها تقتضى منه أن يتقدم لامتحان معارفه مرتين ، أما الأولى ففى نهاية السنتين الأوليين ، وأما الثانية ففى نهاية السنتين التاليتين . أما كيف يظفر بمعارفه ، فتبعة ذلك تقع على كاهله هو دون غيره . وقد يستقلّ فى الدراسة دون معين ، أو قد يستعين بمعلم ، أو قد ينضمّ إلى غيره فى فصول الكلية . ويغلب أن تكون الدراسة فى فصول أول الأمر ، ثم يستقلّ كل طالب بدراسته .

والطالب فى قسم التمهيد يرود ميادين المعرفة المتباينة حتى يستكشف ما يميل إليه قلبه . وأمر الانتقال من قسم التمهيد إلى القسم العالى — وهو مرحلة التخصص —

ثم إلى مرحلة التخرج، موكول إلى الطالب نفسه؛ فهو الذى يقرر متى يلفى نفسه قادراً على أن ينتقل. وليس معنى هذا أن الطالب يترك وشأنه متعثراً بين هـــذه المراحل ولامعين له، كلا، فالمدرسون أبداً على استعداد لإرشاده وإسداء النصح إليه متى طلبه منهم.

ومتى ظن الطالب أنه قد أنجز دراسته فى القسم العالى، طلب أن يمنح حق التخرج، ويقدم مع طلبه تقريراً يبين فيه ما يزعم أنه قد استوفى معرفته فى الموضوع الذى اختاره، فإذا ظفر هذا التقرير برضى الأساتذة دعوا رجلا من أهل التخصص فى ذلك الموضوع ممن لاصلة لهم بالكلية فيتولى امتحان الطالب.

وللكلية عطلتان طويلتان، فى رأس السنة وفى الصيف، وهى تحثُّ طلبتها على أن يدرسوا خلالها أحوال الصناعة والاجتماع والسياسة فى حيثما يكونون، حتى إذا ما عادوا إلى الكلية أعدُّوا بياناً بما رأوا. وقد اجتمع الطلبة فى وشنطن منذ سنوات فقضوا أسبوعاً يتباحثون مع كبار أهل السياسة ورجال الحكومة والصحافة. وهم لايفتأون يدبرون مثل هذا الاجتماع فى المدن الصناعية الكبيرة وغيرها.

إن معلم الطالب فى كلية الجبل الأسود هى الجماعة كلها. فقطع الخشب، وإصلاح الطرق، والعمل فى مزرعة الكلية، وتمهيد ساحات اللعب، وبناء مخازن الحبوب، وقيادة سيارات الكلية، هذه جميعها أعمال يتولاها الطلبة والأساتذة على السواء، فتساعد على تدميث الأخلاق وتربية روح التعاون، وتدربهم على حمل التبعات. وهذه الأعمال تحلُّ بعض الشىء محلَّ الألعاب الرياضية، واشتراك الطلبة فى تأديتها يشعرهم بأنهم يسدون خدمة ذات شأن فى حياة الجماعة يوماً بعد يوم.

وللطالب من الحرية والامتيازات ما لغيره من أعضاء الجماعة، فهو حرٌّ كلَّ الحرِّ فى أن ينتقد مدرسيه كما ينتقدونهُ. وهو حرٌّ كلَّ الحرِّ فى أن يعرب عن رأيه فى كل موضوع وفى كل وقت، وأن يتحمل عواقب كلامه.

وترى بعض المدرسين، ومنهم رايس، يحضرون دروساً غير دروسهم، شأنهم فى حضورها كشأن سائر الطلبة.

وينمُّ جانبٌ عظيم من التعلم فى كلية الجبل الأسود خارج حجرات الدراســة. ولا يكفُّ رايس عن تحريك خيال الطلبة، فتراهُ وهو يتنقل فى البناء من مكان إلى آخر، ينضمُّ إلى جماعة منهم، فيستدرجهم إلى المناقشة فى كلية الجبل الأسود وما بها من علل وعن سبب ذلك، أو يجادلهم فى التربية أو السياســة. ومن ثمَّ تشيع المناقشة فى أرجاء الكلية، وتتصل حتى

مواثد العشاء ، وتتردَّد أصداؤها فى صباح اليوم التالى على موائد الفطور .

ومن الأغراض التى تطلبها كلية الجبل الأسود ، أن تجعل كلَّ طالب خبيراً بطبائع الناس حتى لا يرتكب خطأً فى زواجـه أو فى سائر صلاته بالناس . ولا يكاد يقع شيء فى هذه الدار دون أن يذيع خبرهُ فى بحر ساعة . وقلما يفِـد وافدٌ على هذه الكلية ويمكث فيها أسبوعين ، دون أن ينجلى خبرهُ لأهلها حتى يصيروا أعرف بهِ من جماعته الأولى . فكأن جماعة الكلية تنضُو عن الزائر ما يستر حقيقة نفسهِ ، فتنجلى هذه الحقيقة لهم ، ولهُ أيضاً .

وبعض هذا المنهج فى دراسة طبائع البشر يهدف إلى تدريب الطلاب على أن ينظروا إلى مواطن قصورهم نظرة تمكنهم من الانتفاع بما قسم لهم . والطلبة الذين يؤمُّون كلية الجبلَ الأسود أول مرة ، يجدون فيها حرية رائعة . فإذا ما أراد أحدهم أن يرتكب ما يعنُّ له من حماقة ، فليس يكبح جماحَـهُ أحد ، إذ ليس فى الكلية قوانين وقواعد ، ولكن الطلبة لا يلبثون حتى يدركوا ما تتضمنهُ الحرية وتنطوى عليه : إن الحرية تبيح النقد . ومعظم النقد خال من الخبث والحسَّة ، وتشيع فيه الرغبة فى معونة الطالب الذى يوجَّه النقد إليه .

وإذا نزلت شدة بأحدهم لم يعدم نصيراً ، فترى الطلبة القدماء يتلمسون الوسيلة التى تمكنهم من أن يبصِّروا الطالب بالمأزق الذى ساق نفسه إليه ، فإذا ما وقع الطالب الجديد تحت « تأثير الجماعة » على هـذا النحو ، اتجه تفكيرهُ إلى نفسه ، فلا يزال ينقب فى أعماقها حتى يهتدى إلى حقيقتها . فهذه هى التجربة فى الحياة ، وهى أجدى ضروب التربية وأعمقها أثراً فى النفس .

ومنهج التمثيل فى الكلية بالغ الدلالة على طريقتها . فالطلبة والأساتذة يمثلون خمس مسرحيات كلَّ سنة ، ولكن التمثيل لا يطلب لذاتهِ . قال أحد الأساتذة :

« إن طريقتنا هى أن نكل دور المتغطرس مثلا لشاب متغطرس ، فتتجلى له حقيقة غطرسته فى الدور الذى يمثله . ونحن نسعى أن نجـد أدواراً توافق الأجلاف أو الأغنياء الذين لا يمتازون إلا بثرائهم ، أو أصحاب الكبرياء والتعالى ، فيتاح لهم أن يروا أخلاقهم متجلية فى الأدوار التى يمثلونها . فيفضى بهم ذلك ، على ألم ومضض ، إلى صلاح نفوسهم فى معظم الأحيان . وقد أسفرت هذه الطريقة عن تبدّل تام فى أحد الطلاب ، فقد كان يوم وفد علينا أسـوأ من

لقيناه من الطلاب أخلاقاً ، فصار أدمثهم وأنفعهم وأحبهم إلينا .

« ونحن نكل إلى بعضهم أيضاً أدواراً تناقض ما نشأوا عليه ، فالفتى الغنيّ يمثل دور عامل لطمته الفاقة ، والفتاة الفقيرة تمثل دور سيدة غنية ولكنها بائسة . ونكل إلى الشاب المستهتر دوراً يعينه على أن يدرك — وأن يشعر خلال فترة قصيرة — ما لذة الكفاح والموت فى سبيل حق مهضوم » .

إن الأساس الذى تقوم عليه كلية الجبل الأسود قوامه آراء جديدة فى التربية ومثل عليا تطمح إلى تحقيقها . وهى لا تكاد تدبر المال اللازم لها من سنة إلى سنة إلا بشق النفس ، وبين رجالها فئة تتمنى أن يحلق فوق الجبل الأسود مالك كريم فيلقى عليها نصف مليون من الريالات . فحاجتهم شديدة إلى مكتبة تفى بأغراضهم وإلى معدات كثيرة ، ولكن بعضهم يرى أيضاً أن وفرة المال قد تكون أسوأ مغبة من قلته . وهم جميعاً متفقون على أن يرفضوا كل مال يعرض عليهم إذا كان صاحبه يودّ أن يملى على الكلية رأيه فى إدارتها ومنهجها . ثم إنهم يرون أن وفرة المال بين أيديهم قد تعجزهم عن أن يدركوا سرّ معلم جديد ، وهل أقبل على المدرسة حبًّا فى فكرتها أم حبًّا فى مالها .

ترى كيف يكون طلاب كلية الجبل الأسود حين يبلغون الثلاثين أو الأربعين أو الخمسين من العمر ؟ إن معظمهم خليق أن يصيروا رجالا أهل رأى متزن ومحضر أنيس ، وروع هادئ ، وعزيمة صادقة وعود صلب . وسيكونون أهل ذكاء وخيال وعمل يستطيعون بنظرة واحدة أن يميزوا الرجل الأجوف من الرجل الحق . وأظن أن دأب أكثرهم سيتجه إلى تحسين العالم ، وقد يخوض بعضهم غمار السياسة . فهذا رايس يحثهم على العمل فى وشنطن لأنه يرى أن أمام الرجل الذكى الصادق الذى يصارح الناس بما يرى ، ويتخذ من السياسة وسيلة لخدمة الجماعة ، مستقبلا عظيم الشأن والخطر .

أما الآن فقيمة كلية الجبل الأسود هى فى دلالتها على الأكثر ، ولكن المبدأ الذى قامت عليه مبدأ عظيم . ويفكر بعض أهلها فى إنشاء كليات مستقلة على نمطها فى أرجاء البلاد . وإنى لواثق بأن إنشاء عشرين كلية على غرارها — لا تضمّ الكلية منها أكثر من ١٢٥ طالبة و ٣٠ مدرساً — يخطو بنا خطوة حسنة إلى إحداث انقلاب عظيم فى التربية ، فإذا أنشئت ألف كلية على غرارها ، كان لها من الأثر النافع العميق فى حياة الأمة مالا يكاد يخطر على قلب أحد .

أدلة علمية على حدة سمع السمك ودقة بصره وإدراكه



ما حظ السمك من الذكاء ؟

فرانك و. لين

مختصرة من مجلة "الخلاء"

عُنى العالم الروسى الأستاذ فرولوف مرة بكتابة كتاب عنوانه «سمك يستجيب للتلفون»، وقد وصف فيه ما تم له فى معمله. فقد اتخذ حوضاً للسمك وربط السمك إلى سلك كهربائى خفيف مسترخ، وجعل الرباط طويلا حتى يستطيع السمك أن يسبح كما يشاء. ودبر أمره حتى إذا ضغط زراً، أحدث التلفون المغطس فى الماء صوتاً يصحبه تيار كهربائى ضعيف يسرى فى السلك إلى السمك فيستجيب السمك بحركة انتفاض عنيفة.

وبعد أن جرب هذه التجربة أربعين مرة، حذف منها التيار الذى يهز السمك، ولكنه أبقى صوت التلفون. وإذا السمك ينتفض الانتفاضة نفسها حين يسمع الصوت. فقد تعلم أن يجيب قرع جرس التلفون ! وقد نوع التجربة فجعل التلفون فوق الماء، وإذا السمك يستجيب الاستجابة نفسها.

هذه التجارب الحديثة فى طبائع السمك وسلوكه، تلقى ضوءاً على بعض المسائل التى تحير صيادى السمك. أيستطيع السمك أن يسمع وطء الصياد فى الجدول ؟ وهل يزعجه الكلام ؟ وما هى الحقيقة فى قدرة السمك على الإبصار ؟ وهل يستطيع أن يميز الألوان ؟

وقد ظل العالمان كارل فون فريش وستيتر يواليان البحث حتى أقاما الدليل على أن سمع السمك يبلغ مبلغاً عجيباً من الحدة. وقد ربيا بعض السمك الصغير الأعمى على أن يقرن بين تقديم الطعام إليه وبين أصوات معينة تحدثها صفارات وأوتار معدنية، فصار السمك إذا سمع الإشارة الداعية للطعام انتفض إليها مسرعاً مندفعاً.

وقد ثبت أنه إذا حدث صوت خافت على مثنى قدم من حوض السمك، فذلك وحده كاف فى أن يجعله ينتفض كما ينتفض عند حضور الطعام. وهذا خليق بأن يعلم صياد السمك الذى يضرب الماء بمجدافيه ويتكلم بصوت عال أن يأخذ حذره. وقد أثبت

أيضاً أن قدرة السمك على السمع تعدل قدرة رجل غاطس فى حوض آخر محاذٍ لحوض السمك ، أو ربما كان سمع السمك أدق .

وقد ربى ستيتر وفون فريش بعض السمك على التمييز بين الأصوات . فصوتٌ من طبقة معينة يعنى الطعام ، وصوت آخر يعنى منع الطعام – فإذا أخطأت سمكة فى تبين الصوت الذى يعنى « منع الطعام » ، لطمت لطماً خفيفاً على خطمها بعصاً من زجاج . وقد تعلم السمك دروسه ، فصار سهلا عليه أن يميز بين صوتين بينهما طبقة كاملة .

وقد جرّب الدكتور فرانك براون ١٤٠٠٠ تجربة أو أكثر فى قدرة ضرب من سمك القاروس على تبين الألوان . فقد أخذ أنبوباً من زجاج وجعل له حلقة ملونة ثم غطسه فى الحوض بين السمك . فإذا ما سبح السمك إليه أعطى طعاماً ، ثم أخذ أنابيب أخرى لها حلقات مختلفة الألوان وجعل يغطسها واحداً واحداً ، فإذا ما دنا السمك منها لمسَ ظهرهُ سلك يجرى فيه تيّار كهربائى ضعيف، فتأخذه نفضة خفيفة . فوجد بعد بضع تجارب أن معظم السمك يستطيع أن يميز بين الأحمر والأصفر والأخضر والأزرق إذا كانت صافية الألوان.

وبعد أن تعلم السمك أن يفرّق بين اللون « الصحيح » الذى يأتيه بالطعام واللون « الخطأ » ، لازمته هذه القدرة أسابيع كثيرة .

وللسمك قدرة غير يسيرة على تبين شكل الأشياء . وقد أقام كونراد هرتز صدق الدليل على هذا القول ، بتعلم السمك أن يقرن أشكالا معينة ، كالدائرة أو الشكل البيضى، بالطعام . فإذا سبح السمك متجهاً إلى الدائرة أعطى طعاماً ، أما إذا سبح متجهاً إلى الشكل البيضىّ لم يعط شيئاً . وقد تعلم السمك على الأيام أن يتجه إلى الدائرة دون الشكل البيضىّ ، بل تعلم أن يميز بين حرفين من حروف الهجاء . وهذا يدلّ على أنّ السمك قد يألف شكل الأشياء التى تنصب لصيده فيتجنبها .

وتتجلى قدرة السمك على أن يتبين فروقاً يسيرةً فى شكل الأشياء فى حادثتين وقعتا للباحث كليفورد باورشور . فقد احتفظ فى أحد أحواضه بسمكة تضطرب اضطراباً كثيراً حين يدنو منها ومعهُ علبة فيها ديدان . أما إذا دخل وليس فى يده تلك العلبة ظلت السمكة ساكنة مطمئنة ، وهذا يدلُّ على قوة عظيمة فى البصر .

وكان عند كليفورد سمكة أخرى صيدت بشبكة فى بركة ماء ، ولم يكن فيها أثرٌ من أذى شصّ الصيد . وعلى الرغم من أنها لم تألف فى سابق حياتها شصوص الصيّاد ،

فقد كانت تنفر من كل دودة تقدم إليها معلقة بشص ، فتأبى أن تأخذها . فلما قدمت إليها الدودة معلقة بخيط هجمت عليها .

وهذه الحقائق تعيننا على أن نصدق بعض الغرائب التى تروى عن السمك . ولما كانت هذه التجارب قد خضعت لقواعد البحث العلمى ، فلن يدهشنا أن تتبدّى فى السمك أحياناً آثار تدل على شىء نسميه نحن فى الإنسان ذكاء .

فقد كان فى مدينة باث فى إنجلترا بركة فيها سمك ذهبىّ ، وقد ركب فوق البركة لوح صغير غطى سطحه ببيض النمل ، وربط اللوح بخيط ، ودلى الخيط فى الماء . وسرعان ما تعلمت السمك أن تجذب هذا الخيط فيميل اللوح فينهمر بيض النمل عليها فى الماء ، فتلتهمه .

وقد حدث فى لندن منذ سنوات أن رجلا من عارضى السمك ، علم سمكة أن تدور فى الماء دورة كاملة . فلما سئل كيف دربها على ذلك قال : « كنت أدلى أمامها دودةً فى الماء ، ثم أحرك الدودة فى دائرة تامة والسمكة تتبعها . وتراها اليوم لا تكاد ترانى حتى تدور دورة كاملة ، وتظلّ على ذلك حتى تظفر بالدودة » .

ومن الأمثلة على وجود « التفكير » فى السمك ، مثلٌ منتزع من تجارب الدكتور س . ن . هولدر ، فقد كان يصيد السمك واقفاً على طرف رصيفٍ داخل الماء فعلقت سمكة فى شصّه ففرّت مسافة ٢٠٠ قدم ثم توقفت ، ثم عادت إلى الرصيف واندفعت تحته واتخذت لها موقفاً عند أحد عُمُده ثم قطعت الحبل .

ولو انتهت القصة عند هذا لكان يحق للمرء أن يقول إن السمكة قد نجت بانقطاع حبل الصيد مصادفة واتفاقاً . ولكن هولدر لم يكفّ يومئذ عن الصيد . وكان فى وسعه أن يرى تلك السمكة التى علقت بشصّه ثم نجت ، وبعض الحبل المتقطع سابحٌ وراءها فى الماء . وبعد ثلث ساعة أو نحوه ، عاقت هذه السمكة نفسها بشصه مرة أخرى . فلم تفرّ كما فعلت من قبل ، بل دارت لساعتها حول أحد العمد التى شيّد الرصيف عليها ، وقطعت حبل الصيد .

وقد رويت روايات كثيرة عن السمك الكبار التى علقت ثم نجت ، وعن غيرها مما يعجز الصيادين أن يصيدوهُ ، ولكن يبدو أن جميع السمك يتعلم بالتجربة ، وبعضه يفوق غيره فى الانتفاع بتجربته . والسمكة التى تنجو ، من شباك الصيد مرةً بعد مرة يصبح صيدها بعدئذ أشق وأعسر .



كيف تزوجا؟

لم أفكر قط فى الزواج ، فلما مات رفاقى وجدتنى وحيداً فى هذا العالم ، وشعرت بالحاجة إلى نفس تحبنى ، إلى إنسان يحبنى منذ الساعة . وأنا أعلم أن الصداقة تنمو على الزمن ، أما الحب فينقض كالبرق الخاطف ، وربما انشق عن قلب عاصفة ، وأنا أوثر عواصف الحياة على مناعمها وسكونها . هكذا كنت أفكر وأنا أرسل طرفى إلى البر من خلال نافذة السفينة ، حيث رأيت جماعة من الغيد الحسان يؤدين بعض أعمالهن ، ففتنتنى إحداهن أشد فتنة أخذت على المسالك ، فلم أجد مفراً من النزول إلى البر ، ويممت من فورى شطر البيت الذى كنت أطيل إليه النظر وأحسست قلبى يخفق من فرط اهتياجى ولكنى كنت مصمما على المضى . وإذا رجل يدعونى إلى الدخول ، وقد كنت داخلا ولو ردنى أو منعنى . رأيت الفتاة هناك فقلت لها : « ستكونين لى أنا » ، وكنت لا أحسن تكلم البرتغالية ، فقلت هذه الكلمات الجزيئة باللغة الإيطالية . وبهذه الكلمات عقدت عقدة لا يحلها إلا الموت . لقد اهتديت إلى كنز منيع الجناب ، ولكنه كنز غال نفيس . إنه آنيتا ، أم أولادى التى قاسمتنى بأساء الحياة ونعماءها — تلك الزوجة التى طالما افتقدت شجاعتها فى أيام محنتى .

[من مذكرات جريبالدى محرر إيطاليا]

وقد كتبت جرترود آثرتن تقول : « كنا فى مزرعتنا بكاليفورنيا ، وكان الشتاء خاملا مملاً ، وكنت فتاة تعيش فى كفالة جدها وفى رعايته . وكان المطر مدراراً فحبسنا فى البيت أكثر وقتنا . فى ذلك الشتاء بدأت أنوثتى التى لم تنضج بعد تستشعر أن جورج آثرتن يحاول أن يغازلنى بالحب ، بيد أنه لم يزد على أن أثار سخطى عليه . فاعتصمت من يومئذ بالمكتبة ، وحرضت كلبى على أن يكشر له عن أنيابه كلما أقبل وهم بالدخول على . كنت جالسة فى المكتبة يوماً بعد الظهر أقرأ كتاب « فيدون » لأفلاطون . نعم ، لم أكن أفهم منه إلا القليل ولا كنت أعرف قدره ، ولكنى كنت مصممة على أن أتزود بالقراءة خير زاد . وجاء جورج فنظرت إليه مقطبة

الجبين وهو داخل علىّ ، فرأيت فى هيئته أنه قد جاء يخطبنى إلى نفسه مرة سادسة، غير مبال بنباح الكلب وهريره . فرددت بصرى إلى الكتاب ، وأدرت له ظهرى ، فأخذ هو يتكلم ويتكلم . وأخيراً قلت له بغير احتفال : «حسبك! فلست أبالى بما تقول . وكل امرىء سيتزوج يوماً ما . ولكن أسألك أن تدعنى وشأنى ، فإنى أوثر أن أقرأ أفلاطون » .

« لم أفكر فى هذا الأمر مرة أخرى ، وقدرت أنه سوف يغضب من جفوتى وغلظتى فى الحديث . فلما كان اليوم التالى خرجنا على عادتنا معاً فى العربة وانطلقنا إلى لقاء جدى . وقد بكرنا يومئذ على غير عادتنا ، لأن الجواد كان فى حاجة إلى حذاء يركب على حافره كما زعم لى فلما فصلنا عن القرية ميلا قال لى إنه يحمل فى جيبه إذن الزواج، وأننا فى طريقنا إلى بيت القس ليعقد علىّ ونتزوّج . فوجمت لحظة لا أستطيع نطقاً، ثم جن جنونى وأنذرته بأنى سوف أقفز من العربة، ولكنه أخذ يستحث الجواد بسوطه. فغشينى من الحيرة ما غشينى ، وياللعجب للحب — هذا الحب المتقلب المتلون قد انبثق ينبوعه فى قلبى، وأحسست نشوة من الخيال والأحلام تستأثر بى ، ودخلنا على القسيس بيته فعقد زواجنا لساعته .

[جرترود آثرتن ـ مغامرات روائية]

تزوج الساحر هودينى ، وهو فى التاسعة عشرة من عمره ، فتاة ظلت فى عصمته وفى رفقته إلى أن وافاه الأجل . وقد روت لنا كيف تزوّجا فقالت : « فى أوائل صيف سنة ١٨٩٤ أقام هودينى حفلة فى المدرسة التى كنت طالبة فيها . وكان من العسير أن أستميل قلب والدتى حتى تأذن لى أن أشهدها لأن آداب الأسرة تقول بأن جميع الحفلات « مفسدة » لا يجمل بفتاة أن تشهدها . فظللت ألح عليها حتى رضيت وذهبنا معاً ، وبينا هو يعرض بعض أعماله إذ فرطت منه حركة لم يردّها أراقت بعض الأحماض على المائدة ، وطار رشاش منها إلى ثوبى فأحدث فيه بقعة لا يمكن إزالتها . فثارت ثائرة أمىّ وأخذت تغلظ القول للساحر الشاب، وكان قد أسرع إلينا ليعتذر مما بدر منه . فترفقت حتى همست فى أذنه : « لا يسؤك كلام أمى إنك مدهش» . واستطاع هودينى أن يهمس فى أذنى بأنه سوف يلقانى مرة ثانية . وفى اليوم التالى قرع جرس الباب فى دارنا ، فإذا هو هودينى . ففتحت أمى الباب قليلا وقالت له : « ماذا تريد منا ، أهذه بعض حيلك ؟ »

قال هودينى : « لقد أمرت بصنع ثوب آخر للآنسة ، فعسى أن تأذنى بالثوب الذى اتسخ ليصنع لها على قدّه » .

ودار بينهما شىء من الحـــديث ، ثم

أعطته الثوب وقالت : «خذه وانصرف» . وكنت أرقبهما من النافذة ، فلما أغلقت الباب لوحت له بيدى ، ولم ألبث أن تسللت من الدار ولقيته وتماشينا قليلا . وبعد أسبوع جاء يحمل إلينا ثوباً جميلا ، وقال إن أمه قد قضت الليالى ساهرة فى خياطته ، إذ كانوا أفقر من أن يتاح لهم شراء ثوب جديد . فأخذت أمى الثوب منه بغلظة وأغلقت الباب فى وجهه ولم تشكره بكلمة . ففتحت أنا الشباك وقلت له : « مهلا ، انتظر حتى أقيسه » .

وما هى إلا دقائق حتى نزلت وأنا فى الثوب الجديد ، وأخذت قبعتى وحقيبتى ومضيت إليه وقلت : « إنه ثوب مدهش» فقال : « وأنت فتاة مدهشة » ثم انطلقنا نتمشى معاً ، وقد تم ذلك دون أن ترانا والدتى . فاقترح علىّ هودينى أن نذهب إلى مدينة من الملاهى. فساورنى شىء من الخوف، ثم لم ألبث أن وافقته ، وكان ذلك عند أوّل العَصْر . كانت المناظر الخلابة التى رأيتها كأنها دنيا جديدة سحرتنى ، فما شعرت إلا والشمس قد آذنت بمغيب، والمنزل بعيد . فطفقت أبكى ، وقلت له إن والدتى لن تغفر لى طول غيابى، وأنها ستشتدّ فى توبيخها لى، وأنها سوف تحبسنى فى غرفتى لا أبرحها ، وأن لى عندها عقاباً عتيداً سوف ألقاه .

فإذا بهودينى يثور قائلا : « لو كنت زوجتى لما اجترأ أحد أن يعاقبك» ، فأذهلتنى عبارته ، ولم أكد أفيق من ذهولى حتى رأيتنى فى دكان جواهرىّ أقيس بعض الخواتم . فلم تغب الشمس حتى كان عقد زواجنا قد تم على يد جون ماكن القس » . فلما أسلم هودينى روحه إلى بارئه كان قد مضى على زواجنا ثلاث وثلاثون سنة، والحب الذى بيننا جديد كما كان فى أول أيامه » .

[هارولد كيلوك — هودينى]

كان برنارد شو منذ زمان يتودّد إلى « المثرية الإرلندية ذات العيون الخضر » ، وكان يومئذ مولعاً بركوب الدراجات . ولما كان مخلوقاً هش العظام ، فقد كنت لا تكاد تراه إلا وبعض عظامه محوط بالجبائر، وجاء يوم فإذا به يسقط مكسور الساق فى الطريق الذى تقع عليه دار السيدة التى يحبها — الآنسة تونزند .

قال فرانك هاريس: « ولبث شو يمرّض فى دارها وهو بين الموت والحياة ، وكان يخشى إن هو بقى يوماً آخر فى هذه الظلال الناعمة من العناية أن يتهور فيسأل هذه الآنسة أن تتزوّجه . فما كاد يطيق السَّيْر بالعكازتين حتى حاول الفرار ، فزلت به قدمه عند أول السُّلَّم فهوى حتى بلغ آخره ،

فلم يغنم من ذلك سوى كسر ساقيه جميعاً . فما كاد يفيق إلى ما أصابه حتى وجد أن هذه الآنسة قد حاطته بكل ما فى قلبها من شفقة وحنان ، فلم يسعه إلا أن يرفع عينيه إليها وهو يقول: «أترضين بى زوجاً ؟ » فقالت : « نعم » ، فأغمى عليه » .

[ألكسندر ولكوت ــ رومة تحترق]

كان كلفن كولدج رئيس الولايات المتحدة يقيم فى شبابه فى بلدة على مقربة من مدرسة للصم يقال لها « مدرسة كلارك » . فقام ذات يوم يحلق ذقنه وهو ينظر فى مرآة صغيرة معلقة إلى جانب النافذة ، فحانت منه التفاتة فرأى فتاة تعبر الطريق . كانت فتاة حسناء رشيقة المشية ، ولكن مشيتها تدل على صدق العزيمة ورآها قد يممت شطر مدرسة كلارك . فكف عن الحلاقة وبقى الصابون يغطى بعض وجهه ، وأطل عليها وأتبعها بصره . فرآه على هذه الهيئة رفيقه الذى يساكنه فى غرفته فأخذه العجب مما يرى من فعله ، ثم لم يلبث أن عاد ليطل مرة أخرى ولكنها كانت قد غابت عن بصره ، فإذا به يقول لصاحبه : « عساها تعود من هذا الطريق. وأظن أنها هى التى ستكون لى زوجة » .

فقال له صاحبه : « وما اسمها ؟ » .

فقال كلفن بلا اكتراث : « لا أدرى » ثم أخذ فى الحلاقة .

وبعد قليل عادت الفتاة ومرّت تحت نافذته ، وسره أن يعلم بعد ذلك أن هذا هو طريقها وأنه يراها كل يوم تمر تحت نافذته . ونادى صديقه وأومأ إليها فعرفها ، وقال له إن اسمها الآنسة جريس جودهيو، وأنها من معلمات مدرسة كلارك ، ووعده بأن يعرفه بها . وقد فعل . فلما رأى حرص كلفن على لقائها فى مواعيدها قال لنفسه : إن التى تعلم الصمّ كيف يسمعون سهلٌ عليها أن تعلم البكم كيف ينطقون ! وقد تزوج كلفن كولدج الآنسة جريس جودهيو فى ٤ أكتوبر سنة ١٩٠٤

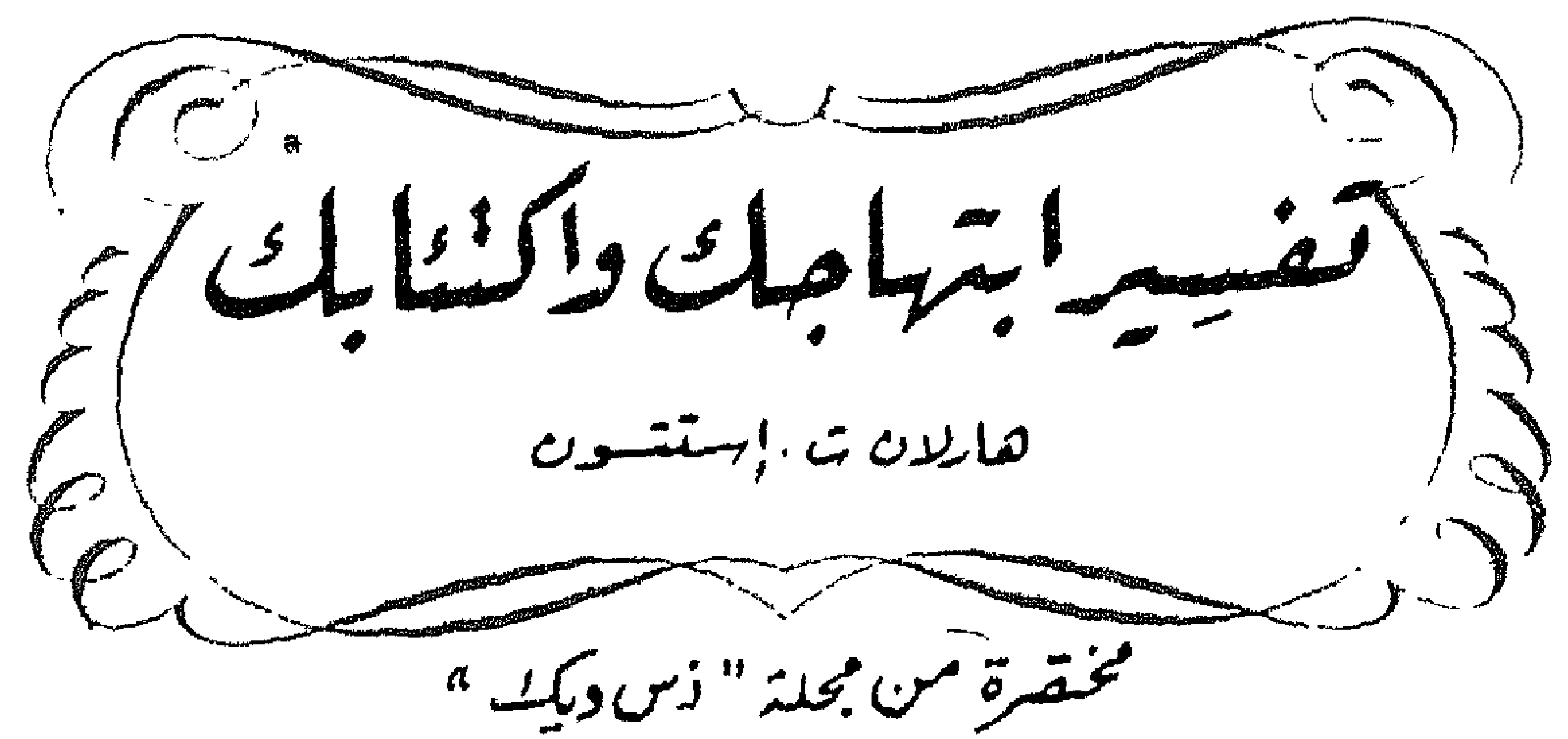
[كرون روجز ــ سيرة كلفن كولدج]

إن خير زوج فى نظرنا هو الرجل الذى يظن أن للصداع الذى يلمّ بزوجته من خطر الشأن ما لداء المفاصل الذى يتعذب هو به . [صحيفة جلفستون نيوز]

إن قلب المرأة هو درج حافلٌ بقطع معطرة من ذكرياتها .

[مرجريت مارشال]

قد يكون قياس الدقائق المكهربة فى الهواء خطير الشأن عميق الأثر كقياس الحرارة والرطوبة والضغط



تفسير ابتهاجك واكتئابك

هارلان ت. إستتسون

مختصرة من مجلة "نيس ديك"

أتراك سألت نفسك لِمَ تشعر فى بعض الأيام بالطموح والنشاط وبهجة الحياة، ولِمَ تستبدُّ بك فى غيرها سنة من الفتور وضعف الهمة وانكسار النفس؟ ولِم صار عملك قليل الجدوى برغم ما تبذله فيه من جهد وهمة؟ وعساك إذا كنت فعلت، أن تكون قد أنحيت باللائمة على حالة الجوّ، وعسى أن تكون حالة الجوّ هى حقًّا سبب ما يعروك فى الحالين.

وقد أدرك العلماء منذ زمن طويل أن كلَّ قدم مكعبة من الهواء الذى نتنفَّسه يحوى دقائق مكهربة — أيونات أو أجزاء ذرات أو جزيئات مكهربة كهربة موجبة أو سالبة، محمولة على دقائق الغبار أو قطرات الماء أو حبات اللقاح. ولكنَّ العلماء لم يدركوا إلا منذ عهد قريب ما للجسيمات المكهربة من شأن خطير فى علوم الأحياء، لأنهم لم يتمكنوا من إخضاع حالة الجوّ الكهربائية فى معاملهم لقواعد الضبط العلمى إلا منذ عهد قريب. وفى وسعك أن تولد الأيونات، الجسيمات المكهربة، بإطلاق الشرر الكهربائىّ فى الهواء، أو الأشعة السينية أو ما ينبعث من عنصر الراديوم، بل تستطيع النار فى موقد مكشوف أن تولدها فى الهواء. فإذا تيسَّرت لك الوسائل الوافية، استطعت أن تستخرج من الهواء الجسيمات الموجبة الكهربائية، أو السالبة الكهربائية، فتغلِّب فى هواء غرفة موصدة ما تريده من الجسيمات الموجبة أو الجسيمات السالبة. وقد فعلوا ذلك فى معامل شركة جنرال إلكتريك.

(*) هارلان إستتسون عالم من علماء الفلك وطبيعة الأرض، متوفر على بحوث الكسوف والخسوف وبقع الشمس وأثر ذلك فى الراديو والمد والجزر والزلازل وما أشبه ذلك. مؤلف «الناس والنجوم» و«الأرض والراديو والنجوم» و«بقع الشمس وأثرها» و«الأرض فى نظام الكون» وغيرها.

وقد وجد الأستاذ دساور فى جامعة فرانكفورت الألمانية ، أنه إذا ما تعرض المرضى للجسيمات الموجبة الكهربائية انتابهم شعور الإعياء والدوار وأصابهم الصداع ، فإذا ما أزيلت الجسيمات الموجبة من الهواء وحلّت محلهاجسيمات سالبة زال عنهم الإعياء والصداع ، وأحسوا بالنشاط والنشوة .

وقد قاسوا درجة ضغط الدم فى طائفة من المرضى ، فأسفرت عن حقيقة عجيبة : أن الجسيمات الموجبة ترفع درجة الضغط وتسبب تعباً عامًّا فى البدن ، وأن الجسيمات السالبة تخفض درجة الضغط وتسبب شعوراً بالراحة والاسترخاء . وقد عولجت فئة من المصابين بارتفاع ضغط الدم ، باستنشاق الجسيمات السالبة فى بحر أسابيع ، فتحسنت حالة ٨٠ فى المئة منهم .

ولعلك سمعت المصابين بالروماتزم يقولون إنهم يتبينون التغير القريب فى حالة الجو قبل وقوعه . فهل لهذه القدرة سند علمىّ ؟ لقد وجد الأستاذ دساور أن المصابين بالروماتزم يشعرون بازدياد ألمهم ، وتورم مفاصلهم ، وارتفاع يسير فى حرارتهم ، حين يوضعون فى غرفة ويستنشقون هواءها الذى تكثر فيه الجسيمات المكهربة . ولا يخفى أن العاصفة يسبقها اقتراب منطقة من الهواء الذى انخفض ضغطه البارومترى ، وهذا الانخفاض يصحبه امتصاص الهواء المختزن بين دقائق التراب فى الأرض ، فإذا ما خف ضغط الهواء عنه ارتفع من مكانه . وقد وجدوا أن الهواء الصاعد من جوف الأرض يحتوى على أيونات موجبة ، فربما كانت هذه الأيونات الموجبة هى التى تؤثر فى المصابين بالروماتزم ، فيتبينون بها العاصفة التى تنذر بالهبوب .

وهل يكون التغير الطارىء على أيونات الهواء ، هو سبب ما يطرأ على بعض الحيوان من تغير قبل أن تتغير حالة الجو ؟ لسنا نعلم ، ولكن هذا ميدان فسيح رائع للباحثين ، إذ يلوح أن كلّ شىء يغير مقدار الأيونات ونوعها فى الهواء الذى نتنفسه ، خليق أن يفضى إلى إحداث وجوه من التغير الفسيولوجى فى أبدان الأحياء . وعسى أن نتبين بعد زمن قليل أنّ قياس مقدار الأيونات فى الهواء كل يوم ومعرفة نوعها ، أمر له من خطر الشأن ما لقياس درجة الحرارة وضغط البارومتر .

والهواء يحتوى أيونات كبيرة وأخرى صغيرة ، وقد تبينوا فى معهد كارنيجى فى مدينة وشنطن أن عدد الأيونات الكبيرة يزداد فى الهواء بعد غروب الشمس ، وأما عدد الأيونات الصغيرة فيزداد عند الفجر . ولعل هذا الفرق بين هواء الليل وهواء النهار أخطر أثراً مما بينهما من فرق فى مقدار الرطوبة ، وعسى أن نجد فى هذا الفرق

تعليلا لما تكون عليه حالة المصابين بعلل فى جهاز التنفس ، فى الليل أو فى النهار .

وقد روى منذ عهد قريب أن بعض المصابين بحمى الربيع تتحسن حالتهم إذا عاشوا فى بيوت مزودة بوسائل تكييف الهواء وضبطه ، ولكنهم يصابون بنكسة حين تعصف العاصفة ، فينتابهم السعال والعطاس وغيرها من الأعراض التى ألفوها فى إبان مرضهم . ولما كنا قد تبينا أن الأيونات تكثر فى الهواء حين تعصف العاصفة ، فلعلّنا نستطيع أن نقيم الدليل على أن بعض هذه الأيونات الكثيرة تنفذ إلى البيوت التى ضبط هواؤها ، فتحدث التهاباً فى أنوف المصابين بحمى الربيع وحلوقهم .

وإذا ما عمت وسائل تكييف الهواء وضبطه ، وألف الناس سكنى البيوت المزوّدة بها ، فسوف يرون أن عمل هذه الوسائل لن يقتصر على تصفية الهواء أو تجفيفه أو ترطيبه وضبط درجة حرارته وحسب ، بل سيشمل أيضاً ضبط عدد الأيونات الموجبة والسابقة التى توافق مزاجنا الخاص ، بعد أن يفحصه الطبيب ويقرر ما يصلح له .

ما أضمر أحدٌ شيئاً إلاّ ظهر فى فلتات لسانه وصفحات وجهه . [على بن أبى طالب]

كيف تعارفنا

وصفت زوجة الجنرال مارشال وزير الخارجية الأمريكية الليلة الأولى التى تعرفت بها إلى الجنرال ، فقالت فى كتابها الجديد : « معاً » .

التقينا فى حفلة عشاء عند أصحاب لى فى مدينة كولمبس سنة ١٩٢٨ ، فلما أشرفت السهرة على نهايتها طلب إلى الكولونيل مارشال أن يصحبنى فى عودتى إلى بيتى . ومدينة كولمبس صغيرة ، فبعد أن ظللنا نطوّف فى سيّارته مدة ساعة سألته : « أأنت حديث عهد بهذه المدينة ؟ »

فقال : « لا . أنا هنا منذ سنين » .

فقلت : « ويلوح أنك لم تتعلم فى سنتين شيئاً عن شوارع هذه المدينة ! »

فقال : « بل أعرفها أوثق معرفة ، ولولا معرفتى بها لعجزت عن أن أتجنّب البيت الذى تسكنينه ساعة كاملة » .

كلماتٌ يُهتدَى بها

لا تيأس ، فإذا غلبك اليأس ، فامض في عملك ، وأنت يائس [إدموند برك]

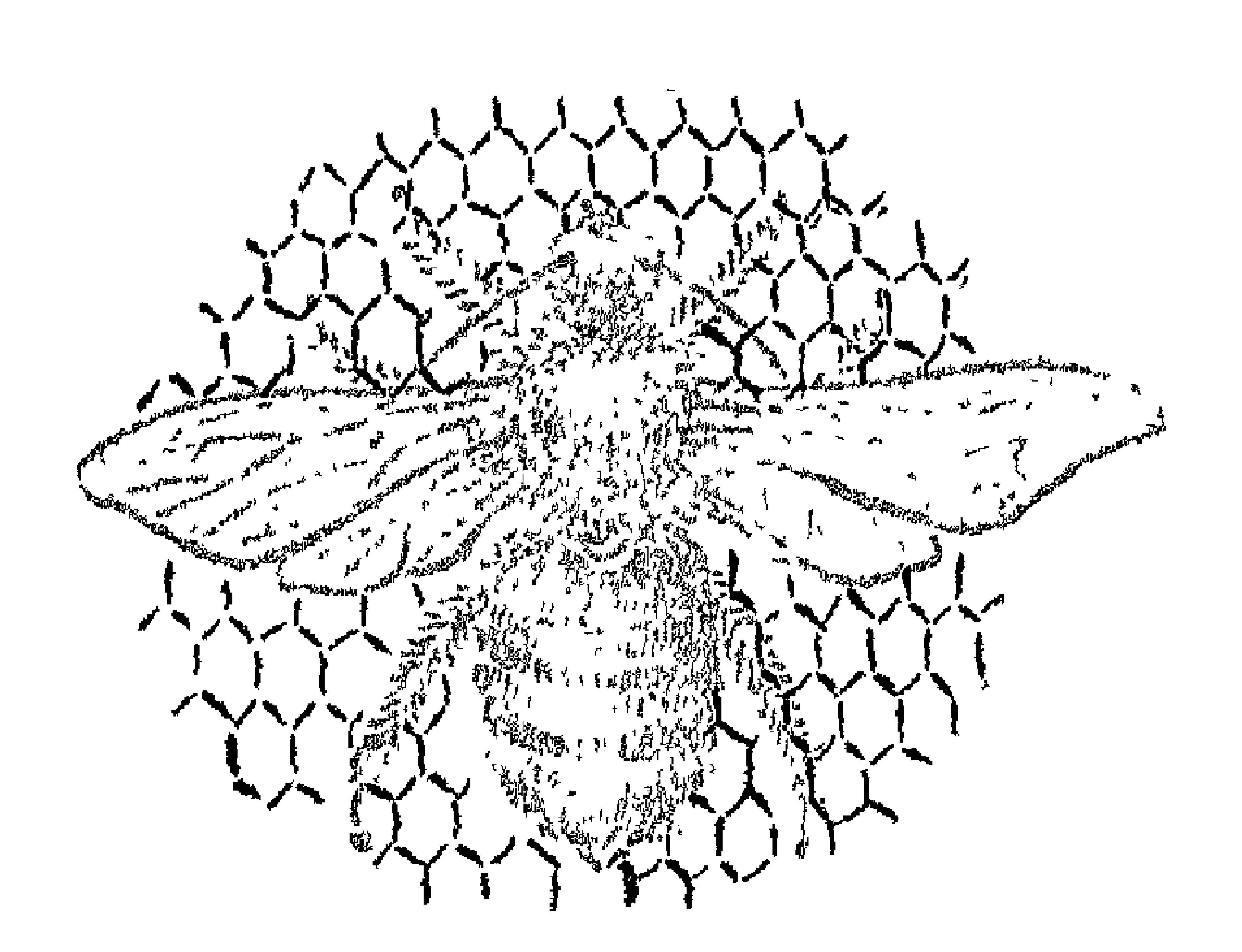
دوروثي كانفيلد فيشر

ما أكثر الكلمات المأثورة التي تحثّنا على الاعتصام بالشجاعة ، ولكنني لم أجد كلمة تبعث في نفسي القوّة على الاعتصام بها مثل هذه الكلمة ، فإن أكثر الحكماء والكتاب يصوّرون لنا الحياة كأنها معركة ، فيهيبون بنا أنْ « كافحوا وثابروا » ، ولكن قليل من الناس من يستطيعُ أن يقهر نوائب الدّهر في معركة حامية قصيرة الأجل .

« وإدمند برك كان أخبر منهم بالحياة ، فقد هاض قلبه موت ولدٍ له كان يحبه أشد الحبّ ، وامتلأت نفسه غمًّا وكرباً وهو يرى بنيان الحضارة ينهار من حواليه . ويومئذ عرف اليأس وجربه كما عرفه أكثرنا وجرّبه وهو يجثم على قلبه يوماً بعد يوم . فمن أجل ذلك قال : « امض في عملك » .

« ولقد أصاب شاكلة الحق . فنحن نعيش في عالم غلبت عليه الحماقات والشرور ، فليس يسعنا أن ننفض أيدينا من أمره ونستكين لغواشي اليأس . وربما كان في البلدة المجاورة لبلدتنا ، أو في البيت الملاصق لبيتنا ، إنسان لا نعرفه قد أخذ منه اليأس كلّ مأخذ ، ولكنه ظل يعمل ولا يني . وعسى أن يكون من أمثاله كثيرون لا يزالون يعملون جاهدين لكي يدكّوا دعائم أبنية الشرور . ومن يدرينا ، فلعلنا الساعة قد كدنا نقوّض هذه الدعائم وندكها ونحن نعمل جاهدين في سبيل ما نؤمن به . وعسى أن تشرق شمس الغد فإذا بنا قد أتينا على هذا البنيان من قواعده » .

حياة النحلة



مختصر كتاب

موريس مترلنك

إن قصة الخلية مزيج مدهش من الأسرار والعلم والمتعة . ومترلنك يرويها هنا بنظر نافذ وبراعة حتى صار كتابه آية خالدة .

حياة النحلة

مبارزة ملكية

نفض النحل الذى فى خليتنا فتور الشتاء عن نفسه ، وبدأت الملكة تضع فى الأيام الأولى من شهر فبراير ، فكل يوم يشهد مولد آلاف من النحل . وكلما تقدم الربيع ، ونشط اجتناء العسل ، استولى القلق على أهل هذه المدينة الغاصة . وستشعر الملكة قريباً بقوة قاهرة تكرهها على ترك هذه المدينة التى تولت فيها الملك . وهى ليست ملكة بالمعنى الذى يفهمه الناس من هذه الكلمة ، فإنها لاتصدر أوامر ، بل تخضع ـ كأهون رعاياها شأناً ـ لتلك القوة المحجوبة التى هى « روح الخلية » ، وهى وسيلة التناسل الوحيدة فى الخلية وأم المدينة كلها ، وكل مايتحرك داخل جدرانها من عمال وذكور ويرقات وأساريع ، ومن أميرات صغار سيعجل مولدهن القريب رحيلها هى — كل هؤلاء قد خرجوا من بين جنبيها .

والنحلة العاملة تعد الملكة مقدسة ، فأنقى العسل المصفى من أجلها ، يدخر لها وحدها ، ولها حرس يحف بها ويتعهدها نهاراً وليلا . وإذا اتفق أن وقع لها أهون حادث فإن الخبر ينتشر بسرعة من جماعة إلى جماعة ، فيقبل الجميع ويروحون ويجيئون وهم يندبون . وإذا انتزعتها من الخلية قبل الأوان ، فإن العمل فيها ينقطع ، فلا أحد يعنى بالصغار . ويكف المتارون عن زيارة الزهر ، ويتخلى الحراس عن مراكزهم عند المدخل ، ويزحف القحط شيئاً فشيئاً على المدينة ، وينقص السكان ، ثم لايلبث الحزن واليأس أن يبيداهم وإن كانت كل زهرة من أزاهير الصيف متفتحة أمامهم .

فإذا عادت الملكة إلى الصحة قبل أن يدرك اليأس النحل ، فإنه يتلقاها بترحيب عجيب مؤثر . فيحف بها فى لهفة ، ويقدم إليها العسل ، ويمضى بها فى صخب إلى بهو العرش ، ويعود النظام فوراً ، ويستأنف العمل ، وتتجاوب أصداء الخلية بترنيمة الغبطة الغريبة الرتيبة الإيقاع التى هى النشيد الملكى ، على مايبدو .

والنحل لايسمح بأكثر من ملكة واحدة ناضجة فى الخلية ، ولكن الناس لا يزالون يعبثون بما يعده النحل قوانين ثابتة للطبيعة ! وماذا يصنع النحل حين نجىء نحن ، بالقوة أو بالغش ، بملكة ثانية إلى المدينة ؟ لعل هذا فى الأحوال الطبيعية ، وبفضل الحراس على الباب ، لم يقع قط مذ جاء النحل إلى هذه

الدنيا ، ولكن هذا الحادث الضخم لا يذهب بألباب النحل ، فإنه يواجه الموقف باجتنابه. وإنه لسهل على النحل أن يشك الملكة الطارئة بما لا يحصى من إبره المسمومة ، فتموت على المكان . ومع أن الإبرة مشرعة للوخز دائماً ، ومع أن النحل لا يفتأ يطعن بها فى معاركه التى تدور بينه ، إلا أنه لا يشرعها أبداً فى وجه ملكة ! وكذلك الملكة ، فهى لا تشرع إبرتها فى وجه رجل أو حيوان أو نحلة عادية ، ولا تستل سلاحها الملكى أبداً — وهو مقوس على هيئة السيف — إلا حين تنازل نداً لها : ملكة مثلها .

ويبدو أنه ما من نحلة تجرؤ على اقتراف جريمة قتل ملكة ، غير أنهُ لا بد من قتل إحدى الملكتين . ولهذا يلجأ النحل إلى طريقة أخرى للإلواء بالملكة المتطفلة ، وذلك أنه يحيط بها إحاطة تامة وقد تشابكت أبدانه التى لا يأخذها حصر ، ويبقيها فى هذا السجن أربعا وعشرين ساعة إذا احتاج الأمر إلى ذلك حتى تموت اختناقاً أو جوعاً .

ولكن إذا حدث فى هذه اللحظة أن جنت الملكة الشرعية ، فإن جدران السجن الحية تنفرج على الفور ، وتنشىء دائرة حول العدوين ، وترقب المبارزة الغريبة التى ستدور بينهما . وإذا حاولت إحدى الملكتين أن تفر من المعركة ، سواء أكانت الملكة الشرعية أم الطارئة ، فإن النحل يقبض عليها فوراً ويضعها فى هذا السجن الحى حتى تبدى رغبة فى منازلة عدوها . على أنهُ ينبغى أن نقول إن التجارب العديدة تدل على أن النصر يكون دائماً — تقريباً — حليف الملكة الشرعية ، لأن النحل يبدى بعض التحيز فى طريقة سجنه للملكتين المتنافستين ، فأم النحل لا تكاد تجد شيئاً من الضيق فى محبسها ، أما الملكة الغريبة فإنها تخرج منه دائماً منهوكة مضعضعة مكلومة .

سرب النحل

تتهيأ خليتنا الجياشة للخروج جماعة ، فإن ستين ألفا أو سبعين ألفاً ، من ثمانين أو تسعين ألفاً ، وهم جملة السكان ، ستغادر المدينة فى الساعة المضروبة نزولاً على روح الخلية . والنحل لا يخرج لقلة فى الطعام ، كلا ، فلو أن الخلية فى قحط ، أو لو أنها نهبت أو ثارت بها عاصفة ، أو حل مصاب بالأسرة المالكة ، لما هجر النحل الخلية ، وإنما يخرج منها حين تبلغ الخلية ذروة الوفر والرفاهية .

وأجمل ما تكون الخلية ليلة هذا الخروج العظيم . ولنحاول أن نصوره لأنفسنا ، لا كما يبدو للنحل ، فإننا لا ندرى على أية صورة سحرية قاهرة تنعكس الأشياء على ٦٠٠٠ ،

أو ٧٠٠ صفحة من صفحات عيونه الجانبية. ولكن كما يمكن أن يبدو لنا لو كنا فى مثل جرمها. فمن رأس قبة ضخمة، تتدلى جدران من الشمع منشئات إنشاءهندسياً لا نظير له فى دقته وجرأته وعظمته بين المنشئات الإنسانية. وكل جدار من هذه الجدران التى لا تزال مادتها نقية عطرة، فيه آلاف من الكهوف خزنت فيها مؤن تكفى الجميع عدة أسابيع. وهنا، فى كهوف شفافة، توجد العناصر المخصبة المستمدة من الأزهار، خميرة الحب المشتارة من كل زهرة من زهر الربيع ـ وهى ترسل ومضات ما بين صفراء وحمراء وسوداء بنفسجية. وعلى كثب منها، فى عشرين ألف خزان، أودع عسل إبريل وعليه أختام لا تفض إلا فى أيام الضنك الشديد وهو أصفى أنواع العسل وأعطرها. وتحت ذلك عسل مايو فى سبيل النضج، فى أوعية كبيرة مفتوحة، وإلى جانبها فرق من الحراس تمدها بتيار مستمر من الهواء. وفى الوسط ـ وهو أدفأ مكان فى الخلية ـ مسكن المستقبل، المقر الملكى الذى فيه كهوف الفقس. وأخيراً، فى قدس الأقداس، توجد القصور الثلاثة أو الأربعة أو الستة أو الاثنا عشر، وهى رحيبة إذا قيست إلى غيرها، وفيها تقيم الأميرات المراهقات فى انتظار ساعتها، وهى ملفوفة فيما يشبه الشملة، وتطعم فى الظلام.

ولكن ساعة خروج السرب قد أزفت، ففى الخلية جو غير مألوف، قلما يخطىء النحال إدراك معناه. وعلى سطح الممرات الذهبية كلها يعد العمال العدة للرحلة. وتبدأ كل نحلة، قبل أى شىء آخر، بحشو بدنها بمؤونة من العسل تكفيها خمسة أيام أو ستة أيام. ومن هذا العسل الذى يحمله النحل فى جوفه يستقطر فيما بعد، بطريقة كيميائية لا تزال غامضة، الشمع اللازم لإنشاء المبانى فوراً. وهو يتزود أيضاً بنوع من الصمغ تختم به وتسد كل الشقوق فى المسكن الجديد، وتقوّى به الجوانب الضعيفة، وتطلى به الجدران.

فالنحل يدرك سلفاً ما سيحدث له فى هذا اليوم الذى هو أخطر أيام حياته، فقد ينزل المطر غداً أو بعد غد، أو تثور الرياح. والجوع والموت خليقان أن يحلاّ به لولا بعد نظره. ولن يخف أحد إلى نجدته، ولا هو ينشد النجدة من أحد، فإن كل مدينة لا تعرف الأخريات، والمعونة لا تبذل أبداً. وحتى لو جمع النحال النحل الخارج ووضعه إلى جانب الخلية التى هجرها فى هذه اللحظة، لبدا على النحل كأنه نسى ما كان يجد فيه من الهناءة والوفر والسلام. وكل نحلة تؤثر أن تموت جوعاً وبرداً، على أن ترجع إلى الخلية التى يتضوع منها أريج كدّها السابق، فينتهى إليها وهى فى ساعة محنتها.

وصحيح أنه فى هذا اليوم العظيم يخرج

بعدد معين من العمال إلى الحقول فى هدوء ، كأنّ شيئاً لم يحدث ، ثم يعـود وينظف الخلية ويتعهد كهوف التفريخ، ويظل بمنأى عن النشوة العامة . هذه النحلات هى التى لا ترافق الملكة فى خروجها، بل تبقى لحراسة الخلية القديمة ، وتغذى ١٠,٠٠٠ بيضة ، و ١٨,٠٠٠ يرقة ، و ٣٦,٠٠٠ من صغار النحل، وسبعا أو ثمانى من الأميرات ستصبح اليوم مهجورات . أما لماذا أفردت لهذا الواجب الصارم ، وبأى قانون ، وبأمر من فذلك ماليس فى وسعنا أن نتكهن به . وهى تبقى لأداء هذه المهمة فى ولاء وسكون ودون أن تنحرف عنها . ومع ذلك فإن الإغراء لابد أن يكون قويا ، فإنه عيد العسل، ويوم الفرحة الوحيد والنسيان والطيش . ويبدو كذلك أنه اليوم الوحيد الذى يأكل فيـه النحل حتى يهنأ ، وينعم على هواه بأطايب الكنز الذى جمعه هو. فقد طرح النحل الخارج وراء ظهره كل تعب وكل همّ، ولم يعد عنيفاً معتدياً ، مرتاباً ، جامحاً ، غاضباً. وفى وسع الإنسان ــ ذلك السيد المجهول الذى لا يعترف النحل بسلطانه والذى لا يستطيع أن يخضع النحل إلا بالإذعان لقانونه ــ فى وسعه فى هذا اليوم أن يشقّ الستار الوضاء الذى ينشئه النحل وهو يطير هزجاً فى دوائر، وفى وسعه أن يجمعه فى يده كما يضع فيها عنقوداً من العنب . فإن النحل فى هذا اليوم يصبر على كل شىء ولا يؤذى أحداً ، مادام لا يحال بينه وبين ملكته التى تحمل مستقبله فى جوفها.

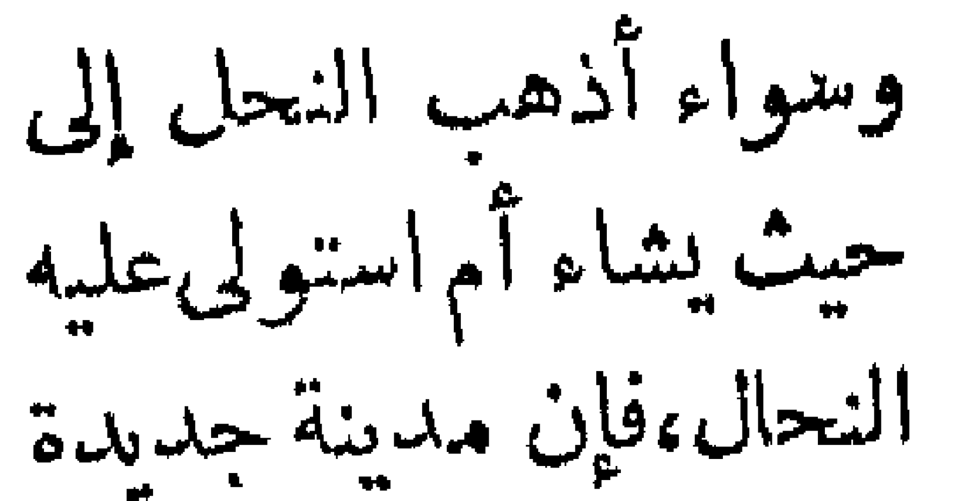
وتصدر إشارة الرحيل فجأة فى الخليـة الحاشدة، فكأن حافزاً واحداً مباغتاً قد فتح كل باب فى الخلية ، فينطلق الحشد الأسود خارجا اثنتين اثنتين، أو ثلاثاً ثلاثاً ، أو أربعاً أربعاً ، بحسب عدد المخارج . ويظل الحشد لحظات يخفق فوق الخليـة ، ثم ينطلق فى الفضاء كالبساط السحرى الذى تحدثنا عنه الأساطير « طاعة لأمر سيده » ويمضى فى طريقه المستقيم إلى الشجرة التى حطت عليها الملكة، وحولها يحط كل فوج هزج، ويطوى أجنحته الوضيئة .

ثم يسود الصمت مرة أخرى ، وتعود هذه الضجة العظيمة ، وهى ليست أكثر من جماعة كبيرة من النحل الهادىء تنتظر عودة الروّاد الذين ذهبوا يبحثون عن مكان يصلح أن يكون مثوىً .

وهـذه هى المرحلة الأولى لما يسمى «الخروج الأول» الذى تكون الملكة القديمة على رأسه دائماً . والمعهود أن يستقر النحل على الشجيرة أو الشجرة التى هى أقرب إلى الخلية ، لأن الملكة كانت تعيش فى ظلام دائم مذ طارت لزواجها أو مذ خرجت فى العام الماضى وقد كادت تنسى كيف تستعمل جناحيها .

وينتظر النحال حتى يتم الحشد ويلتئم عقده، ثم يغطي رأسه بقبعة كبيرة من الخوص (لأن أشد النحل وداعة يخيل إليه أنه وقع في شرك إذا هو تعثر في الشعر، فيستخدم إبرته) ثم يشرع يلم الحشد بأن يهز الغصن الذي عليه النحل، فيسقط ويتلقاه في خلية مقلوبة، ويقع النحل في هذه الخلية زرافات كالثمر الذي جاوز حد النضج. وإذا كان الغصن متيناً لايسهل هزه، استعمل النحال ما يشبه الملعقة يجمع بها النحل ويفرغه في حيث يشاء، كأنما هو يفرغ بها قمحاً في ماعون. ولا داعي لأن يخشى مايهزج حوله من النحل، وما يقف على وجهه ويديه. وقد ارتفع في الجو هزجها من الطرب والنشوة، وهي أصوات لها تختلف عن أصوات الغضب. أما لماذا يشعر النحل بالسعادة فذلك ما لا نعرفه، إلا أن يكون سر ذلك أنه يطيع قانونه.

ولكن إذا لم يجمع النحال النحل، فإن تاريخه لاينتهي هنا. ذلك أنه يظل مستقراً على الغصن حتى يعود العمال منه وهم يقومون منه مقام الكشافة والرواد، وقد تفرقوا عند الخروج في كل النواحي للبحث عن مثوى، ثم تعود هذه النحلات واحدة واحدة، ويخيل إليك أنها تقدم تقريرها عن مهمتها. فهل يكون هذا المثوى الجديد في جذع شجرة أجوف، أو في ثغرة في جدار متهدم، أو في فراغ كهف؟ والأغلب أن يتريث الحشد ويتدبر إلى صباح اليوم التالي، ثم يختار. وفي لحظة معينة يتحرك الجمع، ويتفرق، ويمضي، ويندفع في طيرانه على طريق مستقيم مجتازاً الحواجز وحقول القمح والأنهار والقرى إلى غايته التي اعتمدها، وهي لاتكون إلا نائية، ويندر أن يستطيع الإنسان تتبع هذه المرحلة الثانية.



تأسيس المدينة

وسواء أذهب النحل إلى حيث يشاء أم استولى عليه النحال، فإن مدينة جديدة تؤسس على الحالين. وقد خلف النحل في الخلية القديمة ذخيرة عظيمة من اللقاح المستمد من الزهر، وأكثر من ١٢٠ رطلاً من العسل، وهو مقدار يزيد نحو ٦٠٠,٠٠٠ ضعف على وزن النحلة المفردة. وهذا يعادل، إذا اعتبرنا الإنسان بدلا من النحلة، ٤٢,٠٠٠ طن من المؤن، أو أسطولا ضخما من السفن الكبيرة موقراً بزاد هو أثمن من أي زاد نعرفه. فإن العسل للنحلة ضرب من الحياة السائلة، وغذاء مصفًّى ليس فيه نفاية.

وهنا في المثوى الجديد لا يوجد شيء، لاقطرة من عسل، ولا ذرة من الشمع،

ولاعلامة هادية، ولاشيء يستعان به . على أن النحل لايكاد ينزل فى المثوى الجديد حتى نشهد تقسيماً لهذا الحشد المختلط هو أوضح مايكون وأبعده عن أن يكون مرتقباً . فالجمهور الأعظم منه يؤلف من نفسه وهو متلاصق متماسك ستاراً مثلثاً كثيفاً أشبه بمخروط مقلوب رأسه عند قبة المثوى . ويظل هذا المخروط المقلوب العجيب ساعات طويلة ينتظر فى صمت يكاد يكون مروّعا، أن يظهر الشمع بأعجوبة . ولسنا نعلم كيف يحدث ، وكل مايسعنا أن نقوله هو أنه يظل متدلياً هكذا مسافة من الزمن تتراوح بين ١٨ و ٢٤ ساعة فى درجة حرارة تبلغ من ارتفاعها أن تغرى المرء بالاعتقاد أن فى جوف الخلية ناراً موقدة . ثم تظهر طبقات بيض شفافة عند فتحة الجيوب الأربعة الصغيرة التى تحت معدة كل نحلة .

وفى أثناء ذلك تكون بقية النحل ـ التى بقيت تحت ـ غير عابئة بالمخروط ، فتتولى كنس الأرض ، وإزالة القش وذرات الرمل والورق الذاوى ، فإن النحل نظيف إلى حد الشطط فى ذلك . وفى أشد أيام الشتاء برداً ، حين يعوق الصقيع ما يسميه علماء النحالة « الخروج فى سبيل النظافة » ، يؤثر النحل أن يموت بالآلاف من داء يصيب أمعاءه ، على أن يلوث خليته .

وبعد أن يتم التنظيف ، يشرع النحل يمسح المثوى ويفحصه بدقة ، فكل شق يفحص ، ويسد بمادة كالشمع ، ثم يبدأ طلاء الجدران من أعلى إلى أسفل ، ويعين الحراس للباب ، ثم يخرج عدد من عمال النحل إلى الحقول ويعود باللقاح .

ولنحاول أن نكوّن فكرة عن إحكام النظر ، ودقة الحساب والجهد وسائر ما يتطلبه تهيئة هذا المثوى الجديد من هذه الأمة الصغيرة . ففى هذا المثوى الذى يعدّ تراعى قوانين التهوية ، والمتانة ، وخصائص الشمع ، وطبيعة الطعام الذى يخزن ،

والخلايا التى يقدمها الإنسان للنحل على ضروب شتى لا آخر لها ، فمن تجويف فى شجرة ، إلى وعاء من الطين لا يزال يستعمل فى آسية وإفريقية ، إلى بناء من القش على هيئة الناقوس ، أو خلية مربعة كالتى يتخذها النحالة المتخصصون ، ذات طبقات ثلاث أو أربع من أمشاط بعضها فوق بعض تكفى لعسل ثلاثمئة رحلة ، والأمشاط فى إطار ، فيسهل إخراجها واستخلاص عسلها .

ومهما يكن المثوى الذى يوضع فيه النحل من سوء الحال ، فإن عليه أن يؤسسه ، وهو مطالب بأن يعين مواضع مخازن الشتاء التى ينبغى أن لا تجاوز منطقة الحرارة المنبعثة من النحل الذى يكاد يتجمد ، وعليه أن يختار مواقع لكهوف التفريخ بدقة ، وإلا

حلت به نكبة إذا جاءت أقرب أو أبعد مما ينبغي من الباب .

ومع ذلك لم يحدث قط أن أعيَى النحل علاج مثواه مهما بلغ من غرابته ، إلا إذا كان المثوى الجديد لايصلح على الإطلاق ، أو إذا كانت تشيع فيه الروائح الكريهة . وفى هذه الحال يهجره النحل وينشد مثوى أصلح على مسافة قريبة . كذلك لايمكن أن يقال عن النحل إنه يمكن إغراؤه بالقيام بعمل سخيف أو غيرمنطقى ، سواء وضعت النحل فى مثوى على هيئة الكرة أو المكعب أو الهرم ، أو فى سلة بيضية أو متعددة الأضلاع ، فإن هذا الحشدالعجيب من العقول الصغيرة المستقلة يستخدم المثوى السخيف الذى أعددته له على نحو منطقى باهر. وفضلا عن ذلك — وهذا يحدث كثيراً فى تربية النحل بالطرق الحديثة — إذا كانت جدران الخلية التى جمعت فيها النحل مغطاة بالشمع ، فإنه لايضيع الوقت فى إنتاج شمع لاحاجة به إليه ، بل يشرع فى إتمام العمل الذى بدأ به النحال من قبل ، ويخلق فى أسبوع مدينة حسنة الهندسة مريحة ، ولولا ذلك لاحتاج إلى شهرين أو ثلاثة شهور لإنشائها .

ومتى تكونت طبقات الشمع رأينا إحدى النحلات ، كأنما ألهمت ذلك فجأة ، تنفصل من البقية وتصعد إلى أعلى موضع فى القبة ، ثم تنزع بفمها وأرجلها إحدى طبقات الشمع المتدلية من بطنها ، وتدحوها ، وتنشرها وتثنيها بمثل مهارة النجار الذى يعالج لوحا طريا ، حتى إذا صارت للمادة الشمع الأبعاد اللازمة ، ألصقتها بأعلى نقطة فى القبة . وبهذا تضع حجر الزاوية فى المدينة الجديدة ، فإننا هنا أمام مدينة مقلوبة تتدلى من السماء .

ثم تضيف إلى حجر الزاوية قطعاً أخرى من الشمع ، ثم تذهب فجأة كما جاءت ، وتحل أخرى محلها ، وتمضى فى العمل ، وتختفى بعد ذلك .

وعندنا الآن كتلة صغيرة من الشمع ليس لها إلى الآن صورة ما ، متدلية من القبة . ومتى بلغ سمكها حد الكفاية ، رأينا نحلة أخرى تخرج من الجماعة ، وهى مختلفة فى شكلها اختلافاً كبيراً عن النحلة التى سبقتها فوضعت الأساس . وتدل هيئتها على رسوخ الإيمان ، ويروح الجمع كله يتتبع حركاتها باهتمام حتى يكاد يخيل إلينا أن مهندساً مشهوراً قد دعى ليعين فى الشمع موقع الغرفة الأولى التى ينبغى أن تتعلق بها — بالحساب الرياضى — كل أخرى . وهذه النحلة من طبقة العمال الثالين أو النحاتين ، وهى لاتنتج شمعاً ، ويحل محلها على الفور عامل نافد الصبر يمضى فى المهمة التى سوف يتمها ثالث . وهكذا تطيه

كل منها القانون العام للعمل المتقطع المتتابع .

وينشىء النحل أربعة أنواع من الغرف . فهناك أولا الغرف الملكية وهى على هيئة ثمرة البلوط ، ثم الغرف الكبيرة المجعولة لتربية الذكور وخزن الطعام ، والغرف الصغيرة وهى مهود للعمال ومخازن عادية ، وتشغل فى العادة أربعة أخماس السطح المبنى فى الخلية . وأخيراً يقيم النحل ما يمكن أن يسمى غرف الانتقال ، للوصل بين الغرف الكبيرة والصغيرة . وهذه بطبيعة الحال غير منتظمة الشكل ، ولكن أبعاد النوعين الثانى والثالث يبلغ من دقتها وضبط مسافاتها أنه حين وضع نظام القياس المترى وأريد الاهتداء إلى قياس طبيعى مضبوط مقرر ، اقترح بعضهم اختيار غرف النحل لهذا الغرض*.

وكل غرفة عبارة عن أنبوبة مسدسة الأضلاع على قاعدة هرمية . ويقول الدكتور ريد : « لا يوجد سوى ثلاثة أشكال ممكنة للغرف تجعلها كلها متساوية ومتشاكلة ، دون أن يكون هناك بينها مسافات لافائدة منها . وهذه هى المثلث المتساوى الاضلاع ، والمربع ، والمسدس المنتظم . والمسدس أصلحها من حيث المتانة والراحة .

« وقد تبين أنه بجعل أرض الغرفة مؤلفة من ثلاثة سطوح تلتقى فى نقطة ، فيتيسر له أن يقتصد فى المادة والجهد مالا يستهان به ، والنحل — كأنه عالم بمبادىء هندسة الفراغ — يجرى عليها بدقة . وتعد الزاوية التى تلتقى عندها السطوح للحصول على أعظم اقتصاد ، من مسائل الرياضة العليا . وقد عين ماك لورين عضو الجمعية الملكية بلندن ، هذه الزاوية المطلوبة بدقة ، ووجد أنها هى نفس الزاوية التى تلتقى عندها فعلا السطوح الثلاثة فى أرض غرفة مشط النحل » .

ومن المحقق أن النحل لا يشتغل بالحسابات العويصة ، ولكنه من ناحية أخرى ، يبدو أن من المستحيل أن تكون هذه النتائج المذهلة راجعة إلى المصادفة وحدها ، ولاسيما أن الزنابير التى تبنى أيضاً أمشاطاً ذات غرف مسدسة ، قد حلت هذه المسألة حلاً لا يدل على ذكاء ، فإن أمشاطها مبنية جزافاً ، حتى أن ثلث المسافة تقريباً يضيع هباء .

ونحن إذ نعجب بهذه البراعة الهندسية فى البناء ، يجب أن نقف أيضاً لنعجب بالبراعة فى إنشاء الممرات والمماشى من خلل الأمشاط أوحولها . وهى من حذفها فى شقها تهيىء طرقاً مختصرة فى كل اتجاه ، وتحول دون الزحام ، وتكفل التهوية الحرة . وكذلك يجب أن نعرف التجارب العديدة التى أجريت لحمل النحل على تكييف بنائه

* تبين أخيراً أن الغرف وإن كانت عجيبة الانتظام ، تتفاوت بعض الشىء فى السعة بحسب الخلايا .

وترميمه ، ولكن يحسن بنا أن ندع هذه الأعاجيب وأن نعود إلى رواية الخلية .

الحياة فى الخلية

ولا يكاد الصف الأول من المثاوى يتم حتى تحتله الملكة وحاشيتها من الحرس والخدم . وقد يحسن أن نذكر هنا حقيقة غريبة، هى أن العمال من النحل تتقى دائماً أن تدير ظهرها إلى الملكة ، فلا تكاد تقترب من جماعة العمال حتى تراها ترتب صفوفها بحيث تواجه الملكة وترجع القهقرى أمامها.

ومتى وصلت الملكة إلى غرفة تعدّها صالحة ، فإنها تضع فيها بيضة وتمضى إلى غرفة أخرى . ومنذ هذه اللحظة إلى أن ينزل أول صقيع الخريف، لا تكف الملكة عن البيض، وهى تبيض أثناء أكلها ، وحتى فى نومها إذا نامت . ولا تزال تتعقب العمال خطوة خطوة وهم ماضون بهمة على الرغم من كلالهم فى إقامة المهاد التى يتطلبها خصبها . وأخيراً تتمّ هذه الأم التى لا تكلّ ، طوافها بمحيط الخلية كلها ، فتعود إلى مثاويها الأولى التى تكون فى هذا الوقت خالية ، لأن الجيل الأول يكون قد خرج إلى الحياة ، ولا يلبث أن يطير إلى النوّار القريب ، وتغصّ به أشعة الشمس ، ويزيد به إشراق الزمان .

ويخرج من البيض الذى وضعته الملكة فى المثاوى الكبيرة ذكور النحل . ويبدو من هذا أن الملكة لابد أن تكون قادرة على تعيين جنس البيضة سلفاً، واختيار المثوى لها. فكيف يتسنى لها أن تفصل الذكور من الإناث من بين هذا البيض الذى لا يأخذه إحصاء !

هنا يواجهنا مرة أخرى لغز من ألغاز الخلية، ولا سبيل إلى سبر غوره والكشف عن سره ، ونحن نعلم أنه حتى الملكة العذراء ليست عاقراً ، ولكن البيض الذى تضعه لا يخرج إلا ذكوراً ، وهى لا تستطيع أن تنتج عمالا أو ذكوراً بإرادتها إلا بعد تلقيحها فى طيران الزفاف الخطر ، وهذا الطيران يكسبها إلى آخر العمر نطفة التلقيح التى تنتزعها من عاشقها المسكين . وهذه النطف تبقى حية فى غدة خاصة تحت المبيض ، وتسيل فتلقح البيض فى مروره .

الملكات الصغيرة

والآن فلنغلق خليتنا حيث نرى الحياة قد استأنفت سيرها الدارج ، ولنعد إلى المدينة الأمّ لنرى ما يجرى فيها بعد أن هجرها الحشد .

بعد أن تسكن الضجة ، تصبح المدينة المسكينة التى برحها ثلثا أهلها ضعيفة كالبدن

الذى ألح عليه النزف ، على أن بضعة آلاف من النحل قد بقيت ، وهى تزيل كل أثر للحادث ، وتعنى بخزن المؤن التى نجت من النهب ، وتخرج إلى الأزهار مرة أخرى ، وتقوم بحراسة دقيقة على « رهائن » المستقبل .

وعلى الرغم من أن اللحظة تبدو حالكة ، فإن الأمل كبير فى حيثما دارت العين، حتى ليخيل إلينا أننا فى قصر من قصور الأساطير القديمة ذات الجدران المكونة من آلاف الفوارير التى فيها أرواح الرجال الذين سيولدون . فإنا هنا فى مثوى الحياة التى تسبق الحياة ، وفى كل ناحية يرقد آلاف من صغار النحل فى مهاد مختومة، وهى بيضاء كاللبن، وأيديها مطوية ورؤوسها مثنية فى انتظار ساعة اليقظة .

وحول منطقة التفريخ كلها، يرقص العمال من النحل وتخفق أجنحتها . ويبدو أن النحل بهذه الحركة يولد الحرارة اللازمة ، وبعد بضعة أيام أخرى، تبدأ تنشق تلك الأوعية — والخلية الكبيرة تحتوى ما بين ٦٠,٠٠٠ و ٨٠,٠٠٠ منها — فيخرج صغار النحل ، فتقبل القابلات من النحل مسرعات، وتساعد الصغار على الخروج من سجنها ، وتنظفها وتمسحها وتذيقها بطرف لسانها أول قطرة من عسل الحياة الجديدة . والصغار تعرف على الفور كل ما ينبغى أن يُعرف ، وتمضى من فورها إلى المثاوى المغلقة، وتروح تضرب بأجنحتها وترقص رقصاً موقعاً لتعجّل هى أيضاً بخروج أخواتها الدفينات .

على أنها تعفى فى بداية الأمر من أشق الجهود ، فلا تخرج إلى الأزهار مع أخواتها التى ولدت معها فى يوم واحد إلا بعد أسبوعين ، وفى أول خروج لها تتخطى العتبة وتقف ، وتبرحها ثم ترجع عشرين مرة ، وتخفق فى الجو ورؤوسها متجهة إلى الخلية ، وعيونها تنظر وتتأمل وتدخر صور الأشجار والنافورة ، والبوابة ، والجدران حتى ينطبع على ذاكرتها طريقها الجوى الذى ستنساب راجعة منه، كأنما صار طريقاً معلماً بخطين من الحديد.

ولما كانت الملكة القديمة قد رحلت مع الحشد ، فإن هذه الخلية لا تزال مفتقرة إلى ملكة ، فتظهر فى جوف أحد الأمشاط سبع منشئات غريبة أو ثمان ، كل منها بذرة أو حبة تملأ مكان ثلاثة أو أربعة من مثاوى العمال . والمعهود أن تكون كلها مجتمعة حول نقطة واحدة ، ويتولى حرس كبير شديد العناية ، السهر على هذه المنطقة التى يبدو أنها ذات شأن كبير ، إذ من هنا تخرج الملكات . وفى كل واحدة من هذه الحبات تكون قد وضعت بيضة قبل خروج

الحشد — بيضة مماثلة من كل وجه للبيض الذى يخرج منه العمال .

ومن هذه البيضة، بعد ثلاثة أيام ، يخرج فرخ صغير يتلقى غذاءً وفيراً خاصاً يسمى « الهلام الملكى » . فينمو الفرخ بفضل هذا الغذاء نمواً شاذاً ، ويطرأ عليه تغيير فى أفكاره وفى بدنه ، يبلغ من جسامته أن النحلة التى سيلدها خليقة أن تكون من نوع مختلف من الحشرات .

وعمر هذه النحلة يكون أربع سنوات أو خمس بدلا من الأسابيع الستة او السبعة التى هى عمر النحلة العاملة . ويكون مخها أصغر ، ولكن مبايضها ضخمة ، ويكون لها عضو خاص ، هو وعاء التلقيح ، فيكاد يجعلها جامعة بين الذكورة والأنوثة ، ولا يكون لها من الخصائص ما هو متعلق بحياة الكد ، فلا يكون لها زَغَبٌ على قوائمها، ولا جيوب تدخر فيها الشمع ، ولا سلال تجمع فيها اللقاح ، وتموت دون أن تذوق زهرة واحدة . وإنه لعجيب أن نرى أشياء كثيرة من أعضاء ، وآراء ، ورغبات ، وعادات، وحياة كاملة — لاتتوقف على جرثومة ، كما هو الشأن فى النبات والإنسان والحيوان ، بل على مادة غريبة لاحركة فيها ولا حياة — هى طعام النحل المسمى « الهلام الملكى » .

وقد مضى نحو أسبوع على رحيل الملكة القديمة . وصغار النحل الملكى الراقدة فى الحبات ليست كلها فى سن واحدة ، فإن من مصلحة النحل أن تكون المواليد فى فترات منتظمة ، وقد ظل عمال النحل ساعات يرققون جدران أنضج المثاوى ، والملكة الصغيرة من الداخل تقرض الغطاء المستدير لسجنها . وأخيراً تخرج ، ولا تكاد تفعل حتى يستولى عليها نشاط عجيب ، وتحس أنها ليست وحدها ، وأن عليها أن تفتح مملكتها ، وأن على مقربة منها أدعياءَ مختبئين فتروح تمشى على جدران الشمع بحثاً عن منافساتها ، وهنا تتدخل روح الخلية بأحكامها التى نجهل سرها .

وقد تسمح الخلية للملكة الجديدة بأن تحطم أخواتها وأعداءها قبل التفريخ، أو قد تؤثر الخلية أن تتريث حتى تؤدى المراسم الخطرة المعروفة باسم « طيران الزفاف » الذى يتوقف عليه مستقبل هذه الأمة . فإذا أذنت الخلية فى القضاء على المنافسات — وهو ما يحدث كثيراً — فإن الملكة تسرع إلى كل مهد كبير، فيفسح الحرس لها الطريق ، وتدفعها غيرتها المتلهبة فتلقى بنفسها على أول مهد يصادفها ، وتنزع عنه الشمع بأسنانها ومخالبها ، وتمزق الغلاف الرقيق الذى يغطى المهد ، وتجرد الأميرة الراقدة من كل ستر ، وتلسعها بإبرتها

حتى تميتها ، وتكرر هذا فى مهد بعد مهد .

وتكون النحلات المحيطة بها واقفة فى سكون تشهد هذه الثورة ولا تعمل شيئاً ، حتى يدرك الملكة الإعياء فلا تعود تقوى على مطاوعة عاطفتها ، وحينئذ يتولى النحل إتمام المجزرة .

وهذه هى الساعة الرهيبة فى الخلية ، والمناسبة الوحيدة — إذا استثنينا ماله مسوّغ من قتل الذكور العاطلين — التى يسمح فيها للعمال بالشقاق والقتل فى الخلية .

ويحدث أحياناً أن تخرج ملكتان فى وقت واحد ، ولكن هذا نادر لأن النحل يحرص حرصاً شديداً على الحيلولة دون ذلك — فإذا حدث هذا فإن مبارزة وبيلة تبدأ فى اللحظة التى تخرجان فيها من مهديهما. ولهذه المبارزة طابع عجيب، فإنه إذا صارت الملكتان أثناء المحاورة فى موقف قد يجعل الطعن قاتلا للاثنتين ، فإن الملكتين المتحاربتين يستولى عليهما الجزع ، فتتحاجزان وتفرّان لتلتقيا وتتنازلا مرة أخرى . وتنفصلان ثانية إذا رأتا أن الكارثة المزدوجة تهدد مستقبل أمتهما، إلى أن توفق إحداهما أخيراً إلى مباغتة الأخرى واهتبال غِرّة منها وقتلها دون أن تتعرض هى للخطر. ذلك أن قانون هذا الشعب لا يسمح إلا بضحية واحدة !

وبعد أن تحطم المهود ، ويقتل كل منافس ، يتلقى الشعب ملكته الجديدة بالقبول ، ولكنها لا تتولى الحكم حقاً ، ولا تعامل من شعبها كما كانت أمها تعامل إلا بعد طيران الزفاف ، أما قبل التلقيح فإن النحل يستخف بها . فلكى تكون فى مثل مركز أمها ينبغى لها أن تلتقى بالذكر فى خلال عشرين يوماً من حياتها ، فإذا تأخر هذا لسبب من الأسباب ، فإن الملكة يقضى عليها بأن تظل عذراء . وقد رأينا أن هذا ليس معناه العقم. وهنا نواجه السر — أو الاحتياط — الطبيعى العظيم ، أى الإنتاج بغير تلقيح ، وهو ما يشاهد فى عدد من الحشرات. والملكة العذراء تستطيع أن تضع ، ولكن البيض الذى تضعه ، كبيراً كان أو صغيراً ، لا يخرج منه إلا ذكور . ولما كان الذكور لا يعملون أبداً ، ويعيشون عالة على الإناث ، ولا يخرجون للتزود إلا لأنفسهم فقط ، وهم على العموم عاجزون عن تموين أنفسهم ، فإن النتيجة تكون بعد بضعة أسابيع أن يبيد آخر عامل مرهق ، وأن يقضى على الخلية كلها .

طيران الزفاف

اتخذت الطبيعة فى تلقيح النحلة تدابير غريبة لاجتماع الذكور والإناث من أصلين مختلفين. وإن حول الملكة العذراء ومعها فى الخلية ، مئات من الذكور الأقوياء فى نشوة

دائمة بين العسل. والسبب الوحيد فى وجودهم هو الوصال مرة واحدة . ومع أن الاحتكاك الدائم بين رغبتين يؤدى فى كل مكان آخر بلا استثناء إلى التغلب على كل عقبة ، إلا أن هذا الوصال لايكون أبداً فى الخلية . وفى كل يوم ، من الظهر إلى الثالثة مساء ، حين تكون الشمس مشرقة ، يخرج هذا الجمع المجنح ينشد العروس وهى أعرق فى الملكية ، وأعسر منالا من أميرات الأساطير اللواتى لا سبيل إليهن . ذلك أن عشرين أو ثلاثين قبيلة من ذكور النحل تقبل مسرعة من كل الخلايا المجاورة ، فحاشية الملكة فيها أكثر من عشرة آلاف خاطب ، ومن هذه الآلاف العشرة لا يقع الاختيار إلا على واحد فقط !

وقل من استباح سر زواج النحلة الملكة الذى يتم فى أجواز السماء الجميلة الوضاءة اللانهائية .

ومهما يبلغ من شوق العروس فإنها هى التى تختار اليوم والساعة ، وتتلكأ فى ظل المدخل حتى يطلع صباح رائع يفتح لها أبواب السماء التى ستزف فى قبتها اللازوردية العظيمة .

وتبدأ طيرانها راجعة مرتين وثلاثاً حتى يرتسم فى ذهنها موقع المملكة التى لم ترها قط من الخارج ، ومنظرها . ثم تنطلق كالسهم إلى قبة السماء الزرقاء ، وتحلق إلى ارتفاع لايكاد يرتقى إليه أبداً غيرها من النحل وتكون الذكور فى كؤوس الزهر تنعم بالفتور ، فتشهد هذا المنظر ، ويحمل إليها النسيم هذا العطر الجذاب الذى ينتشر من جماعة إلى جماعة حتى تفعم به كل خلية قريبة ، فتحتشد الجموع على الفور وتتبعها فى بحر السرور ، ويسكرها هى خفق أجنحتها ، وتذعن لقانون الجنس الذى يقضى بأن لا ينالها فى طبقات الجو سوى الذى هو أقوى ، فتزداد علواً وسمواً ، ولابد أن تصل إلى منطقة لاتغشاها الطير حتى لاتنتهك حرمة هذا الزفاف . فتمضى صاعدة ، ويكون الحشد المختلط الذى يتبعها قد أخذ يخف ويتفرق ، ويرتد عن الطراد الضعيف والمتهافت والمسن والجائع الذى خرج من خلية راكدة أو فقيرة ، ويختفى هؤلاء فى الفضاء ولا يبقى سوى عدد قليل لايكال معلقاً فى الزرقة الأبدية ، وتهيب هى بأجنحتها أن تدفعها دفعة أخيرة ، ويدركها ذلك الذى تخيرته لها بقوة لاسبيل إلى إدراك كنهها . ويمسك بها ، فيمضيان معاً يدفعهما حافز واحد ، ويدوران معاً متشابكين صاعدين وينعمان بثانية من نشوة الحب وجنونه .

ولا يكاد يتم اجتماعهما حتى تنتزع جهاز الذكر من جسمه ، وتجر معه كل ما فى أحشائه . فيتراخى جناحاه ، وكأنما أصابته صاعقة ، فيسقط بدنه الفارغ فى الهاوية .

والقانون الذى ضحى بمستقبل الخلية من أجل تكاثر الذكور الذين لا حاجة إليهم، هو نفسه الذى يضحّى بالذكر من أجل مستقبل الخلية . والفكرة تورث الذهول أبداً ، ولكنها لا تخلو من منطق ، إذ يبدو أن الطبيعة قضت لمصلحة التلاقح أن لا يتم اتحاد الذكر والأنثى الملكة إلا فى أجواز السماء . ولكن فى السماء أخطاراً شتى — الرياح الباردة ، وتيارات العواصف ، والطيور — ولهذا قضت بأن يكون الاتحاد أقصر وأوجز ما يمكن . وإنه لكذلك بفضل الموت المفاجىء الذى يدرك الذكر .

وتهبط الملكة بعد ذلك من السماء اللازوردية وترجع إلى الخلية وقد أعطاها الذكر كل ما كان له ، وأكثر مما تحتاج إليه، فتحتفظ بالنطفة التى تسبح فيها ملايين من الجراثيم التى تظل إلى آخر حياة الملكة تخرج واحدة واحدة حين تمر بها البويضات ليتيسر الاتحاد العجيب بين عنصرى الذكورة والأنوثة ، فيولد النحل العامل . والآية مقلوبة ، فإنها هى التى تقدم عنصر الذكورة ، وذكر النحل هو الذى يقدم عنصر الأنوثة . وبعد يومين من هذا الاتحاد تضع بيضتها الأولى ، فيحف بها شعبها ، ويبدون لها أعظم رعاية . ومنذ هذه اللحظة التى صارت فيها مزدوجة الجنس ، وصار لها مدد من الذكورة لا ينفد ، تبدأ حياتها الحقيقية ، ولا تترك الخلية أبداً إلا حين تهجرها مع الحشد الراحل ، ولا تكف عن الإنتاج إلا عند ما يرفرف عليها الموت .

وإنه لزفاف هائل، وإنه لأغرب مما يصوره الخيال ، وفيه مأساة ، وليس للطبيعة همٌّ إلا أن ترقى الجنس بالتلقيح المختلط ، ولكى تكفل هذا جعلت أداة الذكر بحيث لا يستطيع استخدامه إلا فى الفضاء ، ولكى يتيسر هذا ينبغى أولا أن يؤدّى طولُ مدة الطيران إلى توسيع الرئتين . وامتلاء هاتين الرئتين العظيمتين بالهواء ، يدفع بالجزء الأسفل من المعدة إلى الوراء فيتسنى بروز عضو التناسل . وهذا هو بيان السر الفسيولوجى كله لهذا الطراد الرائع والزفاف البديع — وهو يبدو عاديا جداً للبعض ، ويكاد البعض الآخر بعده سوقياً .

ذبح الذكور

إذا ظلت السماء صافية ، واللقاح والعسل متوفرين ، فإن جماعة العمال من النحل تظل فترة وجيزة متسامحة متغاضية ، تحتمل وجود الذكور الثقلاء النهمين . وهذه الذكور السمينة المبدِّدة الراضية كل الرضى عن بطالتها وعن كونها ليست أكثر من

« زوْج شرف » لاتزال عاطلة لاخير فيها ، تأكل وتنعم وتزحم الممرات ، وتعرقل السير فيها ، وتعوق العمل . وهى تختار لرقادها الهنىء خير أركان الخلية ، ثم تنهض متثاقلة وتحتشد عند الحجرات المفتوحة حيث العسل أحلى وأعطر ما يكون ، وتلوث بإفرازها الأمشاط ، وتروح جماعة العمال الصابرة التى لاتزال عيونها ناظرة إلى المستقبل، تصلح فى صمت ما يفسد الذكور التى تخرج إلى الشمس لتضحى فيها من الظهر إلى الثالثة بعده ، ولها خوذة مؤلفة من لؤلؤتين سوداوين كبيرتين، وريشتين عاليتين خفاقتين، ودرع من مخمل متموج الألوان ضارب إلى الصفرة. فإذا أراد الذكور الخروج أحدثوا جلبة كبيرة، ونحوا الحراس جانباً ، وأوقعوا النحل الذى يتولى التنظيف ، واصطدموا بالنحل الذى خرج يمتار وعاد موقراً بالقليل الذى جمع ، ويخرج الذكور واحداً واحداً إلى الفضاء وهو مغتبط لا يصدّه شىء ، ويقصد إلى أقرب الأزهار ، حيث يرقد إلى أن يوقظه نسيم العصر الرقيـق ، ثم يرجع إلى الخلية بنفس الأبهة والنفخة، فياض الجوانب بالرغائب البديعة ، ويمضى من فوره إلى الحجرات ويدس رؤوسه إلى الأعناق فى العسل، ويعب فيه حتى يمتلىء ويصبح كالطبلة ليعوض ما فقد من قوته .

ولـكن صبر النحل ليس كصبر الإنسان ، فيجىء صباح يصدر فيه الأمر الذى طال ارتقابه ، ويشيع فى الخلية ، فتنقلب جماعة العمال الوادعة إلى قضاة وجلاّدين، ولا ندرى من أين يصدر الأمر ، ويظهر أن مصدره هو النقمة التى استولت على جماعة العمال على الأيام ، ولا يكاد يصدر الأمر حتى يخفق به كل قلب . وتكون جماعات الذكور العاطلة راقدة غافلة على الجدران المعسولة، فيتقدم إليها جيش من عذارى النحل الساخطة وتوقظها من نومها بعنف ، فتهب متعجبة ، ولا تكاد تصدق عيونها ، فتديرها فيما حولها وهى مذهولة ، وفى ظنها أن هناك خطأ هى ضحيته ، ولـكن الأيام التى كانت تشور فيها عسل مايو وتحتسى رحيق أزهار الليمون ، وتشم أرج العتر والبرسيم ــ قد تقضت ، وشاعت فى الخلية رائحة السم الحادة . ويهجم على كل ذكر ثلاث أو أربع من النحل رسل العدالة، فتشرع بهمة فى قطع جناحيه ، والبحث عن ثغرة فى درعه تدفن فيها سيوفها ، ولا يحاول الذكور الضخام العزّل دفاعاً عن أنفسهم ، وتودى بالبعض جراحه على الفور فيحمله ويقذفه من الخلية اثنتان أو ثلاث من النحل الذى أعدمه، ويحتمى البعض الآخر بركن من الأركان ويبقى فيه يحيط به حرس لا يرحم حتى يموت جوعا ، ويصل كثير من الذكور إلى الباب فينجو فى

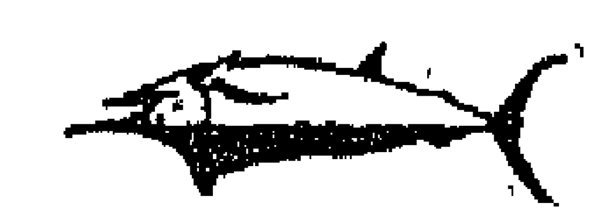
الفضاء ولكنه فى المساء يكون البرد والجوع قد ألحّا عليه فتعود جموعه إلى المدخل ملتمسة المأوى ، غير أنه يلتقى هناك بحرس لا يعرف الرفق . وفى صباح اليوم التالى قبل أن تخرج جماعة العمال فى رحلاتها اليومية ، تنظف المكان الغاص بجثث الذكور الضخام التى لا خير فيها ، وتمحى ذكرى هذا الجنس العاطل إلى أن يجىء الربيع مرة أخرى .

رقصة الشتاء

ويستأنف العمل بعد القضاء على الذكور، ولكن بهمة تفتر شيئاً فشيئاً ، لأن الأزهار تقل ، وقد مضت أيام الأفراح العظيمة ، وتختم مخازن العسل بالشمع الأبيض الذى لا يلحقه فساد ، وينقطع البناء ، وتقل المواليد وتكثر الوفيات ، وتطول الليالى ، ويقصر النهار ، ويعصف المطر والرياح وضباب الصباح بمئات من جماعة العمال .

ويكون الإنسان قد أخذ نصيبه من الحصاد ، وقد زودته كل خلية حسنة بمئة رطل من العسل ، بل بمئتى رطل فى بعض الأحيان تمثل حقولا واسعة من الأزهار ، كان النحل يزورها كل يوم ألف مرة أو ألفين . ويحتشد النحل فى وسط الخلية استعداداً لنوم الشتاء الطويل ، ويروح يخفق بأجنحته معاً — بسرعة أو ببطء بحسب درجة الحرارة فى الخارج ، فيولد فى منطقته دفئاً معادلا لدفء يوم من أيام الربيع . ويقوم العسل الذى يتغذى به مقام الشمس والأزهار حتى تطلع شمس الربيع فتدفىء الخلية ، وتبعث برسالتها إلى النحل أن قد عادت إلى الحياة الشقائق والبنفسج ، وتخبره أن السماء صارت زرقاء مرة أخرى ، وأن الدائرة التى تضم الموت إلى الحياة وتصل ما بينهما قد عادت إلى الدوران وبدأته من جديد .

ونحن إذ نتأمل أسرار الخلية لا يسعنا إلا أن نظل على ذكر لآية من آياتها، وتلك هى الحجرة المسدسة التى تكاد تبلغ درجة الكمال المطلق — كمال لا تستطيع أن تزيد عليه كل عبقريات البشر مجتمعة . فما استطاع الإنسان فى نطاق مساعيه أن يحقق ما حققه النحل فى دائرته ، ولو أن أحداً من عالم آخر هبط إلى الأرض وسأل عن أكمل ما أبدعه منطق الحياة ، لما وسعنا إلا أن نعرض عليه مشط الشمع المتواضع .




حقيقة ١٤ مليونًا
من أرقاء روسيا السوفيتية
ماكس إيستمان
مختصر مقتبس من كتاب ألفهُ داڤيد . ج . دالين وبوريس نيقولفسكي ،
وعنوانهُ : « لا شيء سوى سلاسلهم » وستنشره مطبعة جامعة يل .
وقد أضيفت إليهِ أقوال لشهود العيان من البولنديين الذين أفرج عنهم من
معتقلات الرقيق وفقاً لاتفاق ستالين سيكورسكي ، وحقائق منتزعة من تقارير
رجال كانوا من رجال الشرطة السرّية السوفيتية ، وغيرهم من الذين كانوا
يشتغلون في إدارة هذه المعتقلات ، ومقتطفات متعددة من الصحف السوفيتية .

حقيقة ١٤ مليونًا من أرقاء روسيا السوفيتية

من أخطر الحوادث فى العصر الحديث وأشدها ترويعاً للنفس، حادث إحياء سنة استرقاق الناس فى روسيا السوفيتية. وقد حاول هتلر أن يفعل هذا على الطريقة الرومانية القديمة، فاستعبد الأجانب أو من كانوا فى حكم «السلالات المنحطة». أما ستالين الذى لا يؤمن بالتفاوت بين السلالات، فقد استرقّ أبناء وطنه، كما استرقّ أبناء أمم أخرى، وقد فعل ذلك على نطاق لم يشهد التاريخ مثله من قبل.

ففى إمبراطورية الاتحاد السوفيتى اليوم ١٤ مليون عبدٍ* فرضت عليهم السخرة، وهم يعيشون فى حظائر تحيط بها حواجز تعلوها الأسلاك الشائكة، ويحرسها فى الليل والنهار رماة يرابطون فى أبراج مزودة بالأنوار الكشافة القوية، وأسراب من الكلاب لمطاردة من يفرّ. وهؤلاء الأرقاء يؤدّون أشق الأعمال وأخشنها وأفدحها من تعدين واحتطاب وكشف أرض الغابات ومد الطرق والسكك الحديدية وشق الترع وتمهيد المطارات وإنشاء المصانع.

فهذه القوة العاملة قليلة النفقة، ثابتة خاضعة للمسيطرين عليها، «لا تبالى» تقلب الجو، ويمكن أن تنقل فى مركبات الشحن، فتساق جماعاتها سوق الأنعام دون مقاومة. ويمكن أن ينتفع بها دون خوف أو قلق على الأموال الثمرة فى العمل، لأن هؤلاء الأرقاء السوفيت لا يكلفون سيدهم شيئا، وسيدهم هو وزارة الشئون الداخلية*، يأخذهم وكلاؤها من الشارع بلا حرج أو ينتزعونهم من فرشهم فى جوف الليل. وعمل أربعة عشر مليونا من الأرقاء عامل جوهرى فى اقتصاد «الدولة الاشتراكية الأولى». فإذا نقص عددهم أصدرت الإمفيدا أوامر إلى فروعها بالقبض على طائفة تعين عددها ممن تسميهم «المذنبين» الجدد.

ونظام الاسترقاق هذا يدحض الزعم بأن «الملكية الجامعة» قد حلت مشكلة البطالة،

* يوافق ألكسييف على هذا الرقم (انظر بيانه فى ذيل هذا الفصل ص ١٢١) وقد قال فيكتور كرافشكو مؤلف كتاب «آثرت الحرية» إنه بلغ ٢٠ مليوناً، يوم كان فى روسيا. وقد روى الكولونيل كازاليت النائب البريطانى الذى رافق سيورسكى رئيس الوزارة البولندية فى جولة فى هذه المعتقلات أن جنرالا روسياً قال له: «لست أدرى لم تتألمون من أجل البولنديين، فثمة ٢٠ مليوناً من قومنا يعيشون هذه المعيشة نفسها».

* إمفيدا لفظ مركب من أوائل الحروف، وهى الاسم الجديد لبوليس الدولة. وقد كان يعرف قبل باسم «نكفيدا» وقبل ذلك باسم «أوجبو»

فنى الاتحاد السوفيتى من الناس الذين كتب عليهم الرق الدائم أكثر من عـدد العمال الأمريكيين الذين تعطلوا فترة ما فى أشد سنوات الأزمة ضيقا وكساداً . ويعيش الأرقاء فى بعض المعتقلات معيشة أسوأ من معيشة الناس فى العصر الحجرى . وإليك على سبيل المثال بعض شهادة أسير بولندى كان قاضيا فيما سبق من أيامه . قال :

« وصلنـا إلى السهل القرور المهجور عراة أو نكاد ، حفاة الأقدام بين الموت والحياة ، فلم نجد سوى عود غلقت عليه لوحة عليها هذه الكلمة : « المعتقل ٢٨٨ » فأكلنا عصيدة حبوب كالشعير لم تطبخ ، ونمنا فى خنادق متلاصقين طلباً للدفء ، وكان فراشنا أعواداً مبلولة مفروشة على الطين .

« وكان الموكل بالمواعيـد يوقظنا فى الساعة الرابعة صباحا بدق فأس على منشار من الصلب ، فلم يكن أحد يكلف نفسه أن يلبس ثيابه ، لأنه ينام بها ، وليس علينا إلا أن ننهض ونأكل ماتبقى من عصيدة البارحة . فإذا كانت الساعة الخامسة أعطيت الإشارة الثانية : « هيا إلى العمل » فتخرج هذه المخلوقات القذرة فى أسمالها البالية واحداً بعد واحد من جحور الطين ، وهى ترتعد برداً ، فتبدأ عمل يوم آخر . وقد كانت الرائحة الكريهة شيئاً لا يطاق .

« وقد حدث أحياناً أن لزم أحدهم مكانه زاعماً أنه مريض ، فإذا جس مساعد الطبيب نبضه وحكم أنه يكذب ، ضرب المسكين وركل حتى يخرج من مكانه . وكان كثيرون يموتون كل ليلة ، فيمزق الحراس ثيابهم عن جثثهم ويجرونها إلى مايشبه زريبة مصنوعة من القضبان والعيدان فتكدس فيها » .

وما يلى مأخوذ من شهادة آخر : « كنا نعيش فى خيام لاسقوف لها ، فكنا نعود ليلاً من عملنا وقد برح بنا البرد والبلل ، فنتهالك على ركبنا فى الوحل داخل الخيام ، ونرقد بملابسنا فننام نوم المحموم ، ونجفف بعض ملابسنا قبل أن يسفر الصبح ، فيسوقنا الحراس وكلابهم إلى عمل يوم آخر . وكنا إذا ما مات أحدنا فى الليـل ، نخفى جثته ما استطعنا أن نحتمل نتنها ، لكى نأخذ حصة الخبز التى كانت مقررة له » .

وقد أخذ هذا المثلان من « معتقلات الموت » فى الشرق الأقصى الروسى والشمال الروسى . وكثير مثلها مما يصف الحياة فيها يمكن الاستشهاد به من أكداس الأدلة التى بين أيدينا . وقد روت سيدة بولندية ذات مكانة — وهى اليوم فى أمريكا — رواية عن الحياة فى معتقل وسط من هذه المعتقلات فأيد ما جاء فى روايتها مئات من المعتقلين السابقين بشهادات مفصلة مكتوبة .

ينام الأرقاء فى ثكنات طويلة من خشب على صفوف من رفوف يبلغ عرضها طول الرجل ، فيدخل السجناء رؤوسهم أولا وينامون على الرفوف العارية متلاصقين وأقدامهم إلى الممر . وليس لهم فرش ولا ملاءات ولا بطاطين ، فينامون فى الأسمال التى يعملون فيها . وأجسامهم تزخر بالقمل والبق ، وتمر عليهم الفيران ، وليس عندهم ماء يغتسلون به ، ولا يؤذن لهم إلا بحمام واحد فى كل شهر من دلو مملوء بالماء الساخن. وفى كل ثكنة موقد واحد يدفىء من يكون فى دائرة لا يتجاوز نصف قطرها خمس أذرع ، أو ستًّا . أما بقية السجناء فلا ملجأ لهم إلا حرارة أبدانهم .

فى الساعة ٤ : ٠٠ صباحاً يوقظ الأرقاء حراس مسلحون ، فإذا تلكأوا جرهم الحراس من الرفوف جرًّا وهم يضربونهم ، ويأخذ كلٌّ منهم قصعة من الخشب وملعقة (لا تغسلان أبداً) إلى قدر كبير فيتلقى ملء مغرفة من حساء رقيق وقطعة من الخبز الأسود*. وبعد الفطور يصفون صفوفاً ويحصى عددهم ويساقون إلى العمل جماعات كل جماعة فيها ٢٥ رجلا، ويخفرهم حراس مسلحون بالبنادق . وفى كل صباح ينذرهم أحد الحراس قبل الخروج إلى العمل فيقول: «حذار ! فلن يخطو أحدكم خطوة إلى اليمين أو إلى اليسار إلا رمى بالرصاص دون إنذار». والحراس يرمون حقاً ، وكلُّ رجل يضل أو يعثر يترك جثة هامدة على جانب الطريق.

يعمل السجناء عشر ساعات متوالية إلى اثنتى عشرة ساعة . ويعطون عند الظهر ملء ملعقتين طافحتين من «الكاشا» وهى عصيدة كثيفة . ثم يصفون صفوفاً فى المساء ويعدون ويلقى إليهم الحراس بالإنذار نفسه ويعودون بهم . وأما طعام العشاء فمغرفة أخرى من الحساء ، وملء ملعقتين من العصيدة. ثم يزحفون إلى رفوفهم لقضاء الليل.

تلك هى حياتهم إذا أنجزوا المقدار المطلوب من العمل المنتج ، فإذا لم ينجزوه خفضت جراياتهم الضئيلة . أما الذين يرفضون العمل — ومن ينجز أقل من ثلث المقدار المطلوب يعد فى حكم من يرفض — فيحبس على انفراد ، فإذا توالى الرفض كانت العقوبة المألوفة هى الإعدام .

وجاء فى تقرير آخر : « ومع ذلك فإن الذين «يرفضون» كثر ولا سيما فى الشتاء . ومن يرفض يكون عادة رجلا قد بلغ منه

* يصنع الحساء شهراً كاملا من السمك ، وتشاهد رؤوسه وعيونه طافية فيه ، وفى الشهر التالى من حبوب الشوفان غير المقشورة ، وفى الشهر الثالث من ثفل حبوب الصويا بعد عصر زيتها ، وفى الشهر الرابع من الكرنب والماء .

الإعياء فبات لايكترث لشيء ولايتمنى سوى شيء واحد : أن يرقد هادئاً فى مرقده ، فيكون أقل ما يكون شعوراً بانطفاء جذوة النشاط والحياة فى بدنه . »

ولكل طائفة من المعتقلات مستشفى ، وهو بناء كسائر المبانى مزود بالرفوف النابية للنوم . ولكن الطعام فيه أكثر قليلا، ولكل مريض بطانية . ويتحول بعض المستشفيات جنة فى نظر المرضى لوجود طبيب مخلص هو فى العادة مسترق مثلهم، ولكن يحدّ من جهده قلة المواد الطبية ، وكثرة القوانين التى وضعت لتقضى على المرضى ، لا لتعين على شفائهم . ومن هذه القواعد أنهم يعيّنون نسبة خاصة للمرضى، فمن يمرض بعد أن تكتمل هذه النسبة لا يأذنون له بدخول المستشفى .

كان تشتيت الأسر شيئا يمزق نياط القلوب فى عهد النازى ، ولكنهم فى ألوف من الأحوال كانوا يبقون على الأسر المعتقلة مجتمعة الشمل . أما فى روسيا فالقاعدة العامة ، حتى فى ترحيل الجماعات ونفيها ، أن يفرق بين الأزواج وزوجاتهم ، ويشتت شملهم حتى يتعذر عليهم أن يتصل بعضهم ببعض . وكثيراً ما تطبق هذه القاعدة على الآباء وأبنائهم .

ويتفاوت درجة القسوة بتفاوت الزمان والمكان ، ولكن القواعد العامة المتبعة فى المعتقلات متشابهة فى جميع الأماكن ، لأن الغرض الأول فى هذا النظام هو معاقبة أعداء الدكتاتورية واستئصالهم والانتفاع بهم ما أمكن الانتفاع . والروس السوفيت يخشون دائما أن ترق القلوب ، وكل حارس من حراس المعتقلات يدرك أنه إذا لم يحرص على القسوة التى فرضها السوفيت، كان عرضة لخطر الحكم عليه بالاسترقاق .

وما هى القاعدة فى اختيار الروس للاستعباد ؟ إنهم يختارون من الذين يعرقلون النظام الشيوعى الجامع ، أو يعارضونه ، أو ينقدونه أو يشتبه فى أنهم يكرهونه سراً .

ومن أغرب ما فى الأمر أن المميّزين بين المسترقين هم الذين يعرقلون النظام من طريق الإثم الخلقى — أى المجرمون من أمثال اللصوص والقتلة ، وأقلهم امتيازاً هم الذين يعارضون عن اقتناع أدبى أو دينى أو سياسى . فهؤلاء يطلق عليهم « أعداء الشعب » . أما المجرمون فيبلغون ١٥ فى المئة من أهل المعتقلات ، وأما البقية فسبع طوائف:

١ — البيتوفيك ، وهذا لفظ سوفيتى جديد يطلق على جريمة « الانحطاط » عن طريقة الحياة الاشتراكية . وهى تشمل ما يسمى « سوء استعمال الوظيفة » . ولما كانت

الدولة تملك كل شيء ، فبائع الشراب المبرد رجل موظف ، وإذن فهذا مورد لا ينضب يجمع منه الرجال لمعتقلات الأرقاء . مثال ذلك:

هذه طاهية فى مزرعة مشتركة نسيت أن تملح طعام العشاء فحوكمت بتهمة « تقصيرها فى تأدية واجباتها الرسمية » . وهذا رجل أرسلته المزرعة المشتركة إلى المدينة ليبيع بعض الحبوب فباعه بمبلغ ٢٣ روبلا بدلا من ٢٦ أو ٢٧ روبلا ، فألقى القبض عليه لأنه بائع غير بارع .

٢ ــ الكولاك ، هؤلاء هم المزارعون المقاديم الموفقون ، الذين وفقوا بطرق شريفة إلى اقتناء أرض وماشية أكثر قليلا مما يقتنيه جيرانهم ، واعتقدوا أنه يحق لهم أن يقتنوها ، فهؤلاء يؤلفون أكبر فئة من الأرقاء . ولما كانوا أقوياء الأبدان وقد ألفوا العمل الشاق ، تراهم أنفع الأرقاء للدولة . وقد كانوا ينفون بالملايين ، (وكم من قرية قد نفى أهلها جميعاً) ، يوم كان الفلاحون يساقون سوقاً إلى المزارع المشتركة فى أوائل العقد الماضى ، وإذا ما انقرض الكولاك حل محلهم فلاحو المزارع المشتركة الذين لا يفتأون يتوقون إلى اقتناء المزارع الخاصة برغم كل عقبة .

٣ ــ عمال الصناعة الذين حكم عليهم « لإهمالهم » أو لأنهم « يعرقلون النظام » وهذه جريمة شنعاء فى القانون السوفيتى ، وتشمل أيضاً التغيب عن العمل أو التأخر ، أو الاحتجاج على ساعات العمل وأجوره وأحواله ، وهى أشنعها جميعاً .

٤ ــ عمال وشيوعيون من أمم أجنبية أغراهم بالسفر إلى روسيا ما يرجونه فيها من قيام الدولة المثلى ، وقد جاءوا حجاجا إلى وطن الاشتراكية الدولية ، فما لبثوا حتى اعتقلوا فى بلد يسيء الظن بجميع الأجانب ، ويضم إليهم روسيون عاشوا خارج روسيا ثم عادوا إليها فعدوا ملوثين بالثقافة الغربية البورجوازية ، وكذلك الذين يتصلون بالأجانب الذين يزورون روسيا .

مثال ذلك: فتاة تدعى أنيشكا، اشتركت فى حفلة راقصة وظفرت بجائزة ، وكانت زوجة القنصل الإيطالى حاضرة فهنأتها ، وحادثتها حديثاً رقيقاً دقيقتين أو ثلاثا ، فاعتقلت الفتاة فى اليوم التالى وحكم عليها بالسخرة .

٥ ــ العصاة من القساوسة وأناس حكم عليهم بالسخرة من أجل عقائدهم الدينية ، وكتاب ومؤلفون من أجل آرائهم .

٦ ــ بضعة ملايين من أهل بولندة وبلغاريا وغيرهم من الدول التابعة لروسيا ، وقد صار هؤلاء طبقة جديدة من الأرقاء منذ وضعت الحرب أوزارها ، وهم يختارون ويعاملون كالأرقاء الروس سواء بسواء .

٧ ـ أسرى الحرب الروس الذين أعيدوا إلى وطنهم. فالقاعدة المتبعة فى الجيش الروسى أن الجندى الروسى ينبغى أن يموت وهو يقاتل ، فالتسليم للعدوّ محرم . وإذن فجميع الذين « حرّروا » من الجنود يمثلون أمام لجنة فتحكم أهم أبرياء أم لا ؟ وقد سيق ألوف منهم إلى معتقلات الأرقاء وكثيرون منهم مصابون بجراح تشهد لهم بحسن البلاء دفاعاً عن وطنهم . وهذا الرق المصلت على رقابهم كالسيف ، هو الذى جعل ألوفاً منهم يأبون كل الإباء أن يعودوا إلى وطنهم .

إن العمل فى المعتقلات محدود الزمن من الناحية القانونية ، ولكنّ الإمفيدا لا تعرف قانوناً ، فهى تستطيع أن تمدّ زمن الأحكام بأمر إدارى كما تستطيع أن تفرضها بأمر إدارى ، وكثيراً ما تفعل . أما الذين أطلق سراحهم بعد الحكم عليهم بالعمل فى هذه المعتقلات ، فيقدّر عددهم بخمسة فى المئة .

ومن أغرب الأمور أن هذا العمل البشع لم يظفر باهتمام الصحافة العالمية ، وفى سنة ١٩٣٠ حظرت وزارة المالية الأمريكية استيراد رُبّ الخشب وعيدان الثقاب من روسيا لأنها من منتجات « السخرة » . ولكن مولوتوف نفى ما يشاع بزعم فاضح فقال : « إن كثيرين من العمال فى البلاد الرأسمالية ليحسدون السجناء فى مناطقنا الشمالية على ما يستمتعون به من أحوال المعيشة والعمل » . فرفعت وزارة الخارجية ذلك الحظر . ومضى فريق من السياح يزعمون أن هذه المعتقلات كمصايف الكشافة البديعة أو هى أحسن ، ومنهم هنرى ولاس الذى ظهر فى صورة ومعه طاغية معتقل دالستروى ، فتراه فيها مبتسما مغتبطاً . ومساحة هذا المعتقل أكبر من فرنسا مراراً ، وفيه يموت ألوف من الأرقاء فيما يبذله السوفيت من جهد جهيد للتفوق على سائر الأمم فى استخراج الذهب . وقد وصف ولاس هذا الطاغية بأنه « زعيم من زعماء الصناعة » .

وأمثال هذه الاخطاء كانت خليقة أن لا تقع لولا الطريقة الخاتلة التى بدأ بها الرق فى روسيا . فقد تسلل مستتراً فى ثوب مثل أعلى ، وكان رأى لنين أن المجرمين ليسوا أعداء المجتمع بل ضحايا المجتمع الرأسمالى . وأعلن أن الحاجة فى النظام الاشتراكى إنما هى إلى تربية هؤلاء تربية جديدة بالعمل ، فيزول الإجرام من الدنيا .

وقد بدأت روسيا حركة إصلاح إنسانى نافع فى السجون وبين جماعات المجرمين ، وظلّت بعض آثاره قائمة حتى ١٩٢٨ فقضى المجهود الضخم الذى اقتضاه تنفيذ مشروع السنوات الخمس على المثل العليا كلها سوى

إنجاز العمل المطلوب . أما الفكرة الصالحة، فكرة تربية المجرمين تربية جديدة ، فقد ضاعت فى بحث أولى الأمر عن الأيدى العاملة ، وكل ما بقى حتى اليوم من المثل الذى نشده لنين هو تمتع المجرمين ببعض الامتيازات فى هذه المعتقلات .

وقد حرصت وزارة الداخلية والعدل على المطالبة بأن تكون معاملة « أعداء الطبقة العاملة » أشد قسوة من معاملة المجرمين غير السياسيين. وقد أعلن سيميون فبرين ، وهو موظف كبير فى الإمفيدا : « إننا نقول لكم أيها المجرمون العاديون إننا لا نعدكم أعداء ، لأننا لا نجد بينكم أبناء ملاك الأرض وأصحاب المصانع » .

وتضم هذه المعتقلات ألوفا من الأطفال، لأن مرسوم ١٩٣٥ الذى يجعل القانون الجنائى يشمل بحكمه القصّر الذين فوق الثانية عشر لم يلغ قط . وعلى الرغم من حظر المباشرة الجنسية بين الأرقاء ، ترى أطفالا يولدون فى هذه الأرض التى تظلها المجاعة بسلطانها . فكثيرات من النساء يلجأن إليها غير عابئات بشىء ، عسى أن يتيح لهن الحمل شيئا من راحة وجراية أكبر مما ينلن . فإذا بلغن الشهر السابع أو الثامن نقلن إلى معتقل خاص بالوالدات فيلبثن فيه سنة يعملن عملا خفيفاً ، فإذا حال الحول أخذ الطفل إلى مكان تجهله الأم ، فتتولى الدولة تربيته .

ومنذ أخذ السوفيت بنظام الرقّ صار عليهم أن يحلوا مشكلة اقتصادية معقدة . فقد كان متوسط العامل الأجير ١٤٩٦ روبلا فى السنة عام ١٩٣٢ — ١٩٣٣ ، وقدرت تكاليف السجين فى المعتقلات بنحو ٥٠٠ روبل . فالفرق توفير كبير ، ولكنه لا يعوّض ما هو مأثور بين عمال السخرة من قلة الكفاية .

وقد فطن الماركسيون السوفيت إلى هذه المشكلة ، فحلوها فى ظل النظام الاشتراكى حلا يعجز المجتمع الرأسمالىّ عن أن يحاول مثله . فهم يفرضون على العامل العناية بعمله وذلك بإبقاء جمهرة الأرقاء جائعة، وبتوزيع الطعام عليهم وفقاً للعمل الذى يؤدونه. فالذين لا يستطيعون أن يؤدوا عملا يكفى لسدّ حاجتهم أو لا يريدون أن يؤدّوه، كالضعاف والمرضى والذين « يرفضون » ، يقتر عليهم حتى يموتوا قبل أن يصبح رزقهم عبئاً ثقيلا على الدولة .

وقد قال شاهد عيان آخر : « لقد قضى على كل شىء يبقى على المرء كرامته ، فلا حرمة ولا كرامة ولا رحمة . ولا يزال الجوع وما يصحبه من تبلد العقل والخلق يحيل هؤلاء البشر إلى ضروب من الحيوان .

فالإنسان الذى يعيش فى هذه الجثث يموت تدريجاً، ويحل محله حيوان منهوك ذاهل».
وما أسدل «الستار الحديدى» إلا ليخفى هذه الحقائق. وسيظل هذا الستار مسدلاً ما دام فى الدنيا أحرار يرون فظاعة ما مُنِى بها البشر باسم الاشتراكية.

بيان من كبريل م. أُلكسيف

كان قبل مهندساً، ثم دبلوماسيا سوفيتياً، ثم فر من السفارة السوفيتية فى المكسيك سنة ١٩٤٦ وتنكّر للشيوعية، وهو مقيم الآن فى الولايات المتحدة.

كل الوقائع الواردة فى مقال ماكس إيستمان صحيحة وقد رواها رواية معتدلة. ويسرّنى أن أرى هذه الحقيقة المهولة الجاثمة على الشعب الروسى قد نشرت، فلا بد من أن يعيها العالم الغربى بأسره.

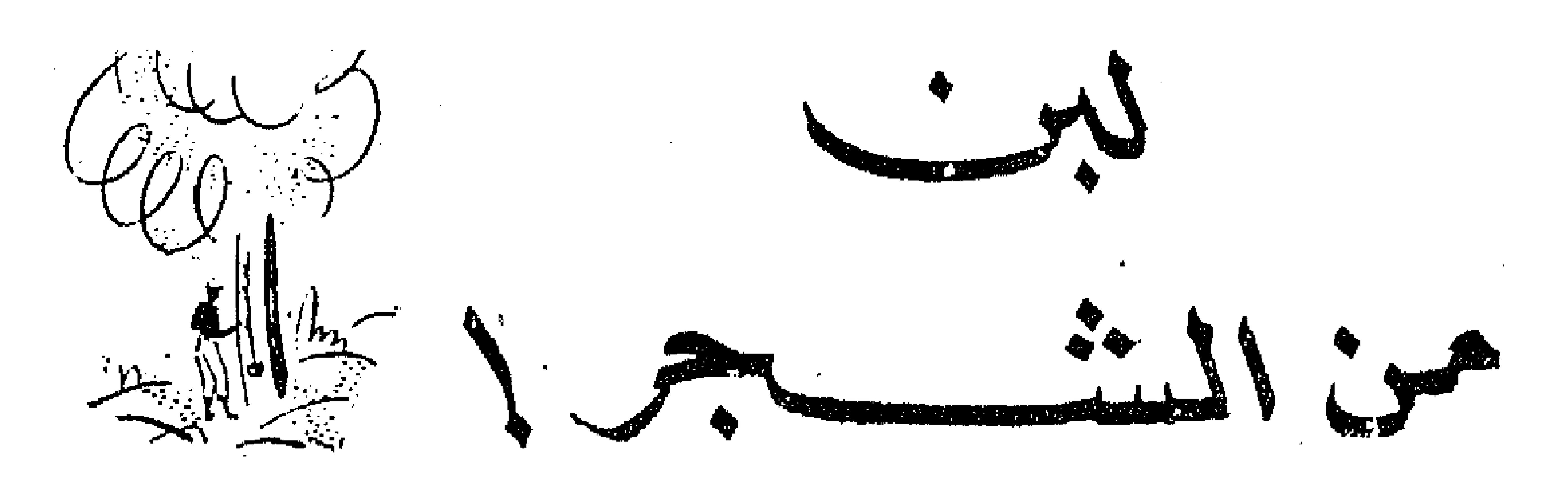
إن عدد معتقلات الأرقاء فى روسيا وعدد المعتقلين، بلغا مبلغاً من الجسامة حتى تكاد تجد كل أسرة قريباً من ذويها بين هؤلاء الأرقاء. ونحن المهندسين نعرف أحوالهم علم اليقين، لأن كثيرين منا قد ساهموا فى مشروعات بناء ضخمة يستخدم فيها الرقيق بوجه عام، ولا سيما تشييد المصانع الجديدة فى الأورال وسيبريا.

وقد اشتركت فى هذا التشييد، وفى وسعى أن أشهد أن العمل هناك تم معظمه على أيدى أرقاء جىء بهم من المعتقلات المجاورة.

وليس ثمة من يعلم، ولا الإمفيدا التى تدير هذه المعتقلات، عدد المحكوم عليهم فيها. ويوم غادرت روسيا منذ سنتين كان عددهم وفقاً لإحصاء الإمفيدا، يتجاوز ١٤ مليوناً. ومن المستحيل الظفر برقم دقيق لأن ألوفاً يموتون كل يوم، وكثيرون يهلكون وهم فى طريقهم إليها. وهؤلاء العمال لا يعدون من البشر، فهلاك مئات الألوف منهم لا يقلق الذين يتولون إدارتها، والذين يموتون يعوّضون باعتقال غيرهم.

والمهمة السياسية التى تضطلع بها المعتقلات هى أن تستأصل تدريجاً الذين يوصفون بأنهم عناصر «خطرة» (أى الذين يعارضون الحزب الشيوعى) وهم لا يقتلون لساعتهم، لأن الحكومة ترغب فى الانتفاع بتسخيرهم قبل أن يموتوا.




إذا أخذتَ موضوعاً كموضوع المطّاط ، وحاولت أن تسجّل الأشكال المتعددة التي يتخذها فيما يستعمل لهُ من أغراض ومنافع كلّ يوم ، ألفيت نفسك تواجه مشكلة عظيمة : أين تبدأ ؟ وعسى أن يعيننا على تبسيط الموضوع أن نتتبع وجوه تقدُّم المطاط والانتفاع بهِ منذ ذلك اليوم الذي بدأ فيه جون بويد دنلوب يجرّب التجارب بدرّاجة ابنه الصغير فاخترع أول إطار نافع تستطيع أن تملأه بالهواء .

ولما كانت الموضوعات التي نستطيع أن نتخذها مبدءًا لبحثنا ، كثيرة متعددة ، فليقع اختيارنا اتفاقاً على — **« لاتيكس »** . والقارئ قلما يعرف هذه الكلمة ، ومع ذلك فإنّ أثرها عظيم جدًّا في حياتنا يوماً بعد يوم . ولها منافع منوّعة متعددة في صناعات متباينة تتفاوت من بناء المباني إلى نسج المنسوجات إلى الهندسة والزراعة . ولكن ما هي مادة — **« لاتيكس » ؟** إنها « لبن » شجرة المطاط . وهي كاللبن تميل إلى التخثر . ولكن بدلا من أن تنتج الجبن الطريّ كما يفعل اللبن العاديُّ ، تنتج كتلا من المطاط . وقد جاء زمن كان كل المطاط في العالم يصنع بتجميد « لاتيكس » . وكانت هناك طريقة تمكنك من أن تصنع « قشدة لاتيكس » (الغنيــة بالمطاط) « ولاتيكس المقشود » (وهو أقلّ غنى بالمطاط) . أما **« القشدة »** فتوصف بأنها **« لاتيكس دنلوب ٦٠ في المئة »** . وتركيبها ثابت لا يحول ولست في حاجة إلى امتحانها لتعلم نسبة المطاط في « لاتيكس » . و « دنلوب ٦٠ في المئة » يختلف عن المطاط المجفف في أنهُ يتصف بكل ما يتصف به المطاط الحديد غير المعالج من قوة مطٍّ وخواصّ ميكانيكية . وهو حتماً أجود من جميع ضروب « لاتيكس » ويسهل الانتفاع به في طلاء المنسوجات به وانتشاره فيها حتى تصير **مانعة لنفوذ الماء** ، وفي صنع أحذية مطاط لا لحام فيها ، وما يشبهها من الأحذية الواقية من الماء ، وقفازات الجراحين — وذلك بطريقة التغطيس .

وصنع وسائد « دنلوب » من مادة « لاتيكس فوم كوشننج » مثل حسن آخر على تعدّد المنافع التي استعمل فيها « لاتيكس » استعمالاً موفقاً . فأشياء مثل مقاعد السيارات ، وفرش الأسرّة ، والكراسي الكبيرة ، وغيرها من ضروب الوسائد يسهل إفراغها في الشكل المطلوب فتكون قطعة واحدة و « لاتيكس » الذي صنعهُ « دنلوب » قد زاد راحة الناس زيادة كبيرة ، وخير مقياس لذلك ما تراهُ من المقاعد الوثيرة التي يستمتع بها روّاد دور السينما والمسارح وركاب السيارات — وأكبر سفن بريطانيا وأسرع قطاراتها . وهذه أسبابٌ للترف يصنع معظمها من مادة **« دنلوبلّو »** فهو الإسم المسجّل لمادة **« لاتيكس فوم كوشننج »** التي يصنعها « دنلوب » من **« لاتيكس ، ٦٠ في المئة »** .


صنع بعد جهد وإحكام — ولم يصنع على عجل — إن مجرّد لمس
« پاركر ٥١ » يعلن للملأ ذلك الكمال الذى جعلهُ أكثر
الأقلام طلباً . كرة دقيقة من الأوزميريديومَ صقلت
صقلا دقيقاً تحت عين المجهر ، وأدمجت فى سنّ
من الذهب عيار ١٤ قيراطاً ، تجعل الكتابة به
ناعمة كأنها مسُّ الحرير . وهـذا هو القلم
الوحيد الذى صمم وصنع لكى يستعمل
استعمالا مرضياً حبر « پاركر ٥١ »
الذى يجفُّ وأنت تكتب .
THE PARKER PEN COMPANY
Janesville, Wis. U.S.A.
پاركر
"٥١"
يكتب كتابة جافة بمداد سائل!



إن اعتماد محطات الديزل لتوليد الطاقة على محركات « نوردبرج ديزل » المشهورة بقلة تكاليفها لهو الدليل على الخدمة التي تسديها إليك هذه المحركات . وسواء أكانت وحدة توليد الطاقة صغيرة لمصنع صغير ، أو كبيرة لمحطة طاقة كبيرة ، فأنت تجد أنك تستطيع أن تختار محركك « نوردبرج ديزل » الذي يولد لك الطاقة التي تريد ، وفقاً لحاجتك توليداً اقتصادياً نافعاً . فهذه المحركات المجدية التي تستطيع أن تثق بها وتعتمد عليها ، متاحة لك في طرازين ، أحدهما ذو دورتين والثاني ذو أربع دورات ، وفي أحجام يتفاوت ما تولده من ٢٠٠ حصان إلى ٨٥٠٠ حصان . وأنت تجد وكلاءها في الشرق الأوسط على استعداد دائماً ليزودوك بجميع التفاصيل عن محركات « نوردبرج ديزل » .

NORDBERG MFG. Co. Milwaukee, Wisconsin, U. S. A.

في القطر المصري والسودان ، الحبشة ، شرق الأردن ، فلسطين ، تركيا ، قبرص ، سوريا ولبنان

الشركة الأمريكية الشرقية للتجارة والملاحة
٤١ شارع صفية زغلول ، بالإسكندرية
٢١ شارع سليمان باشا ، القاهرة

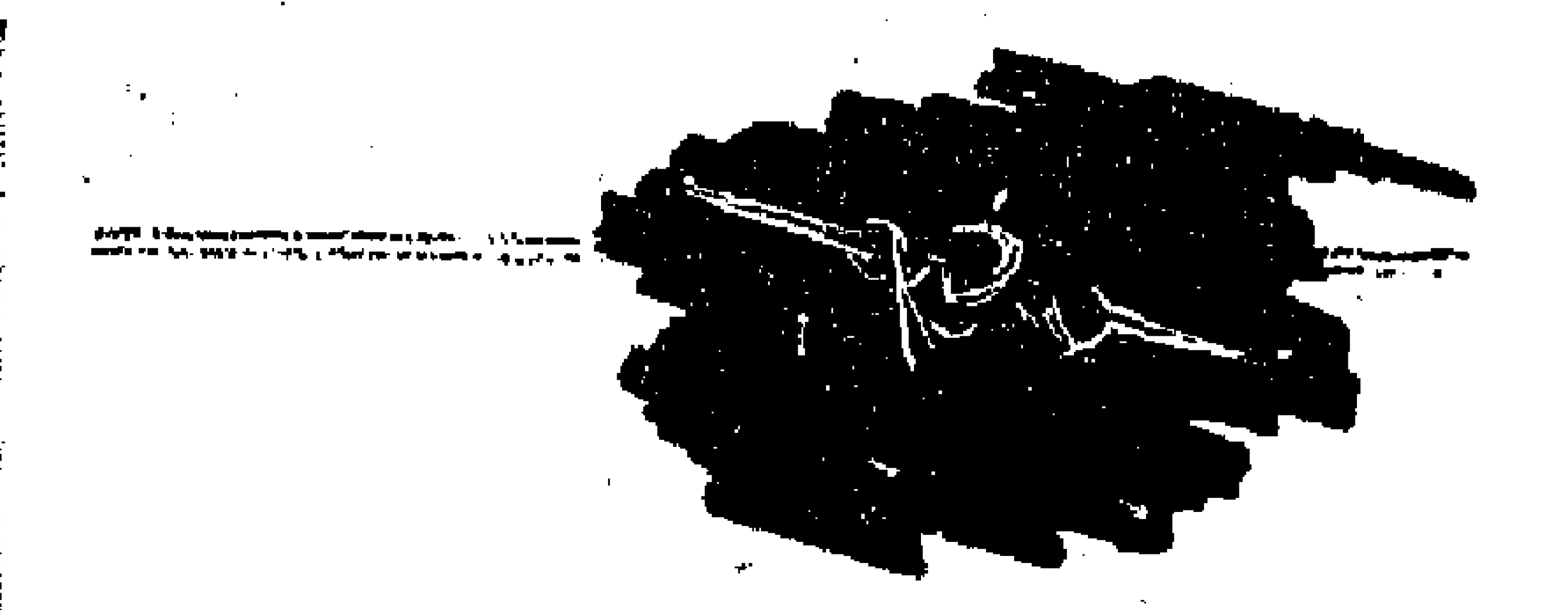
العراق : الشركة العراقية للملاحة لميتد
٢٨٢/٩ شارع المستنصر ، بغداد
وشارع الملك فيصل ، البصرة

الحجاز : أميريكان إيسترن كوربوريشن ، جده
إيران : أميريكان إيسترن ، ش . م . إ . ٩٢٦٠ شارع شاه ، **طهران . وبناء نادى البحرية الأمريكية سابقاً** ، خورامشاهر

محركات نوردبرج ديزل



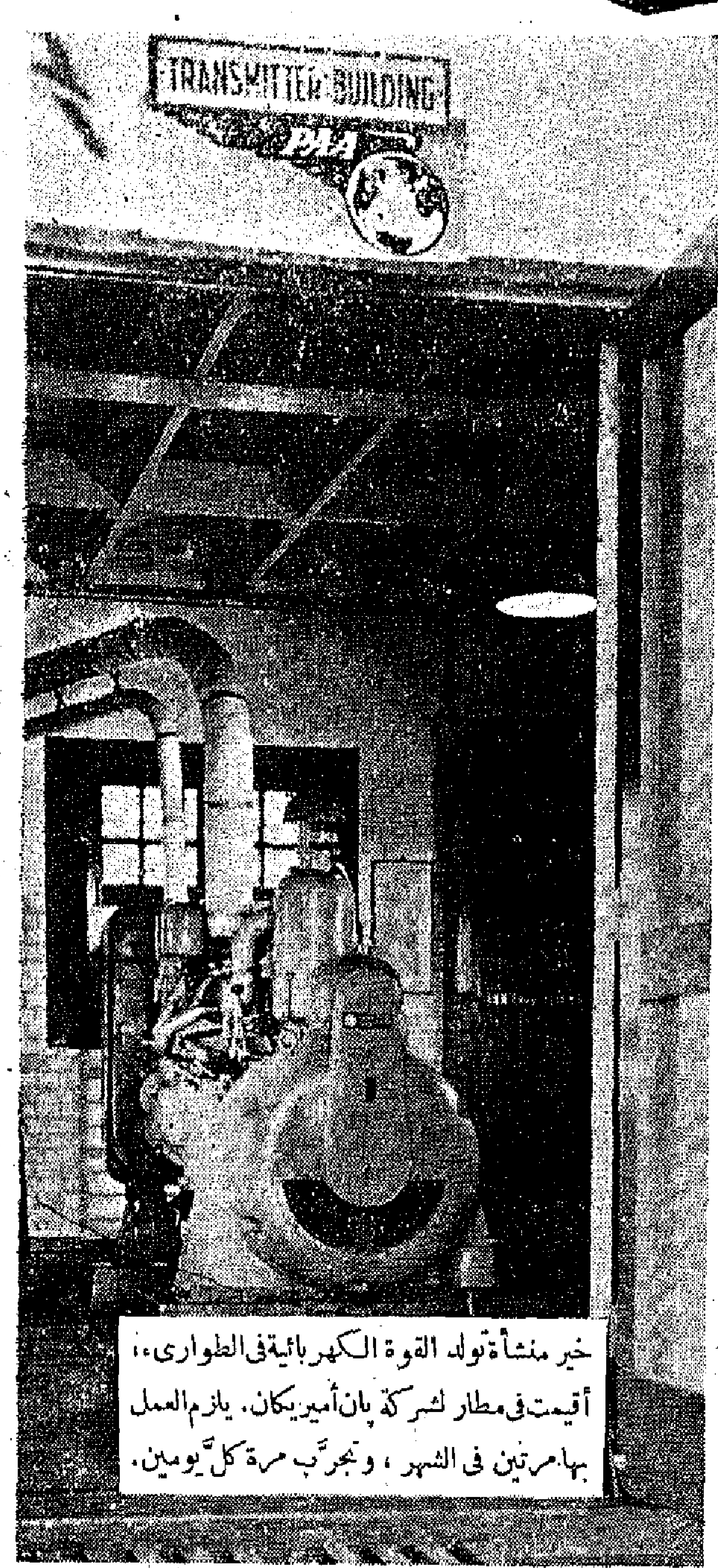
ضابط المرور في طريق الجو



على قدر ما تمتدّ أسباب النقل الجوّى وتتشعب ، ترى أذرعها تنضمّ على قدر أكبر فأكبر من سطح الأرض ، فلا بدّ إذن من أن تتسع أيضاً الأسباب التى تيسر «مرور» الطائرات و «حركتها» فينبغى أن يشمل نظام الإضاءة والإشارة عدداً أكبر من طرق الفضاء ، والمطارات ، والمناطق التى تشتدّ فيها العواصف . وينبغى أن يكون عملها دائماً لا يتطرق إليه الخطأ أو التوقف — وأن يضمن كل ذلك بوجود مصدر للقوة تعتمد عليه فى الطوارىء .

ومجموعات «كاتربيلر ديزل» الكهربائية ، مستعملة فى جميع أرجاء الأرض للإضاءة والراديو فى طوارىء الطيران ، وذلك لأنها اشتهرت بصفة الاعتماد عليها والثقة بها ، وهى صفة قام الدليل عليها فى ألوف المنشآت ، وفى أشدّ درجات البرد والحرّ ، ومختلف أحوال الإقليم والعمل .

ففى هذا الميدان ، كما فى سائر ميادين الصناعات والأعمال العظيمة — مثل الزراعة والمناجم والصناعة والصيد والبناء والمقاولات — تجد منتجات «كاتربيلر ديزل» تؤدى عملاً عظيماً فى استعجال التقدم الاقتصادى فى الشرق الأوسط .



خير منشأة تولد القوة الكهربائية فى الطوارىء ، أقيمت فى مطار لشركة پان أميريكان . يلزم العمل بها مرتين فى الشهر ، وتجرّب مرة كل يومين .

CATERPILLAR TRACTOR CO., PEORIA, ILLINOIS, U.S.A.

CATERPILLAR DIESEL

ماركة مسجلة

محركات . جرارات . ممهدات الطرق . معدات جرف التراب

ثلاجة معجزة
تعمل
بالجاز الأبيض أو الغاز الطبيعي
الغاز الصناعي أو الغاز المعبأ



- مقدار كبير من مكعبات الثلج
- البرد الذى يحفظ الطعام

أينما كان موقع بيتك ، فأنت واجد ثلاجة «سرفيل» قادرة على تزويدك ببرد ثابت مستمر ، يحفظ الأطعمة المعرضة للتلف ، طازجة شهية حتى فى أشد الأقاليم حرارة ، وزد على ذلك ، أن هذه الثلاجة المعجزة ، تصنع لك مقداراً كبيراً من مكعبات الثلج فتستعملها فى تبريد شرابك .

وأنت تستطيع أن تنتفع بثلاجات «سرفيل» فى كل مكان — فى المدن والمزارع ، فى البيوت والمتاجر — لأنها تعمل بلهب صغير من الكيروسين أو الغاز ، وليس فى نظام التبريد فيها ، أجزاء متحركة تكون عرضة للخلل — ولا آلات تحدث ضجة أو تحتاج إلى ترميم أو إصلاح .

واليوم ، تجد ثلاجة « سرفيل » مستعملة فى بيوت ومتاجر مليونين من الأسر ورجال الأعمال فى جميع أنحاء الدنيا ، وهى جميلة الشكل ذات سطح أبيض لامع يسهل تنظيفه وحفظه نظيفاً ، وداخلها الرحب — بما فيه من أماكن خاصة للحم والخضر — يسهل عليك أن تختزن مقادير كبيرة من الأطعمة التى تملأ فراغاً كبيراً .

ومتى اقتنيت ثلاجة « سرفيل » ، فإنك تعجب كيف استطعت من قبل أن تعيش بدونها .

الثلاجة التى تختلف عما سواها

Servel سرفيل

Servel, Inc., International Division, 51 East 42 St., New York 17, N. Y., U.S.A.

INTERNATIONAL

هـذا الشعار يدل على كاميونات «إنترنشونال»، وفروع «إنترنشونال» وموزعى «إنترنشونال»، ووراء هـذا الاسم تجد هيئة من أكبر الهيئات العالمية لخدمة الكاميونات

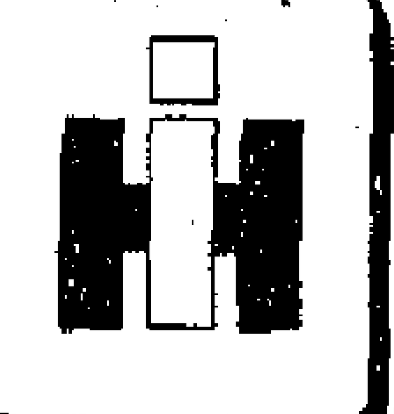
خدمة الكاميونات ، بواسطة متخصص فى الكاميونات لخدمة الصناعة والزراعة السائرة فى طريق التقدم والنجاح

إن معظم الكاميونات المستعملة اليوم قد طوت سنين من الخدمة الشاقة المنهكة . وكثير منها عمره تسع سنوات أو أكثر ، ولكنها لم تنته بعد . . . فسوف يكون لها شأن عظيم فى إنشاء عالم مستمتع بالرخاء . ولكن الخدمة التى تستطيع أن تسديها إلى الصناعة والزراعة تتوقف كل التوقف على الخدمة التى تنالها السيارات نفسها . فخدمة الكاميونات هى أكبر عامل فى تشغيل الكاميونات ونفقتها .

نعم وإنهُ يتعين على رجال خدمة الكاميونات ، أن يحفظوا السيارات القديمة قادرة على القيام بعملها — وهيئة «إنترنشونال» لخدمة الكاميونات هى واحدة من أكبر هذه الهيئات فى العالم ، وهى فى خدمتك مهما كانت ماركة سيارتك .

احرص على ماركة «إنترنشونال» ذات الماسة الثلاثية . فهى تدلُ على خدمة سيارات النقل بواسطة متخصصين فى الكاميونات ، وهذه خدمة متاحة لك بواسطة موزّع «إنترنشونال» الذى تعاملهُ . وهى تعنى خدمة سريعة ، اقتصادية ، مضمونة .

INTERNATIONAL HARVESTER EXPORT COMPANY
Harvester Building Chicago 1, U. S. A.

INTERNATIONAL  **HARVESTER**

McCORMICK-DEERING INTERNATIONAL TRACTORS AND FARM EQUIPMENT

INTERNATIONAL TRUCKS • INTERNATIONAL INDUSTRIAL POWER


أجود إطـــار
أطول مسافة..
أعظم أمن
GENERAL
COPYRIGHT 1947, THE GENERAL TIRE
& RUBBER CO., AKRON, OHIO
BUY
The
GENERAL
TIRE

زيت موبيلويل

يطيل عمر السيارات القديمة

زيت موبيلويل المشهور بجودته يحافظ على نظافة محركات السيارات القديمة ويجعلها تسير سيراً منتظماً ويطيل عمرها. إن لهذا الزيت فيه الوقاية التامة لمحرك سيارتك ويساعد على تجنب العطب والعطل الباهظي التكاليف.



ولا يزال زيت موبيلويل منذ سنوات عديدة، أكثر زيوت السيارات انتشاراً في العالم فهو كجميع منتجات جارجويل تدعمه خبرة ٨١ عاماً قضتها شركة سوكوني - فاكوم في الأبحاث والتجارب.

شركة سوكوني - فاكوم أويل المساهمة

س. ت ٤٩٥٤

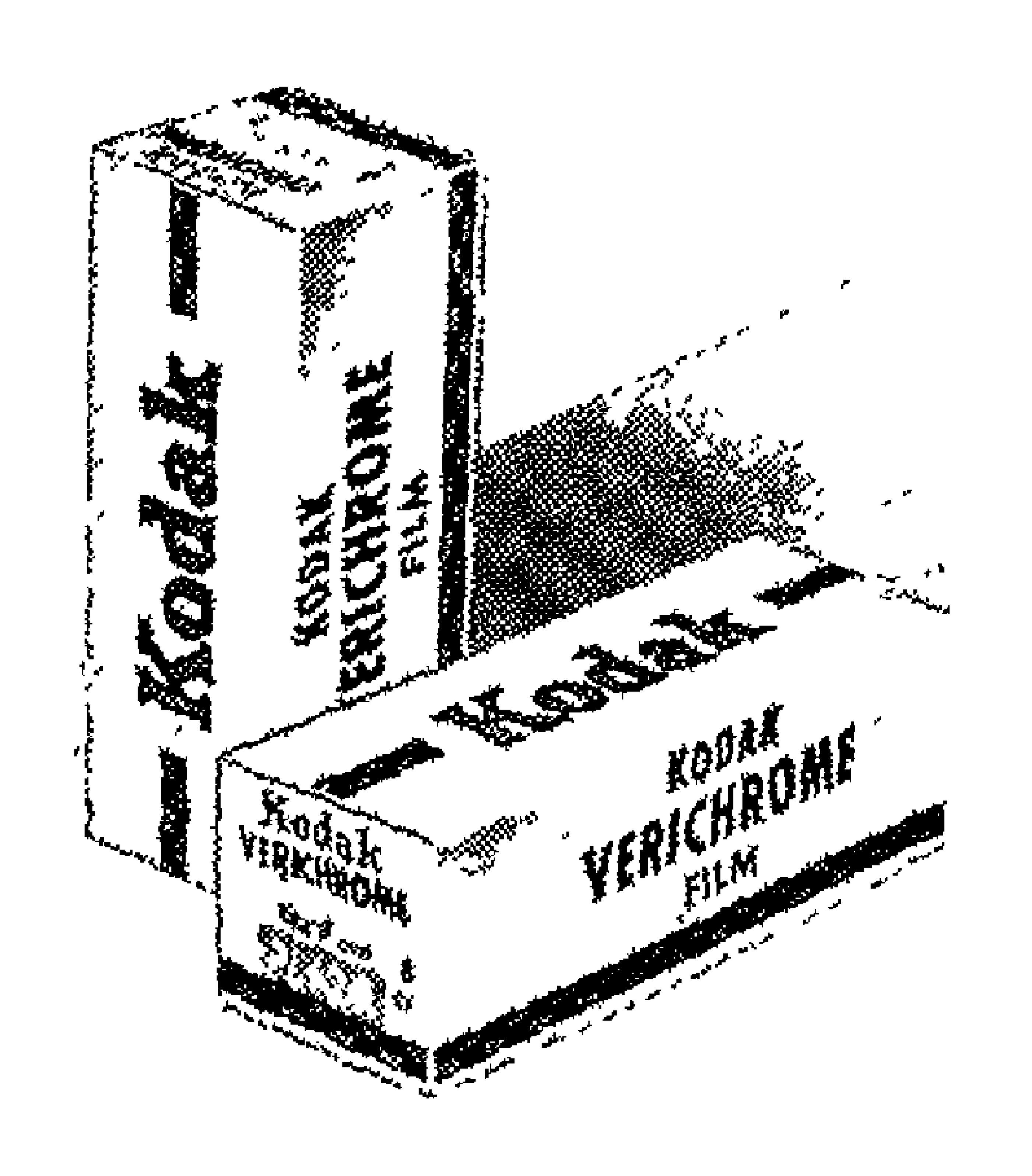

Koda

... باللغــة العـــربية هى : "مدينة"

... باللغــة الإنجليزية هى : "a city"

... باللغــة التجالوجية هى : "isang bayan"

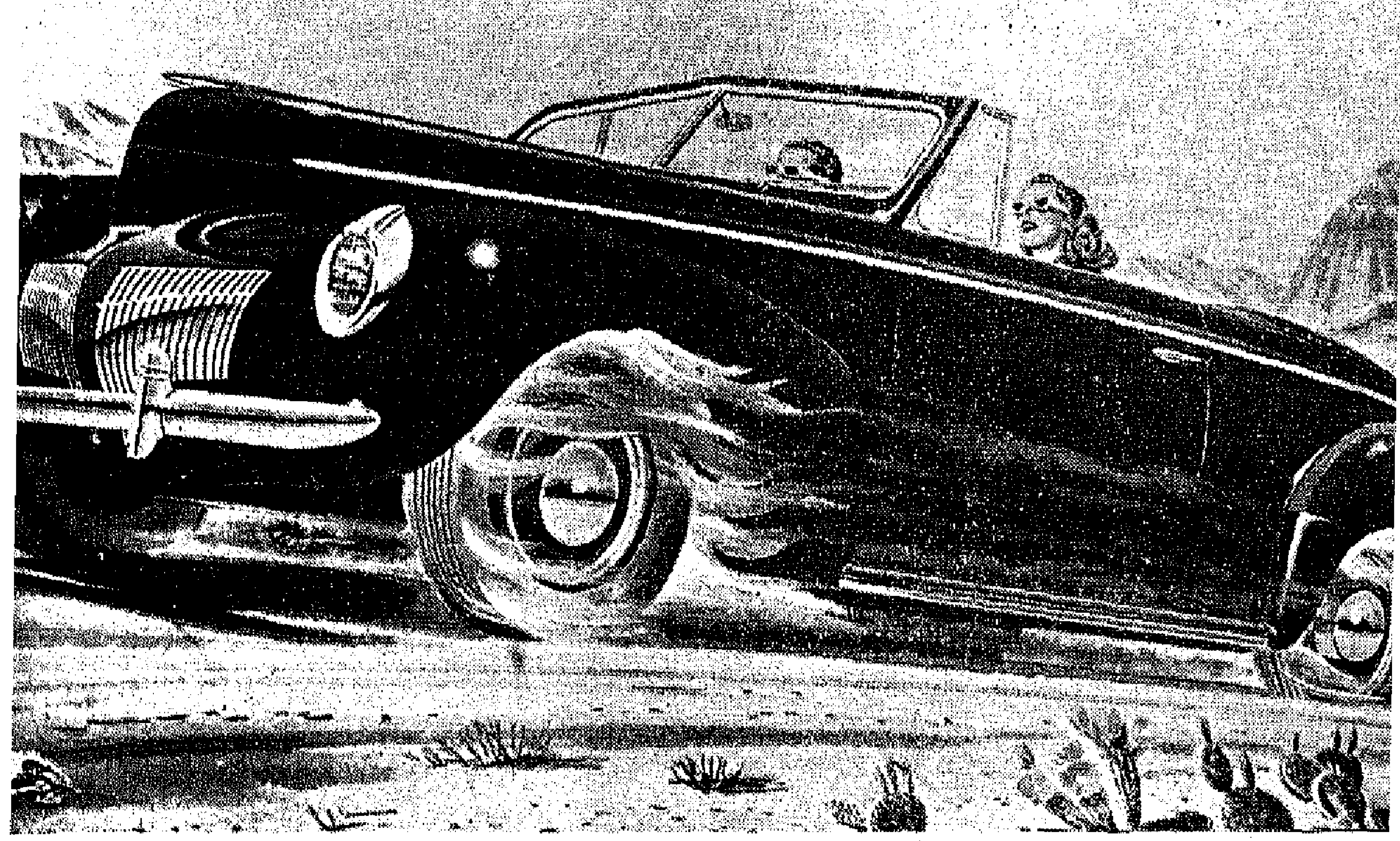
ولـكنك تجد فى جميع لغات الأرض كلمة واحــدة تدلُّ على كلّ مايلزم لالتقاط الصور ، من أفلام ، وآلات تصوير ، ومعدات وأدوات هى كلمة : *Kodak**



*Kodak مارکة قديمة سجّلتها منذ ٥٩ سنة شركات « كوداك » والشركات المنتمية إليها ، و « كوداك » لهـا هيئة عالمية من الوكلاء والموزعين . تيسر لـكل إنسان أن يظفر بمنتجات « كوداك » فى أنحاء الأرض .

EASTMAN-KODAK COMPANY ROCHESTER, N. Y., U. S. A.

لا يمكنك أن تظل الأول



الصورة التى أمامك (فوق) ، تمثل تمثيلا حسناً ما يقع فعلا حين تدفع جهاز السرعة إلى تحت وتبقيه . وأنت لا ترى طبعاً ، لهباً أو دخاناً ، ولكن إطارات سيارتك تسخن كثيراً ، وبخاصة فى الجو الحار . **والحرارة هى أعدى أعداء الإطارات** . الحرارة تميت « الحياة » فى المطاط . الحرارة تقتل « قوة » الألياف فى الإطارات .

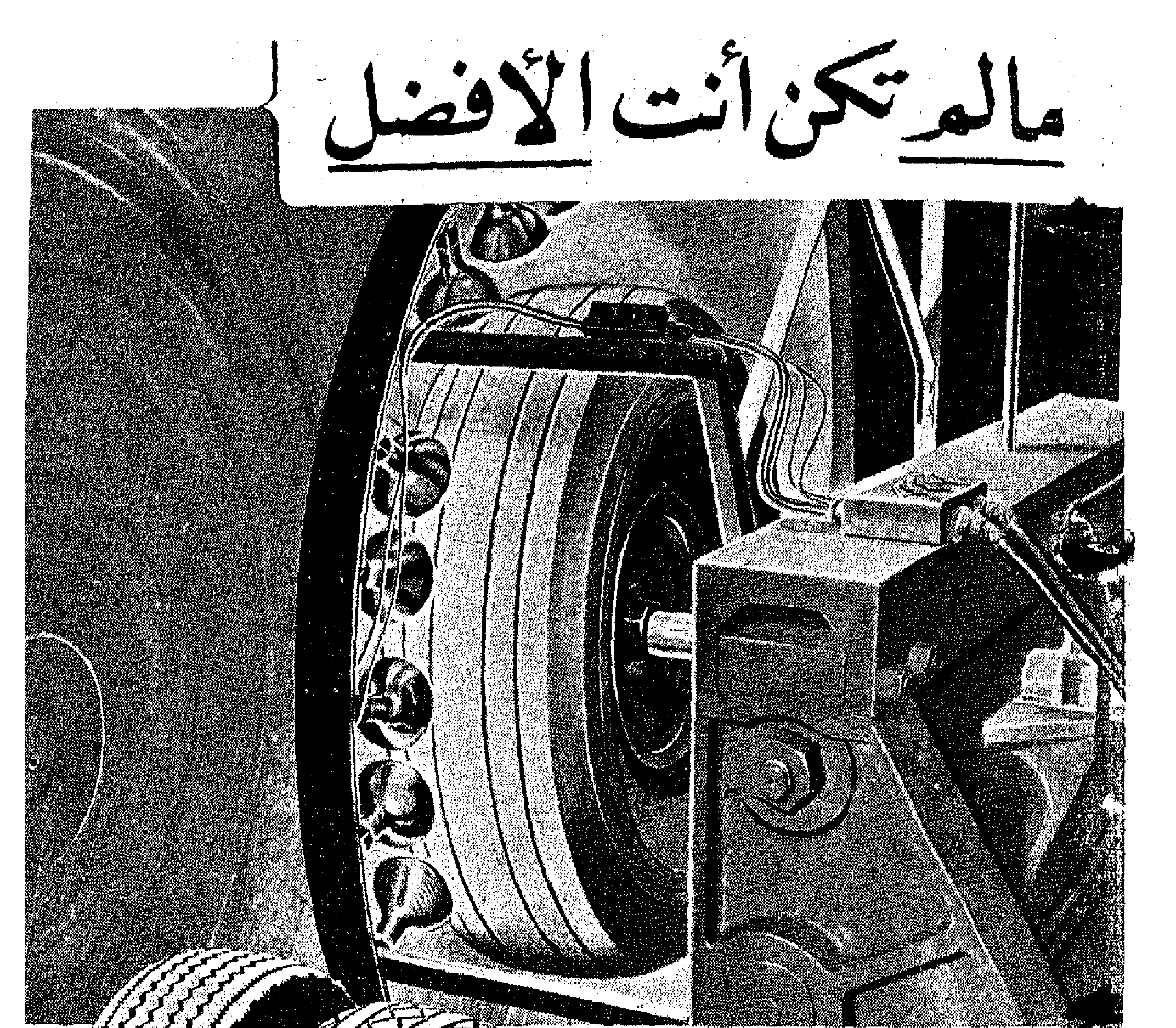
انظر كيف تمتحن إطارات « جوديير » لتثبت أنها تحتمل الحرارة **زمناً طويلا** بعد أن تتلف بها **الإطارات العادية** .

GOOD YEAR

الأول فى كل سنة ، منذ ٣٢ سنة

GOODYEAR

مالم تكن أنت الأفضل



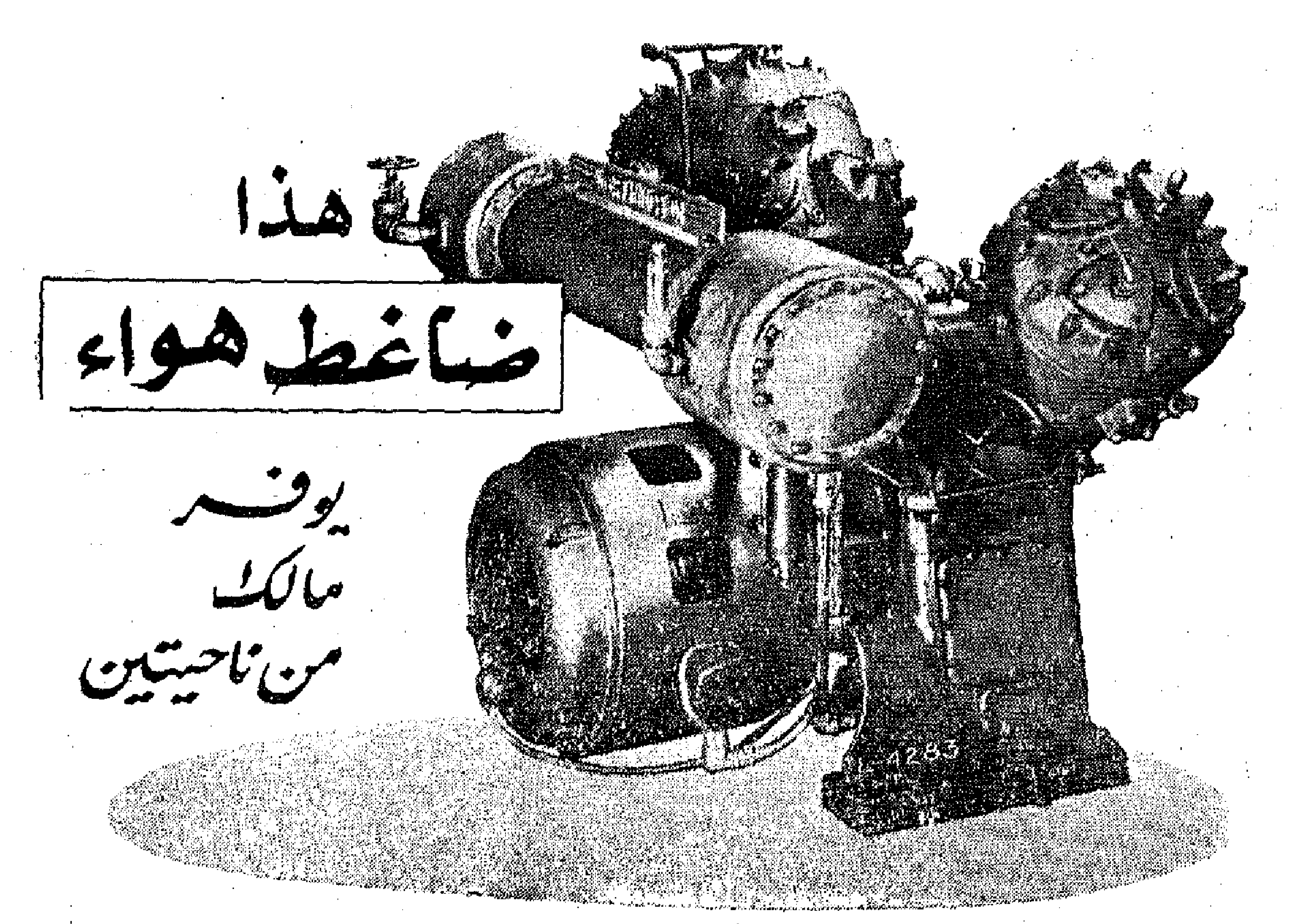
كانت يدك عرضة لهذه المصابيح ـ آخ ! فالأشعة تحت الحمراء تحفظ إطارات « جوديير » على درجة ١٠٠ ـ التي تكفي لغليان الماء . وفي الوقت نفسه يظل الإطار ملامساً للقرص الدوار الذي يولد ضغطاً يعدل ضغط السيارة الكاملة الحمل ، فكأن هذا الإطار مركب على سيارة تنهب الأرض نهباً ساعة بعد ساعة في الوقت الذي يتعرض لهذه الحرارة الثابتة التي لا ترحم .

وهذه حقيقة أخرى تفسر لك لماذا تجد إطارات «جوديير» في ١٩٤٧ لاتزال كما كانت خلال ٣٢ سنة متوالية ـ هي الإطارات التي يفضلها العالم ويضعها في المقام الأول .

ions of the World's Finest Tire
De Luxe Rib Tread

إن إطارات جوديير تنقل في العالم كله من الناس ومن اطنان الشحن أكثر مما ينقله أي نوع آخر من الاطارات


شحنة من الفتنة
من مصانع «كاسونز»
بمانشستر (إنجلترا) خرجت
أحدث الروائع فى أنواع
«أحمر الشفاه» البريطانية فى
خمسة ألوان جديدة . وقد
روعى فى صنعها أن تكون
ممتازة فى مادتها ولونها ،
فهى تحتل اليوم مكان الصدارة
فى صالونات التجميل فى
جميع أنحاء العالم .
أحمر شفاه Cussons



إن ضاغط الهواء « ورذنجتن YC » يكلفك تركيبه مالا أقل لأنه : يجيئك مجمّع الأجزاء ، جاهزاً للعمل بمجرد توصيله بمصدر القوة ، ومنفذ الهواء. وهو أصغر فى الحجم ، فلا يحتاج إلا إلى ربع المساحة اللازمة أساساً لضاغط أفقى له مثل قدرته . وهو أخف وزناً ، فيقلل ذلك من نفقات شحنه ونقله .

إن ضاغط الهواء « ورذنجتن YC » يكلفك تشغيله مالا أقل لأن : كراسى محاوره وأذرع التوصيل المركبة فيه قد صممت خاصة حتى تقل الحاجة إلى ضبطها . وهو أصغر ، فالوصول إلى الأجزاء القليلة الثمن لتفتيشها تفتيشاً سريعاً ، أيسر وأسهل ، وصمامات « رفذر* » قد صممت لتعطيك أكبر قدر من النفع بأقل نفقة للصيانة .

اكتب إلينا طالباً أدلة أخرى تبين لك أن ضاغطات « ورذنجتن YC » تعطيك أكبر مقدار من الهواء بأقل تكاليف من المال .

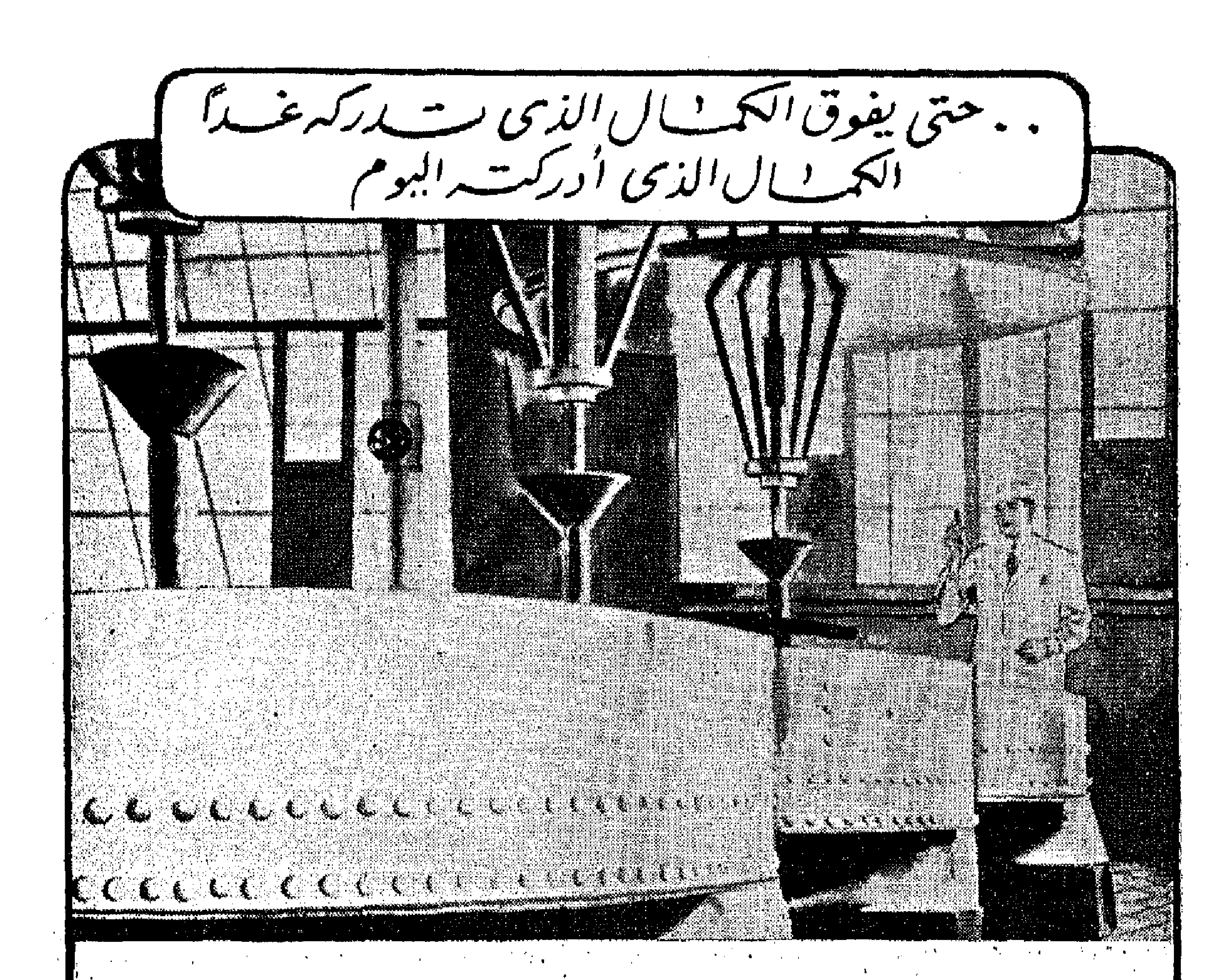
WORTHINGTON PUMP & MACHINERY CORP.
Export Division
Harrison, New Jersey, U.S.A.
لها مكاتب ووكلاء فى جميع أنحاء العالم

* علامة مسجلة

WORTHINGTON

شعار القيمة العالية فى جميع أنحاء العالم

منتجات . ضاغطات . محركات . مولدات تربين . بناء . معدات . تبريد



.. حتى يفوق الكمال الذى تدركه غداً
الكمال الذى أدركته اليوم


اشرب
كوكا كولا
مثلجة
Coca-Cola
DRINK
Coca-Cola
ICE COLD
اشرب
كوكا كولا
مثلجة
مرحباً!
إذا أردت
شراباً لذيذاً
مرطباً...
فاطلب
Coca-Cola
MARQUE DÉPOSÉE

والمختار فرع من هيئة أمريكية عالمية ، توجه كل عنايتها إلى مثل هذه المهمة فى نطاق النافع والممتع يحسن بالقارىء أن يطلع عليه أو يطيب له . والرجال الذين تعتمد عليهم فى ذلك ، قد عرفوا بالتجربة ما ينبغى أن يُنتقى ، وكيف ينبغى أن يختصر . فنى وسعك أن تعتمد عليهم كما يعتمد ملايين آخرون من الناس فى أقطار المعمورة . فجماعة المختار كلها هى كالرجل الذى توفر من حاشية الملك أو الأمير ، على جمع الحقائق التى يطلبها سيده فى موضوع بعينه ، أو هى كالشركة التى تختار لك من الصحف على أنواعها كلّ ما ينشر فى أمر يستأثر بعنايتك . ولكنها تفعل أكثر من ذلك ، لأنها تتولى عنك اختيار فصول كنت خليقاً أنت أن تؤثرها لو عرفت أنها نشرت ، بيد أنك تهملها لكثرة ما ينشر . ثم هى تعرضها عليك عرضاً فيه إيجاز يشوقك ويوفر عليك بعض وقتك ، بغير أن يضيّع عليك شيئاً من معانى الكاتب وأساليبه الأصيلة . فهى تجمع لك طائفة مختارة من المقالات التى تنفعك مطالعتها فى صحتك أو عملك أو تهذيب نفسك أو تربيـة أولادك ، أو من المقالات التى تجدى عليك متعة وتسلية بريئة تنسيك بعض مهام العمل ومتاعبه . هكذا وجدتُها قبل أن أعرف أصحابها .

وقد تعلمت بالتجربة خلال ربع قرنٍ من الاشتغال بالصحافة والتدريس ، أن الرجل الذى يصح أن يسمى الرجل المتعلم أو الرجل المثقف ، هو الذى لا ينقطع عن طلب ذخائر العلم والمعرفة ، فلا يكاد يظفر بواحدة حتى ينطلق شوقاً فى طلاب أخرى . وإذن فتعريف الرجل المثقف ، هو الرجل الذى يجعل طلب المعرفة سعياً لا ينقطع ، أولهُ ساعة يفتح الوليد عينيه على الدنيا ، وآخره ساعة يطبق الموت أجفانه .

وهو ، ككل سعى إلى كشف المجهول ، حافل بالروائع . وقد يكفينى أن أقرأ عبارة تجرى على لسان أم فى تربية طفل ، أو قصة فتاة تحرّرت بكلمة من ربقة الخوف ، أو سيرة سيدة لم يثنها حسنها عن إحداث انقلاب اجتماعى فى قومها ، أو سيرة النحلة العجيبة — حتى أستشعر بمثل الروعة التى ملأت نفس بيرد يوم حلق فوق القطب الجنوبى ، أو نفس مارى كورى ليلة رأت ضياء الراديوم يشع أول مرة من أنبوب فى معملها ، وإذا أنا رائد يستكشف الحياة وروائعها التى لا تحصى فى الهين والخطير من الأشياء جميعاً .

فالتطلع الدائب إلى فهم هذا العالم الذى نعيش فيه ، يجعل طلب المعرفة مغامرة تنبض بروعة الحياة نفسها .

وعسى أن لا تكتفى بمطالعة المختار ، إن كان وقتك يتسع لأكثر منه أو كان عملك يقتضيه ، ولكن مهما تفعل فأرجو أن تشعر كما أشعر أن المختار هادٍ يحسن الهداية فى هذه المغامرة التى تنبض بروعة الحياة — مغامرة طلب المعرفة .

جبر ضومط

رسالة من رئيس التحرير – ٣

مغامرة تنبض بروعة الحياة

لقيتُ منذ زمن كاتباً مشهوراً توثقت بيني وبينه أواصر الصداقة حتى صار يفضي إليّ بطرف من ماضي حياته ، وقد حدثني مرة أنه بعد أن صار ذا شهرة بين المؤلفين ، عاد إلى جامعة كبيرة ليستأنف دراسته عسى أن يظفر بدرجة الدكتوراه ، ولكنه لم ينجز الدراسة ، ونسي بعد ذلك معظم ما تعلمه في تلك الفترة من حياته سوى كلمة تلقاها عن أحد أساتذته الحكماء ، فإذا هي :

« لقد مضى الزمن الذي كان يستطيع العالم فيه أن يلمّ بكلّ شيء ، وقد بلغت الكتب والرسائل والمقالات مبلغاً عظيماً حتى لنرى جلّ ما يستطيع الرجل أن يتطلع إلى معرفته هو أن يعرف أين يستطيع أن يجد ما يهمه أن يطلع عليه » .

أما كيف يتسنى له ذلك ، فمشكلة دقيقة ، وقد تعينه المكتبات العامة في معرفة الكتب وبعض الرسائل التي يحتاج إليها ، وأما المقالات فلا على الأكثر . وعلى كلٍّ فالكتب والرسائل والمقالات التي تخرج من المطابع أشبه بالسيل المتدفق في هذا العصر ، والمكتبات العامة قلما تلحق بالجديد منها حتى تحلق جدته كلها أو بعضها ويفوت أوان الاستمتاع به ، أو أوان نفعه – إن لم يكن من المراجع ، وعسى أن تجد سبيلا إلى تحقيق ما تريد ، باحتذاء ما يصنعه الملوك والأمراء ورؤساء الحكومات ومديرو الشركات الكبيرة ، فهم يصطفون لهم من حاشيتهم من يتوفر على مطالعة ما ينشر ، ثم يختصر الفصول والفقرات التي تهمهم ويبوّبها ، وقد يستعينون بشركات خاصة أنشئت لمثل هذا الغرض . فإذا أردت أن تطلع على كلّ ما يكتب في صحف أمة ما ، عن قضية السودان مثلا أو عن قضية فلسطين ، عهدت إلى إحدى هذه الشركات أن توافيك بما تريد ، فتفعل لقاء أجر ليس بالكبير ولا المرهق .

[التتمة على الصفحة السابقة]